

الآثار القبطية فى وادى النيل

دراسة فى الكنائس القديمة

تأليف: سومرز كلارك
ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم
مراجعة وتقديم: د. جودت جبرة

Somers Clarke, F.S.A.

CHRISTIAN ANTIQUITIES IN THE NILE VALLEY

سومرز كلارك

الآثار القبطية في وادي النيل

دراسة في الكنائس القديمة

ترجمة

إبراهيم سلامة ابراهيم

مراجعة وتقديم

د. جودت جبرة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
تصدير	٧
مقـدمة الطبعـة العربيـة	٩
الفصل الأول	
مقدمـة تاريخية	١٣
الفصل الثـانى	
الشكل العـام للعمـارة	٢٨
الفصل الثـالث	
وصف الرسومات التخطيطية	٥٨
الفصل الرابع	
وصف الرسومات ـ من حلفا الى فيلة	٨٩
الفصل الخامس	
الكنائس التى بعد أسـوان شـمالا	١٤٥
الخاتمة	٢٨٨
ملحق الكتـاب	
قائمة بأسماء الكنائس والأديرة القبطية فى مصر	٣٠٤
المؤلف والمترجم والمراجع	٣٢٤
كشاف ابجدى	٣٢٥

تصــــــدير

كان مؤلف هذا الكتاب عند نشره فى سنة ١٩١٢ عضواً بلجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة وعضواً بجمعية آثار الاسكندرية ، فهو بذلك وثيق الصلة بالدراسات الأكاديمية لموضوع الكتاب بحكم موقعه . وقد لاحظت أن المؤلف لم يكتب مقدمة لكتابه ، ولكننى عندما وصلت الى الخاتمة اكتشفت أنها استدراك للمقدمة التى لم يقدمها المؤلف فى مكانها الطبيعى فى بداية الكتاب. وتتميز مادة هذا الكتاب بأنها تغطى وادى النيل بشقيه أى مصر والسودان . وكم أحسست أثناء الترجمة بمدى التقصير الذى بدر منا فى ناحية الدراسة الأكاديمية لكافة نواحى الحياة بالسودان الشقيق خاصة التاريخ المشترك على ضفتى النهر الخالد ! . وتذكرت الجهد الكبير الذى بذله علماء الغرب فى هذا الصدد بينما تقاعسنا نحن عن القيام بمثل هذا الجهد فترة طويلة مازالت مستمرة حتى اليوم .

والكتاب يتحدث عن عمارة الأديرة والكنائس القبطية القديمة ،سواء تلك التى اندثرت ولم يتبق منها سوى الأطلال ، أو تلك التى اهتدى اليها بالبحث والتنقيب . ولا شك أن الدراسات الوصفية التى قدمها مع المساقط الافقية التى أورد رسومها التخطيطية تمثل تراثاً انسانياً رفيع المستوى .

واعتمد المؤلف اعتماداً كبيراً على كتاب « الكنائس القبطية القديمة » بجزءيه لمؤلفه الرحالة البريطانى الفريد جوشوا بتلر ، وهو الكتاب الذى

قدمنا ترجمته العربية فى نفس هذه السلسلة (الالف كتاب الثانى) واننى اعتبر الكتاب الحالى الذى بين يدى القارىء الآن مكملا لكتاب بتلر لأنه تحدث باستفاضة عن الآثار القبطية فى النوبة والسودان وهو ما لم يتعرض له بتلر ، كما توسع فى بعض ما عرضه بتلر بايجاز مثل الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج ، وكنائس نقادة .. الخ، وبالرغم من ذلك فقد امتدح المؤلف كتاب الرحالة بتلر كمرجع أساسى لدراسة الكنائس القبطية القديمة .

وتحدث المؤلف عن المعونة التى تلقاها من مرقس بك سميكة ووصفه بأنه معروف باهتمامه الشديد بالآثار المسيحية ، ونضيف هنا أن مرقس سميكة نال فيما بعد لقب (باشا) وأن اهتمامه بالآثار القبطية تزايد حتى وصل الى ذروته بانشائه المتحف القبطى فى سنة ١٩٠٨ ليجمع فيه المادة الأثرية اللازمة لدراسة تاريخ الحقبة القبطية منذ ظهور المسيحية ودخولها الى مصر حتى الآن .

ولم نجد ضرورة للحديث عن المصطلحات الكنسية التى وردت بالكتاب لأنها متضمنة فى الملحق الذى أضفناه بمعرفتنا الى الجزء الثانى من كتاب بتلر الذى تسعى الهيئة المصرية للكتاب حالياً لاعداد طبعة جديدة منه نرجو أن تتوفر بين يدى القارىء عند صدور هذا الكتاب ، ولكن هذا لم يمنع اضافة بعض التعليقات والشروح للكتاب الحالى .

وكما أبدى المؤلف الشكر والامتنان نحو الذين أمدوه بمساعداتهم المختلفة فاننى أقتدى به وأقدم جزيل الشكر والامتنان لعالم القبطيات الدكتور جودت جبرة لقاء الجهد الكبير الذى قام به فى مراجعة وضبط هذه الترجمة شاكراً لمجموعة العاملين المشرفين على اصدار سلسلة الألف كتاب الثانى جهدهم العظيم خاصة الأستاذ أحمد صليحة رئيس تحرير سلسلة الألف كتاب الثانى الذى قام باضافة بعض الملحوظات التصحيحية من التاريخ الاسلامى وهى مميزة فى نهايتها بكلمة (المحرر). والله ولى التوفيق .

ابراهيم سلامة ابراهيم

القاهرة فى ١٩٩٧/٤/١٢ م

مقدمة الطبعة العربية

تعاقبت على ضفتى نهر النيل الخالد اعظم حضارات العالم ، الفرعونية واليونانية والرومانية والبيزنطية والاسلامية ، وتلتقى جميع هذه الحضارات عند الحضارة القبطية دون غيرها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر تمتد جذور اللغة القبطية فى تربة مصر الفرعونية ، فهى لغة المصريين القدماء التى حفظتها الكنيسة القبطية فى مخطوطاتها وكتبها وما زالت تنطق بها فى طقوسها وصلواتها ، كما أن الكثير من الكلمات القبطية مازالت تتردد على السنة شعب مصر ، وما زال الفلاح المصرى يستخدم الشهور القبطية بأصولها المصرية القديمة، توت وبابه وهاتور .. فى تنظيم زراعاته على مدار العام . ويحتفظ الفن القبطى بكثير من خصائص الفن المصرى القديم ، فجدران الكنائس والأديرة القديمة تزدان بالتصاوير مرتبة فى صفوف منتظمة لتعبر عن الديانة المسيحية كمنظر السيد المسيح فى هالة المجد أو القديسة العذراء مريم تحمل الطفل يسوع ويظهر أيضا كثير من الشهداء والقديسين ، وصور الفنان القبطى الصليب — رمز المسيحية — مشابهاً للعلامة المصرية القديمة « عنخ » أى «الحياة» معبراً بذلك عن مصريته الأصيلة ، الا أن الفن القبطى تأثر أيضاً بكل من الفنين اليونانى والرومانى وأيضاً بالفن البيزنطى ، ومن ناحية أخرى ترك الفن القبطى بعض البصمات فى الفن البيزنطى وأثر بصورة كبيرة فى الفن الاسلامى المبكر فى مصر ، كما تأثر الفن القبطى بدوره فى مراحله الأخيرة بالفن الاسلامى ، فالفن القبطى هو الفن المصرى الوحيد الذى تلتقى عنده جميع فنون مصر .

تنفرد الآثار القبطية بانتسابها الى الشعب وليس الى الحاكم ، فلم تحظ العمائر القبطية فى أى عصر من العصور برعاية الملوك أو الحكام ، ولم تنفق خزانة الدولة فى أى عصر على الفن القبطى الذى تمثل بعض جوانبه — مثل التصاوير الجدارية — أحد أهم مصادر تاريخ الفن فى مصر لفترة تزيد على خمسة عشر قرنا ، كما تفتقر العمائر القبطية الى الضخامة والفخامة لقلة موارد تمويلها ولتشييدها وترميمها فى ظروف لم تكن فى كثير من الأحيان مواتية ، فهى بذلك أقل قدرة من غيرها من آثار مصر على مقاومة عوادى الزمن ، وقد عانت الآثار القبطية فى خواتيم القـرن الماضى وبدايات هذا القرن من الباحثين عن كنوز الفراعنة ، وللأسـف الشديد ينتمى بعض هؤلاء الى « علماء » قاموا بالحفائر فى العديد مـن المناطق الأثرية فأزالوا الكثير من المبانى القبطية فى عجالة ليصلوا الى عمق الآثار المصرية القديمة ، دون تصوير أو تسجيل علمى دقيق للآثار القبطية ، والمثل الصارخ لهذه المأساة نجده فى معبد حتشبسوت بالبـر الغربى بالأقصر ، فهو مازال يحمل اسم « الدير البحرى » : « دير القديس فويبامون » الذى كان يعلو معبد حتشبسوت .

قـام سومرز كلارك مؤلف هذا الكتاب بوصف واعـداد رسومات ومساقط أفقية ومقاطع مختلفة لعدد كبير جداً من الآثار القبطية والنوبية المسيحية فى وادى النيل ، وقد بدأ عمله عام ١٨٩٣ ولعدة سنوات ثم نشر كتابه القيم عام ١٩١٢ ، فهو يعد بذلك من أوائل العلماء الذين ألقوا الضوء على هذا التراث الهام ، كما أنه كان أول من وصف عدداً كبيراً من كنائس وادى النيل العريقة .

ومع انشاء خزان أسوان عام ١٩٠٢ والانتهاء من تعليته الأولى عام ١٩١٢ وتعليته الثانية عام ١٩٣٤ ، تعرضت الآثار القبطية والنوبية المسيحية مثل غيرها من آثار وادى النيل الكائنة جنوب خزان أسوان لخطر زحف المياه عليها . وقد واجهت الحكومة المصرية هذا الموقف فكان المسـح الأثرى الأول للنوبة فى مواسم الأعوام ١٩٠٧ حتى ١٩١١ ، ممثلا بمجموعة من العلماء برئاسة العالم ريزنر Reisner ، وصاحب ذلك المسـح تسجيل ودراسة للمعابد المصرية فى النوبة التى تم نشرها فى المجموعة المعروفـة باسـم « Les Temples immergés de la Nubie » .

كما قام العالم امرى Emery برئاسة مجموعة من الأثريين الشباب انجزت المسح الأثرى الثانى للنوبة فى مواسم الأعوام ١٩٢٩ حتى ١٩٣١ ، والتى كشفت وسجلت ودرست كثيراً من جبانات ومبانى بلاد النوبة الاثرية ، وكان من أهمها آثار بلانة وقسطل الرائعة وقلعة كوبان ، الا أن الآثار المسيحية فى النوبة لم تحظ بمثل هذا الاهتمام ، فبالرغم من تكليف Monneret de Villard — وهو عالم كبير متخصص فى الآثار المسيحية — بهذه المهمة ، الا انه لم تكن لديه الامكانات للقيام بأية حفائر ، فاكتفى بتسجيل ما هو قائم من الكنائس وكذلك الصور الجدارية المسيحية التى كانت على جدران بعض المعابد المصرية القديمة ، ونشر مجلدين بعنوان : « La Nubie medioevale » .

وقد تغير هذا الوضع فى الستينيات حينما قامت بعثات علمية متخصصة من كل أرجاء العالم المتحضر باجراء حفائر فى كل مناطق النوبة المصرية والسودانية ، وللمرة الأخيرة قبل انشاء السد العالى ، وشمل ذلك الآثار المسيحية فى هذا الجزء من وادى النيل ، وكان من اهم نتائجها العثور على كنائس قديمة مزدانة بمناظر ذات الوان رائعة فى فرس وعبد الله نرقى القت ضوءاً جديداً على الفن النوبى المسيحى ، كما تم العثور على كثير من الكتب والمخطوطات والوثائق التى زودتنا بكثير من المعلومات عن تاريخ المسيحية فى بلاد النوبة .

إن هذا الكتاب عن « الآثار القبطية والنوبية المسيحية فى وادى النيل» يعتبر مرجعاً فى غاية الاهمية وسجلا نادراً للآثار المسيحية فى وادى النيل، وقد سبق سومرز كلارك عصره بفترة تزيد على نصف القرن فى اهتمامه بهذا التراث ، ولم يفقد هذا المرجع أهميته بالرغم من صدور موسوعةالقبطيات Coptic Encyclopedia عام ١٩٩١ فى ثمانية مجلدات ضخمة والتى تحوى المساقط الأفقية الأكثر دقة والمزودة بالمراجع الخاصة بالغالبية العظمى من الآثار المذكورة فى هذا الكتاب ، وبالرغم من تكثيف الأبحاث فى العمارة القبطية وآثار النوبة المسيحية فى النصف الثانى من القرن العشرين والتى تظهر بوضوح فى المجلدات التى تصدر عن المؤتمرات الدولية لكل من الجمعية الدولية للدراسات القبطية

والجمعية الدولية للدراسات النوبية ، سيظل كتاب بـــومرز كـــلارك مرجعاً لا غنى عنه يبدأ به كل باحث فى هذا الجزء العـــزيز من تراث وادي النيل .

أود أن أعبر عن شكرى وتهنئتى للأستاذ ابراهيم سلامة للدقـــة وللجهد الكبير الذى بذله فى ترجمة هذا الكتاب ، كما أود أن أعرب عـــن تقديرى للقائمين على اصدار سلسلة الألف كتاب الثانى للتوفيـــق فى اختيارهم هذا الكتاب لترجمته حتى يملأ فراغاً فى المكتبة العربية التى لا تزال تحتاج الى المزيد من الكتب التى تتناول التراث القبطى الذى يمثل خيوطاً فى نسيج حضارات مصر العريقة .

واللـــه ولى التوفيـــق

د. جودت جبره
١٠ بابه ١٧١٤
الموافق ١١ اكتوبر ١٩٩٧

الفصل الأول

مقـــدمة تاريخيـــة

استرعت بقايا المبانى المصرية القديمة انتباه الرحالة وعلماء الآثار ، بينما اهملت الآثار المسيحية التى تقع بين الآثار المصرية والاسلاميـــة اهمالا معيباً ، ونتيجة لذلك فانه رغم حقيقة استمرار تسلسل التاريخ فقد حسبنا ان مصر لم تكن موجودة فى فترة معينة ، وربما ثار الشـــك كذلك فى استمرارية سلسلة الحلقات المتصلة التى ترتبط كل حلقة منها بتلك التى سبقتها ، وتلك التى خلفتها بطريقة أو بأخرى .

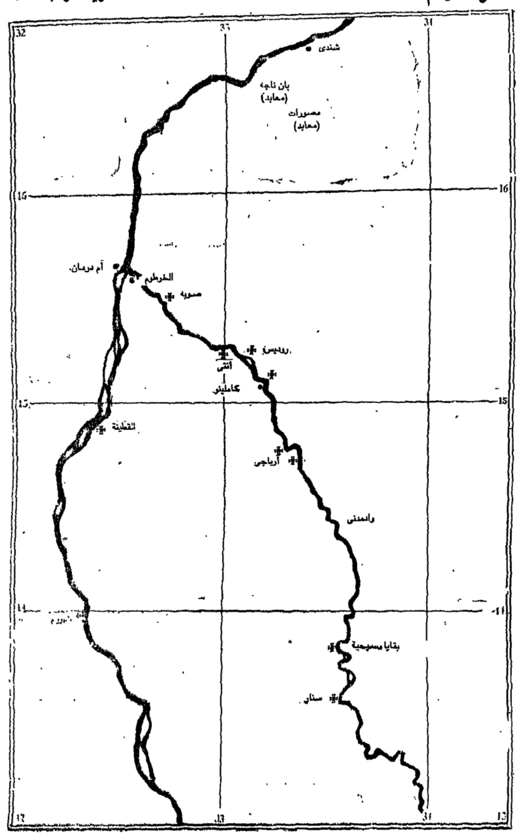
ولم تلق المبانى التى أقيمت أثناء الوجود المسيحى الا القليل مـــن الدراسة حتى اليوم . ولا بد من التنويه بأنها لا تشد الانتباه فى حالتها المتداعية والمهجورة والخربة التى نراها اليـــوم . واذا كانت لم تلـــق الاهتمام فى مصر نفسها اى فى المسافة ما بين أسوان والبحر الأبيض فكم يكون قدر الاهمال جنوب أسوان وما بعدها فى السودان حيث يصعب الوصول اليها . ان هؤلاء الذين درسوا هذا الموضوع المثير فى كتـــاب « الكنائس القبطية القديمة » لمؤلفه الدكتور الفريد جوشـــوا بتلر (١) سوف يرون أن الرسوم التخطيطية التى سأقدمها تختلف بشكل ملحوظ

---

(١) انظر :

The Ancient Coptic Churches of Egypt, by A.J. Butler, Clarendon Press, London, 1884.

لوحة رقم ١ **الخريطة رقم (١)**



عن العديد من تلك التى نشرها ، ولكن هذا الاختلاف أكبر فى الشكل عنه فى الواقع (١) .

وتعتبر الطبيعة القاحلة للكثير من أجزاء وادى النيل بالاضافة الى كثافة وفقر السكان مسئولة عن الإهمال فى عمارة المبانى . وقد أثرت الطبيعة الصلبة للمواد المتاحة ، وصعوبة الحصول على الأخشاب ، وجهل العمال — فى أساليب البناء كما سأوضح فيما بعد . ولا تنتهى مادة الدراسة عند وادى حلفا لأن العقيدة المسيحية وصلت فى انتشارها الى جنوب السودان .

وليس لدينا شيء مؤكد عن الوسائل التى أدخلت بها المسيحية الى السودان ، ومن هم الذين أدخلوها ، وموضع اقامتهم فى البلد . ويبين لنا الدليل المتوفر عن الموضوع أن المسيحية لم تشق طريقها جنوب النيل الأزرق من إثيوبيا الى السودان فى الشمال مثلما قال البعض ، ولكنها دخلت النوبة من مصر مثلما فعلت حضارة قدماء المصريين ، ثم تقدمت عبر القرون الى الطرف الجنوبى من جزيرة مروى حيث ازدهرت مملكة علوة Alwa فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وقد تحول شمال السودان الى المسيحية نتيجة لكرازة القديس مرقس الرسول فى الاسكندرية ، وكذلك فان مرحلة المسيحية النوبية المعروفة لنا تحمل علامات وسمات نوعية العقيدة والتعليم المسيحى اللذين نشرهما بطاركة الاسكندرية اليعاقبة (أتباع الطبيعة الواحدة للمسيح) . ويبين لنا الكم الهائل من التقليد الموقر (*) أن المسيحية قد دخلت الى مصر قبل نهاية القرن الأول ، ومن المؤكد أن الديانة الجديدة تقدمت جنوباً وانتشرت

---

(١) انظر الرسوم التخطيطية التى أوردها لكنائس : مار مينا ص ٤٨ ، أبو سيفين ص ٧٨ ، أنبا شنودة ص ١٣٦ ، الست مريم ص ١٤٩ ، أبو سرجة ص ١٨٢ ، الست بربارة ص ٢٣٦ ، العذراء بدير السريان ص ٣٢١ ، وقد وردت هذه كلها فى الجزء الاول من كتاب بتلر المذكور .

(★) التقليد هو أقوال وشروح وتفاسير آباء الكنيسة الأوائل مع الموروث من أقوال تلاميذ المسيح الاثنى عشر ورسله السبعين المأخوذة عن السيد المسيح وهى تختلف عن نصوص الكتاب المقدس المدونة من حيث انها تسلم شفهيا من جيل الى جيل — (المترجم) .

بسرعة . واقدم الكتب التى تحمل وجهة النظر هذه هو كتاب يوسابيوس (تاريخ الكنيسة — الباب الثانى — ص ١٦) (١) .

واظن ان الادلة التى سأقدمها فى الصفحات التالية ستؤيد تماماً الرؤية التى تفيد بأن المسيحية دخلت الى السودان عن طريق مصر .

ان مهمتى لا تتضمن تقديم تاريخ لظهور المسيحية وانتشارها فى وادى النيل ، بل تقتصر على تناول الموضوع من الجانبين المعمارى والأثرى . ويكفى تقديم القليل من البيانات الصريحة التى تبين مدى سرعة انتشار العقيدة الجديدة . ولتأكيد هذه البيانات نقول أنه كان ضرورياً منذ البداية المبكرة لهذا التاريخ انشاء الأسقفيات التى تجعلنا ظروفها نفترض أيضاً بناء الكنائس المختلفة .

وقرب نهاية القرن الثانى تم تعيين ثلاثة أساقفة ، ومع بداية القرن الثالث ازداد هذا العدد الى عشرين ، ولما بدأ الاضطهاد تحت حكم الامبراطور داكيوس سنة ٢٥٠ للميلاد صاحب الاضطهاد حدوث دمار كبير للمبانى ، ولم تتوقف هذه الاضطرابات تحت حكم الامبراطور فاليريان الذى خلفه . ومع بداية الاضطهاد فى شمال مصر ، فر العديد من هؤلاء القادرين على الفرار نحو الجنوب ، وهكذا انتشرت العقيدة . واثناء حكم دقلديانوس (٢٨٤ — ٣٠٥ م) ، اشتد عنف الاضطهاد والتدمير . ومما لا شك فيه أن المسيحية التى أخذت فى الانتشار فى كل القطر ، قد تغلغلت جنوباً فى كل من السودان وإثيوبيا (٢) .

واذا أردنا الحديث عن الندرة غير العادية للآثار المسيحية فى وادى النيل فسنضطر الى التعرض للمعالم الغريبة لذلك الوادى . وبالرغم من معرفة مواضع العديد من الكنائس وإمكان مشاهدة خرائب الكثير من الآثار ، إلا أن البقايا التى لدينا قليلة وتافهة ولا يعتمد عليها فى تحديد العدد الذى كان موجوداً .

---

(١) انظر :
The Egyptian Sudan, Its History and Monuments, by E.A. Wallis Budge, Vol II, P. 288. Kegan Paul, Trench & Co., London, 1907.

(٢) يمكن لهؤلاء الذين يدرسون الموضوع بعمق ، الرجوع الى كتاب : جيبون — الفصل الخامس عشر ، وكتاب يوسابيوس ، وكتاب بوتشر وعنوانه The Story of the Church of Egypt وكتاب بادج وعنوانه The Egyptian Sudan .

وهناك عاملان رئيسيان يمكن العودة اليهما فى استخلاص النتائج ، أحدهما : تكوين الوادى نفسه ، والآخر هو التقلبات المخيفة التى تعرض لها الوادى وسكانه منذ بداية العصر المسيحى . ونجد فى جميع الأقطار الآثار وقد عانت الكثير أو القليل بسبب الاهمال أو العنف ، ولكن دخول قبيلة معادية أو شعب معاد فى أحد الأجزاء لا يعنى بالضرورة أن القطر كله قد اكتسح أو دمر . وقد رأينا فى أيامنا هذه قوات المانيا المكتسحة وهى تدخل فرنسا ولكن الجزء الأكبر من هذا البلد لم يشاهد الألمان مطلقاً . ومن الصعب اكتساح منطقة واسعة تتكون من آلاف الأميال المربعة ...

ولكن — ما الميزات التى يتميز بها وادى النيل عن غيره من الأقطار ؟ انها تتركز فى أن المسافة ما بين القاهرة والخرطوم لا تتضمن منطقة خالية — حسب ما يعنيه هذا الاصطلاح بالنسبة لنا — ولا نجد الا نطاقاً مستطيلا من الأرض يتميز بالطول وليس العرض ، ترتب عليه أن كافة أشكال الحياة وكافة المبانى والآثار قد تواجدت بالضرورة بالقرب من النهر بطول أرض هذا الوادى الضيق . ولذلك كان من السهل على الجيوش اكتساح كل شىء اعترض مسارها . وقد يقول هؤلاء الذين يعرفون وادى النيل جيداً اننا عندما نكون فى مديرية دنقلة والى الجنوب منها سنجد أن النهر لا تحيط به التلال والصخور الوعرة ، وأن الوادى ليس غوراً واسعاً . ويصدق ذلك بما فيه الكفاية . وتتسع المنطقة الزراعية عما هى عليه شمال الشلال الثانى ، ولكننا نجد من جهة أخرى أن الحياة تعتمد بكاملها على النيل نفسه وعلى المسافة المحدودة التى يمكن نقل مياه النهر اليهنا ، أو التغلغل فى الأرض المجاورة . وقد عاش السكان والآثار فى جميع العصور بالقرب من النهر . كما كان النهر كذلك وسيلة رئيسية للنقل . وشق الغزاة طريقهم — بصرف النظر عن الجانب الذى دخلوا منه — مصعدين أو هابطين فى الشريط الضيق الذى يدين بحياته للنهر . ونتيجة لذلك ؛ تركز التخريب والعنف فى هذا الشريط . ولا نجد اية أماكن تقع بعيداً فى اتجاه اليمين أو اليسار بحيث تبتعد عن مسار التخريب . ولا بد أن الاضطهاد والتخريب اللذين انبعثا من روما قد تسببا فى اختفاء العديد من الكنائس

ولكننا لا نشك فى قيام مبان جديدة مكانها . ويلقى الضوء على هــذا الموضوع ويؤيد رأيى فيه البيان القصير الذى سأقدمه عن الأحــداث التى بدأت بعد الفتح الاسلامى لمصر .

كان المعتقد حتى وقت قريب فيما يخص المبدأ الذى تحركت بنــاء عليه جميع الجيوش الغازية الى الأمام ، هو الحياة على حساب البلد الذى يعبرونه عن طريق النهب والسرقة . وما زال الفلاحون فى بلاد الشرق حتى اليوم يعانون بشدة ، سواء أكان الجيش العــابر من بنى جلدتهم أم لا ، اللهم الا اذا كان البلد واقعاً تحت السيطرة الأوربية (*). وحيث توجد القوة يوجد أيضاً السلب والنهب والقتل . ونضيف الى هذه المضايقات التى تعرض لها سكان وادى النيل ، الكراهية والبغضاء . ولولا طبيعة المناخ الحافظة ، لكان من الصعب بقاء أى أثر حتى الآن .

وقد اقتبست من كتاب الدكتور بادج (١) القائمة التالية التى لا تبدو شاملة ، ولكنها تشير الى تاريخ العنف والسلب والتخــريب الــذى لا يبارى .

لقد جرى الفتح الاسلامى لمصر فى التاسع من ابريل سنة ٦٤١ ، وسرعان ما أصبحت مصر وتلك الأجزاء من السودان التى كانت تعتبر من ممتلكاتها ، ولاية تابعة للامبراطورية الاسلامية الجديدة . وأرسل عمرو بن العاص بعد مرور عام من فتح مصر ، حملة الى النوبة قوامها ٢٠ الف مقاتل تحت قيادة عبد الله بن سعد . وبمجرد عودة عبد الله وجــد النوبيون الفرصة سانحة للانتقام وغزوا مصر بنجاح كبير .

وفى سنة ٦٥٢ عاد عبد الله الى الجنوب وقمع الثورة بعنف شديد . وكان النوبيون مسيحيين وعاصمتهم دنقلة القديمة .

(★) نود أن نذكر القارىء الكريم بأن مؤلف الكتاب ـ وهو انجليزى ـ قد عاش فى فترة عنفوان الاستعمار الأوروبى ـ (المراجع) .

(١) The Egyptian Sudan. by E. A. Wallis Budge, Vol. II. Chap. XII.

وفى سنة ٧٢٢ صدر الأمر بالابادة الشاملة للأيقونات المقدسة التى للمسيحيين فى مصر ، وترتب على ذلك ثورة الأقباط فى الدلتا ، كما سجن البطريرك القبطى . وغضب النوبيون ازاء سوء معاملة نظرائهم فى العقيدة ، فدخل الى مصر مائة الف منهم تحت قيادة ملكهم ترياقص (*) . ثم حدث اضطراب خطير بين قبائل البيجا التى تسكن الصحراء الشرقية ، فقام عبد الله بن جهان بمحاربتهم فى سنة ٨٣١ وهزموا عدة مرات ، وفى النهاية وقعت معاهدة مع ملكهم كانون . وتضمنت المعاهدة بين المواد الأخرى عدم التعرض بالاساءة لاسم محمد ﷺ أو القرآن أو دين الله ، أو قتل أو سرقة أحد المسلمين ، أو الحاق الضرر بالمساجد .

كانت قبائل البيجا تمثل جنساً مشاغباً ولكن يسهل قمعه . وفى سنة ٨٥٤ غزت مصر العليا ونهبت اسنا وادفو ، وسرعان ما تجمعت الجيوش الاسلامية لاعادة الأمور الى نصابها وتمت هزيمة البيجا .

وفى سنة ٩٥٦ هاجم ملك النوبة أسوان ولكن المسلمين هزموه فى العام التالى . وبعد ذلك بسنوات قليلة غزا النوبيون مصر وسيطروا على البلد حتى أخميم شمالا .

وفى سنة ١٠٠٥ ، حكم أحد أفراد الأسرة الأموية برقة وهزم جيوش السلطان الحاكم الذى كان يحكم مصر وتولى ادارة البلد ، ولكنه سرعان ما اكتشف ضرورة التقهقر الى النوبة جنوبا ، وهنا ساندە النوبيون ولكنه هزم أخيراً وقطعت رأسه .

(*) كان الدين دائما ذريعة يخفى وراءها المستعمر أهدافه الحقيقية ، مثلما حدث بعد ذلك بعدة قرون حينما غزت أوربا أرض الشرق تحت راية الصليب بدعوى تحرير بيت المقدس من يد المسلمين ، وكان أول ما فعلوه هو الفتك باخوانهم فى الدين فى مدينة القسطنطينية ، ثم شوهوا رسالة المسيح التى لبها عقيدة المحبة والتسامح فارتكبوا مذبحة مروعة عندما استولوا على القدس • اما حركة تدمير الأيقونات ، فهى حركة عمت العالم المسيحى الشرقى حتى فى الامبراطورية الرومانية البيزنطية نفسها فى تلك الفترة ربما بتأثير من العقيدة الاسلامية التى كرهت تصوير الأنبياء ؛ خوفا من أن يرتد الناس الى الوثنية التى كانت قريبة العهد • ولم تكن تلك الحركة موجهة ضد العقيدة المسيحية التى يكن لها المسلمون أكبر الاحترام والتقدير ، وان لم يسلم الأمر بطبيعة الحال من تسرب روح التعصب الجاهلة الى بعض القلوب ــ (المحرر) •

وفى سنة ١١٧٣ ، أرسلت حملة الى النوبة بقيادة الأخ الأكبر لصلاح الدين الأيوبى ووصل الى مدينة قصر أبريم التى دافع عنها النوبيون بشراسة ، ولكنهم هزموا ودمرت مدينتهم ، وورد فيما بعد أن حوالى سبعمائة الف من الرجال والنساء والأطفال تم أسرهم . ونستطيع قبول هذه الأرقام اذا أردنا (*) .

وفى سنة ١٢٧٥ ضم المسلمون السودان . وقام داود ملك النوبيين بعدة غزوات فى مصر ولكنهم طردوا منها بعد العديد من المعارك . وتقدم المسلمون داخل النوبة عن طريق النهر والصحراء ، واستولوا على قلاعها الواحدة بعد الأخرى وقتلوا أناساً كثيرين وهرب الكثير من النوبيين الى الجزر النيلية وخضعت النوبة لحكم المسلمين .

وفى سنة ١٢٨٧ ، أرسلت الى النوبة حملة أغارت على البلاد جنوب دنقلة فى رحلة استغرقت خمسة عشر يوماً ، ووضعت حامية فى دنقلة . ولم يتقهقر الجيش الرئيسي الا عندما هاج النوبيون وطردوا الحامية . وأرسلت حملة أخرى الى النوبة . وعندما دخلت الحملة الثانية الى النوبة ذبح الجنود كل من وجدوه وأحرقوا السواقى وأطعموا خيولهم بالمحاصيل . وهجرت دنقلة حيث هرب السكان الى جزيرة تبعد عنها مسيرة خمسة عشر يوماً الى الجنوب . أما شيمامون ملك النوبة فقد فر بعيداً الى الجنوب ولكن ضباطه خلعوه ، وقام رجال الدين الذين غادروا الى دنقلة بتعيين ملك آخر أقسم يمين الولاء وتولى أداء الجزية للمسلمين ، وما ان عادت الجيوش المصرية حتى ظهر شيمامون مرة أخرى وتجمع جنوده القدامى تحت رايته ، وهاجم الملك الجديد فى دنقلة وقتله بقسوة وأصبح سيد ذلك القطر مرة أخرى . وبعد ذلك تصادق مع السلطات فى القاهرة ووافق على دفع الجزية .

وفى سنة ١٣٠٤ ، أرسلت حملة الى النوبة لتقيم أماى الذى حضر الى القاهرة طالباً المساعدة — على عرشه .

(*) للأسف الأرقام التى يوردها الكاتب نقلا عن بادج تعوزها الدقة وتبدو فيها المبالغة واضحة — (المحرر) .

وفى سنة ١٣١١ ، حدث الكثير من القتل وخلع الملوك فى النوبة ، كما تم استدعاء القوات المصرية .

وفى سنة ١٣٦٥ ، حدثت فى النوبة نزاعات داخلية رهيبة ، وأرسلت قوة إسلامية استجابة لطلب أحد الأطراف .

وفى السنوات ١٣٧٨ ، ١٣٨٥ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٧ ، حدثت اعتداءات متنوعة بين المسلمين والنوبيين . وفى سنة ١٤٠٣ دخلت مصر العليا فى حالة من الخراب ، بينما توقف انتماء أسوان إلى سلطان مصر .

وفى سنة ١٤١٢ ، هاجمت قبيلة الهوارة أولاد كنز وهزمتهم وحطمت أسوار أسوان وحولت المدينة الى خرائب .

وبالرجوع الى الحقائق المستخلصة من كتابات المؤرخين المسلمين التى أشرنا اليها فيما سبق ، نجد أن غارات المسلمين وحملاتهم فى النوبة، التى حدثت فيما بين عامى ٦٤٠ ، ١٤٠٠ باستثناء واحدة أو اثنين ، كانت تقتصر على هذا الجزء من القطر الواقع بين أسوان وجبل برقل ، وعلى العموم لم تحدث محاولة جدية من جهة الخلفاء لحكم أو احتلال السودان من جبل برقل الى الخرطوم .

وعندما نتذكر الفتوحات العربية فى غرب آسيا ومصر وغيرها من البلدان ، يتأكد لنا أن خلفاء بغداد ونوابهم فى مصر أحبوا امتلاك وادى النيل والبلدان المجاورة ، وربما تملكوا أيضاً الأراضى التى تنتج العبيد والذهب والعاج كلما استطاعوا . وكان العائق الرئيسى الذى اعترض طريق طموحهم هو مملكة النوبة المسيحية وعاصمتها دنقلة . ويتضح لنا من ذلك أن مد الفتح الاسلامى من مصر فى اتجاه الجنوب قد استمر هناك حوالى سبعمائة عام .

لقد أصبحت المسيحية ديانة رسمية للنوبة فى النصف الأول من القرن السادس . وبالرغم من الغارات والاضطهادات ودفع الجزية الضخمة ، فان سكان وادى النيل تمسكوا بلغتهم وديانتهم المسيحية كما عرفوها ، حتى القرن الرابع عشر عندما تمزقت مملكة علوى المسيحية فى جزيرة مروى الى أجزاء .

وانتهت مملكة النوبة المسيحية التى امتدت من اسوان حتى النيل الأزرق بسبب المنازعات الداخلية ، والهجمات التى وقعت عليها من الشعوب التى عاشت على الحدود الشرقية والغربية والجنوبية .

واثناء القرن الرابع عشر بدأت القبائل الزنجية التى تقطن ما بين النيل الأزرق والنيل الأبيض تحتل الأماكن المرتفعة . وفى القرن التالى وجدت القبائل الزنجية أنها تمثل القوة العظمى فى القطر بعد سقوط دنقلة وصوبة ، عاصمتى مملكة النوبة المسيحية فى الشمال والجنوب على التوالى .

واعتنق هؤلاء الناس الدين الإسلامى .

واضمحلت العقيدة المسيحية فى هذا الجزء من وادى النيل بسرعة .

ولم تكن الأحوال طيبة قبل هذا اليوم بحوالى مائة عام . واقتبس العبارات التالية من كتاب بورخاردت (١) حيث يذكر لنا على الصفحة الحادية عشرة ما يلى :

« تعتبر جرش (٢) مثلها مثل كافة القرى التى مررت بها ، قليلة السكان وثلثا منازلها مهجورة . لقد خرب المماليك الذين اقاموا هنا شهوراً عديدة هذا البلد عند تقهقرهم أمام جيوش محمد على التركية . اما القليل الذى تركوه خلفهم فقد استهلكه الأتراك تحت قيادة إبراهيم بك بن محمد على الذى نجح أخيراً فى طرد المماليك من النوبة عبر الجبال إلى سهول دنقلة . وبعد تقهقرهم حدثت مجاعة مخيفة لقى خلالها ثلث سكان النوبة حتفهم بسبب الفاقة الشديدة . وتقهقر الباقون الى مصر واستقروا فى القرى الواقعة بين أسوان واسنا ، حيث أصاب الجدرى أعداداً منهم . أما السكان الحاليون فقد عادوا قبل شهور قليلة من زيارتى لهذه الأجزاء » .

أما عن وادى كوستامن فيقول بورخاردت : « دخل المماليك فى معركة مع جيوش إبراهيم بك وطردوا ، وعبروا النيل إلى الضفة الشرقية ،

(١) Travels in Nubia by the late J. L. Burckardt, London, John Murray 1822.

(٢) جرش قرية تقع جنوب معبد كلابشة المعروف فى وادى النوبة .

بينما استمر بعضهم فى السير جنوباً وهم ينهبون كافة القرى التى فى طريقهم » .

وفى الصفحة ٣٠ يذكر لنا ما يلى :

« وبعد ساعتين ونصف الساعة وصلنا الى قلعة ابريم التى تحولت الآن الى خرائب . وكان المماليك قد حاصروها فى العام الماضى . وأثناء عودتهم حاصروا قوات ابراهيم بك . وأثناء تلك العمليات هدمت الحوائط بالمدفعية القليلة التى كانت فى القلعة وسويت العديد من منازل القرية بالأرض » .

ويذكر بورخاردت أن سكان منطقة ابريم كانوا أغنياء :

« ولكن المماليك أثناء تقهقرهم فى العام الماضى دمروا ثمار قرن من الزمان فى أسابيع قليلة . لقد أخذوا من وادى أبريم حوالى ١٢٠٠ بقرة ، وجميع الخراف والماعز ، وسجنوا وجهاء البلد ، وتقاضوا فى مقابل إطلاقهم فدية تصل إلى مائة ألف دولار اسبانى . وعند رحيلهم قتلوا الحاكم . وأكل رجالهم أو دمروا كافة المؤن التى صادفوها . وأعقبت ذلك النهب مجاعة رهيبة » .

وتبع هؤلاء المماليك ذوى القلوب الرحيمة ، الجنود الأتراك الذين شقوا طريقهم جنوباً ، مروراً بالعديد من هذه البقاع التى سنذكرها فى هذه الصفحات حتى وصلوا أخيراً ، واستقروا فى دنقلة وسنتأكد أن سلوكهم تجاه السكان لم يكن أفضل من سابقيهم .

ومن الأفضل قبل أن نصف اللوحات والرسومات التى جمعناها هنا ، أن نذكر الأحوال التى تحكمت فى هؤلاء الذين أقاموا المبانى التى تدخل فى اعتبارنا . وقبل أن يصل الرحالة الى الشلال الأول فى طريقه جنوباً سيلاحظ ضيق الوادى الذى يتخذ النهر طريقه من خلاله .

لقد خرج من تكوين الحجر الجيرى ، وهو الآن فى تكوين الحجر الرملى النوبى الذى يمتد لمسافة طويلة نحو وسط أفريقيا .

وتنحصر الخضرة فى ضفتى النهر نفسه حيث رسبت مياه النهر الطمى الخصب . أما جوانب التلال الصخرية التى ترتفع فوق الضفتين فهى عارية تماماً ، ولكن حيثما تترك الصخور المرتفعة المتراجعة خلجاناً صغيرة ، فان الطمى يحمل الأشجار خاصة النخيل مع محاصيل القمح الهندى وغيره من المواد الغذائية حسب الفصل الزراعى وترتفع التلال الوعرة مشرفة على مجرى النهر دون أن تترك اى شريط ضيق للزراعة .

ونادراً ما توجد أية رقعة زراعية فيما بين أسوان وكوروسكو . أما مناطق الجانب الغربى الضخم التى تغطيها الآن طبقة رقيقة من الرمال فقد كانت مزروعة فى يوم من الأيام . ان سوء الادارة المريع على مدى القرون ، الذى تحاول مصر أن تنطلق منه الآن ، قد وصل بالوادى النوبى الى ادنى درجات القحط . ولكن هذا الوادى لم يزدهر بعدد ضخم من السكان فى أية مرحلة من تاريخه (١) . ومنذئذ لم يبق من المعابد العديدة التى أقيمت فى العصر الرومانى اية معالم تدعو للإعجاب .

وعندما يصل الرحالة إلى وادى حلفا ، يواجه المدخل الشمالى للشلال الثانى . وبينما يمثل الشلال الأول عائقاً لحركة الملاحة على مدى عشرة أميال يمكن عبوره بالقوارب من خلال الارتفاع المتوسط لمياه النهر ، فان الشلال الثانى يمثل عائقا أشد خطورة لأنه يتكون من سلسلة من الجنادل تغطى مسافة تقرب من ١٥٠ ميلا ويقع فى منطقة مهجورة وموحشة ، حتى انها تعرف باسم « بطن الحجر » .

وتتراجع الصخور الوعرة فى أماكن قليلة . وفى تلك الأماكن ترسب طمى النيل ، وفيها اقيمت مواقع الاستيطان حيث أمكن توفير القليل من

---

(١) منذ بناء خزان أسوان وتحول الوادى النوبى فى الجنوب منه الى خزان ضخم ، تغيرت الأحوال التى ذكرناها فيما سبق . لقد أصبحت الأرض المزروعة جنوب الخزان والممتدة حتى الدر ، مغمورة بالمياه شهورا عديدة مما أدى الى موت الأشجار واندثار القرى أو اعادة بنائها فى مناطق أكثر ارتفاعا ، ولكن عند بناء الكنائس كان الوادى بالحالة التى وصفناها . ولذلك وجدنا من المناسب اعادة ذكر القصة التى سبق كتابتها قبل بناء الخزان .

الزراعة . وفى هذه الأماكن نجد أن خرائب الكنائس تتكافأ فى حجمها مع فقر السكان .

واذا استمر تحركنا جنوباً فسنخرج من بطن الحجر وندخل فى السهول المنبسطة التى تكونت منها مملكة دنقلة القديمة . والحقيقة أن هذه المنطقة الموحشة لا تمثل أهمية أو جمالا للأنظار ، ولكن تربتها مستوية وخصبة وقد زرع جزء كبير منها .

ويعتبر الحجر الرملى فى النوبة أسوأ مواد البناء فى العالم فهو خشن الحبيبات ، وناعم ، يمتلىء بالعروق الصلبة والحصباء المتكورة .

وكان قدماء المصريين كما نرى فى صولب وسيدجنا ، والحكام الأثيوبيون (النوبيون) فى برقل (ناباتا) ونورى وغيرهما من الأماكن قد واجهوا المتاعب بسبب تلك المواد السيئة التى كانت فى متناولهم . ومن الواضح انهم استخدموا الطوب الأحمر بكميات ضخمة فى العصر المروى لأن التربة تعطى هذا الطوب الجيد ، واستخدمت الشجيرات الوفيرة فى الصحراء كوقود . وسار البناءون المسيحيون على نفس الخط حيث نهبوا معابد أسلافهم للحصول على الأحجار والطوب الأحمر ، وصنعوا الطوب الأحمر فى الأجزاء التى افتقرت الى وجود مخزون منه . وأقاموا سقوف كنائسهم على أعمدة صغيرة من الحجر الصلب وليس على دعامات مبنية وذلك بخلاف المعتاد فى مصر والنوبة . وكانت الأعمدة التى رأيتها من حجر صخرى بصفة عامة وكانوا يجلبونها من محاجر تومبس بالقرب من جزيرة أرجو ، التى تبعد جنوب صوبة بمسافة لا تقل عن ٦٥٠ ميلا عن طريق البحر وقد صنعت الأعمدة من هذا الحجر .

وبناء على ما ذكرناه ، نجد أن المبانى التى سنتعرض لها صغيرة فى معظمها وسهلة البناء . واستخدمت فى بنائها قوالب الطوب المصنوعة من الطمى . ونجد أن الضفتين فى الوادى النوبى شديدتا الانحدار مما يجعل الطمى نادراً ، ولا يتوافر الا قطع الأحجار كمادة متاحة فى التلال المجاورة . وتخلط هذه الأحجار بطمى النيل . أما الخشب فهو نادر .

وتبين لنا دراسة اللوحات المرفقة بساطة الأشكال وضآلة ابعاد العقود أو السقوف ، وعدم زخرفتها بالتفاصيل المحفورة فى المبانى التى أنشئت .

ويجدر بنا ملاحظة أن المصريين عندما تحولوا إلى المسيحية لم يقيموا آية كنائس بالطريقة التقليدية التى كان يستخدمها أجدادهم فى بناء المعابد ، لأنهم قاطعوا الماضى . ولدينا دليل مباشر على انهم استخدموا أجزاء من المعابد وحولوها إلى كنائس ؛ ولكنهم حرصوا على إخفاء الزخارف المعمارية والمنحوتة التى زينتها من الداخل .

وغطيت الزخارف التى على الحوائط بطبقة كثيفة من الجص ثم غطيت طبقة الجص بصور القديسين والرموز المسيحية وما الى ذلك . ولونت السقوف بنفس الطريقة .

وهنا نجد تناقضاً ملحوظاً بين ما تمر به معظم الأقطار عندما تدخلها سلطة جديدة ونماذج فكرية جديدة ، وبين ما حدث فى مصر . ان روما القديمة القوية المتفوقة تركت بصمتها فى مناطق عديدة خاصة عن طريق المبانى العظيمة التى تخلد حضارتها . وعندما نرى مبنى رومانياً نعرفه سريعاً ، وهذا ما يحدث فى بريطانيا وبلاد الغال والمانيا وآسيا الصغرى وغيرها ، فأساليب الانشاء وطراز البناء تحمل طابعاً لا تخطئه العين .

وقد ظلت مصر على مدى أربعة قرون تقريباً جزءاً من الامبراطورية الرومانية ونقشت أسماء الأباطرة الرومان على بعض المعابد الضخمة ، ولكن أين نجد فى مصر المبانى التى أقيمت بمعرفة الرومان وبالأسلوب الرومانى ؟ وأين توجد بقايا هذه المبانى ؟ اننى أعتقد أن أجزاء معينة من التحصينات (التى تحولت الى خرائب حاليا) بالاسكندرية والحصن الذى بناه تراجان فى مصر القديمة ويسمى حالياً بقصر الشمع هما النموذجان الوحيدان الباقيان من المبانى الرومانية .

وهناك خصائص معينة فى أساليب البناء التى استخدمها البناءون فى مصر القديمة وهى تختلف كلية عن الأساليب التى استخدمها الرومان. ولكن فى مصر ظلت هذه الخصائص محتفظة بتفردها ، ولذا يمكن ملاحظتها حتى فى المبانى التى تحمل القليل من الطابع والطراز الرومانى . ولذا نجد أن الجنس المقهور قد عمل على امتصاص هذه القوة الدخيلة فيما يختص بالتطور المعمارى .

وعندما كانت المسيحية فى روما قوية بما فيه الكفاية لاقامة المبانى التى تستخدمها ، فانها لم تستخدم اسلوباً غريباً لوضع التفاصيل المعمارية . وكما استمر أهل البلد فى الحديث بلغتهم ، استمروا كذلك فى استخدام طراز المبانى الذى اعتادوا عليه ، ولم يلجأوا الا الى التغييرات الضرورية لاقامة شعائر مختلفة ونظرة روحية مغايرة ، وتنحى العتب تدريجياً عن مكانه للعقد ولكن لم يحدث انفصال مفاجىء بين القديم والحديث .

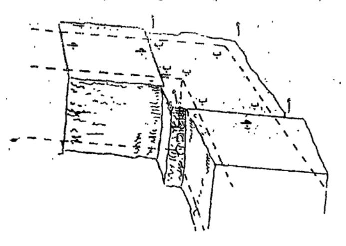
أما فى مصر ، فيبدو أن الديانة الجديدة عندما اقامت المبانى الخاصة بها ، أحدثت قطيعة كاملة نحو كافة الأساليب القديمة .

وكانت الرسومات التخطيطية للمبانى مختلفة بالطبع حتى تناسب احتياجات الطقوس الدينية الجديدة كما اختلفت التفاصيل المعمارية أيضاً . لقد استقدموا كل شىء من الشمال عبر البحار ، وسيطرت العناصر التى نعرفها باسم البيزنطية على كل شىء وطنى . وأينما وجدت أعمال الحجر المزخرف بالحفر أو النقوش ، لم توجد فيها دلائل تبين اننا ننظر إلى اشياء مصرية . وربما كان لمدينة الاسكندرية الاغريقية تأثير قوى أدى الى هذه النتيجة .

الفصل الثانى

الشكل العام للعمارة

من المهم عند دراسة موضوع تلعب فيه العمارة دوراً ملحوظاً ، أن تفسر الاصطلاحات الفنية المستخدمة بوضوح . ولابد من وضع الكاتب والقارىء فى الاعتبار . وفى موضوعنا الحالى سنتعامل مع المبانى التى أقيمت فى فترات مختلفة ، ونبين طرائق البناء التى تميز تلك الفـــترات بصفة عامة . وسنعمل على مراعاة الاختلافات فى المبانى التى أقيمت حسب التقليد المصرى القديم، تليها المبانى الرومانية والمسيحية والإسلامية وأخيراً مبانى العصور الحديثة الأدنى منزلة .



شكل رقم (١)

الطريقة المصرية فى تركيب الأحجار

ولا شك أن جميع الأعمال الضخمة فى مصر القديمة قد أقيمت تحت الاشراف الحكومى . وتنطبق هذه الملحوظة الى حد كبير على الأعمال العظيمة المبكرة التى بقيت لدينا ، كما تنطبق على تلك التى بنيت بعد خضوع مصر للرومان . وقد أشرنا منذ قليـل الى أن البنائين المصريين كان لديهم طراز تقليدى فى اقامة المبانى الحجرية ، استمر مرعياً تحت الاحتلال الرومانى . لقد بنيت المعابد التى نقش عليها اسم القيصر فى دندرة أو كلابشة أو فيلة حسب الأساليب المعتادة منذ ثلاثة آلاف عام أو أكثر مع القليل من الاختلافات .

والطريقة المصرية هى كما يلى (شكل رقم ١) : استخدمت كتل كبيرة وهائلة من الحجر ، أخذت فى بعض الحالات من المعابد المجاورة ولكنها كانت فى غالبية الحالات تجلب من مسافات بعيدة . وتم الحصول على كتل الأحجار من المحجر حسب الشكل الذى ستوضع عليه فى حائط المبنى تقريبا . وكان الفاقد من الخام فى المحاجر قليلا ؛ لأن الكتل تؤخذ من داخل الكتل الصخرية فى شكل مستطيل ثم تنقل بهذا الشـكل الى الجهة المقصـودة .

ويسوى السطح السـفلى للكتلـة وكذلك أطرافهـا التى تتاخم الأحجار المجاورة . اما جوانب الكتلة فقد ظلت محتفظة بشكلها الخشن الذى خرجت به من المحجر . وفى هذه الحالة كانت توضع الأحجار فى موضعها من الجدار . واصبح من السهل مع سطح الكتلة الخشن هذا ، تحريكها بدون تلف بمساعدة الأدوات البسيطة التى استخدمها المصريون كما هو واضح لنا .

وبعد وضع الحجر فى مكانه تسوى القمة لتحديد مسار الطبقـة التى تعلوها وبذلك يرتفع الحائط ، وقد ظهر منه الوجه غير المستوى للبناء الصخرى سواء من الخارج أو الداخل . ولم تستكمل بعض المبانى الى ما بعد هذه المرحلة . وعند الوصول بالمبنى الى مرحلة أكثر تقدماً ؛ يقوم البناء بقطع زوائد الأحجار حتى يصل الى وجه الجدار المطلوب مثلما يحدث عندما يشق الصخر الصلب ليستخرج منه البنيان / وتحتفظ

الكتلة الحجرية (اااا) بشكلها الذى خرجت به من المحجر الا فى الأسطح التى تتلامس فيها مع الكتل المجاورة (ج ج) . وعند استكمال البناء ، يتم قطع كافة هذه الأجزاء الزائدة للوصول الى الخط المنقط (ببب) .

وهناك خاصية أخرى فى أعمال البناء المصرية وهى ندرة استخدام « الأحجار الرابطة » ونتيجة لذلك ؛ فانه عندما كان الحائط سميكاً بحيث يحتاج الى وضع صفين أو ثلاثة صفوف متجاورة من الأحجار ، فانها لم تكن تربط باستخدام الأحجار المتقاطعة بل توضع جميع الأحجار فى وضع طولى ولذلك فمن المعتاد اكتشاف أن نصف سمك الحائط قد سقط تاركاً النصف الآخر قائماً فى حالة خطيرة .

وكان التأثير الرومانى بالنسبة لهذا الطراز محدوداً ، ففى الطراز الرومانى تربط الزوايا بشكل افضل مع العناية الزائدة بتوازن الأحجار الضخمة . ومن المحتمل استخدام آلات افضل لرفع الكتل الضخمة ، ولكن بقيت الأساليب بوجه عام كما كانت من قبل . اما العمارة الرومانية الخالصة والتى اقيمت بالأسلوب الرومانى فلا يوجد منها فى مصر الا القليل . وبقدر علمى فان ابصارنا لا تقع الا على القليل منها .

وعندما وضعت المسيحية اقدامها فى الاسكندرية للوهلة الأولى ، وجدت مدينة عظيمة بالقدر الذى استطاع الاغريق أن يعرضوه على العالم . ولكن العقيدة الجديدة التزمت التحرك بحذر واخفت رأسها فى مصر مثل غيرها من الأماكن . ولا بد من افتراض أن المسيحيين اقنعوا انفسهم بقبول المبانى الفقيرة والمتواضعة فقد كان ذلك أمراً لا مفر منه . « كانت المحاجر والمناجم تخص السلطة الرومانية ، وتعمل تحت الاشراف المباشر للحكومة التى أجبرت العمالة على العمل تحت سيطرة الحراسة المسلحة » (١) . ولم يستطع المسيحيون استخدام المحاجر تحت هذه الظروف حتى اعترفت الحكومة بالعقيدة المسيحية .

---

(١) A Histoly of Egypt under Roman Rule, by J. G. Milne, M. A. P. 127, Methuen & Co., London, 1898.

وجد المسيحيون الأوائل فى الاسكندرية الديانة القديمة قائمة فى مبان رائعة . ولم يكونوا قد تعودوا على ممارسة طقوس العقيدة فى مبان عادية المستوى . ولابد من مراعاة هذه الحقيقة ، لأنها تجعلنا نتعجب كثيراً ازاء فقر الكنائس التى بقيت لدينا ، فيما عدا استثناءين أو ثلاثة . وليست لدينا بقايا مبان ذات مظاهر جديرة بالاعتبار ، بحيث يقال انها خربت وأحرقت وقامت من وسط الرماد منكمشة وحزينة ولكنها كانت فى الأحياء القديمة . اما البدايات الأولى للكنائس الأقدم التى مازالت باقيـــة فهى صغـــيرة وغير ذات أهمية . لقد أرجعنا ما ذكرناه فى الصفحـــات السابقـــة الى الاضطهـــادات التى حدثت أثناء حكم سفيـــروس (١٩٣ — ٢١١ م) وداكيوس وفاليريانوس . وسمح للمصريين بحرية ممارســـه ديانتهم فى ايام الامبراطور جالينوس (٢٦٠ — ٨) وتلا ذلك الاضطهاد البغيض فى أيام دقلديانوس . ولذلك فمن المنطقى القول بأن المسيحيين لم يتملكوا المعابد القديمة أو يشقوا طريقهم الى المناجم بحرية الا فى عصر الامبراطور قنسطنطين (٣١٣ م) . وحتى ذلك الحين لابد من القول بأن المسيحيين تعودوا على الكنائس ذات الأبعاد الصغيرة فيجتمعون معاً كما كانت العادة فى بلاد اليونان . ولم يرغبوا فى التنافس سواء مع الطراز الملكى لمعابد أجدادهم أو مبانى النبلاء ذات الأبعاد المهيبة التى مازالت قائمـــة بالاسكندرية . لقد كانت المسيحية انقطاعاً مطلقاً عـــن مصر القديمـــة بالرغم من جهودها فى العمارة .

ولا نجد سوى القليل من بقايا الكنائس المبنية بالحجر انطلاقاً من الظروف التى ذكرناها آنفاً . وبينما نجد أساليب البناء الواضحة لدى بناة المعابد ، فلا يوجد العدد الكافى من الكنائس القديمة التى تشير الى نشأة أسلوب للبناء .

ويعتبر الحائط الخارجى للكنيسة التى فى دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض بالقرب من سوهاج) نموذجا قائماً بذاته ، ولكن بالرغم من أن المكان يشابه فى الكثير منه معبداً مصرياً الا أن العمارة مختلفة ، فلم تكن الكتل الحجرية موضوعة بنفس الطريقة الواردة فى الشكل رقم ١ ، وكذلك فإن الأدوات غير متشابهة . أما الشىء المشترك بين الاثنين فهو غياب

الروابط . وبالرغم من أن الأسلوب المصرى القديم لم يطبق فى العمارة الا أنها تأثرت بالنقل عن أسلوب الرومان الذى لم يتجاهل نظام الربط بعناية فائقة .

أما بقايا كنيسة دندرة (اللوحة رقم ٥١) التى تدل على عمـــارة جديرة بالاعجاب ، فانها تكشف لنا عن ارتباط وثيق بالماضى حيث ربطت كتل الحجر بعضها البعض عن طريق استخدام (غنفرة) كانت شائعة فى المبانى القديمة ، وقد بنيت هذه الكنيسة بحجم صغير . (اللوحـــة رقم ٣ : الخريطة رقم ٢) .

وللمرة الثانية نجد أمامنا فى كنيسة دير أبى حنس (انظر اللوحات أرقام ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) قدراً كبيراً من التفاصيل المقبضة ولكنها تكشف عن إصالة رفيعة . ومن السهل يعقب الفكرة الأصلية للكنيسة لأنهـــا صغيرة للغاية . وأيا ما كان مدى تحكم المسيحيين فى المحاجر خلال هذه الفترة ، فانهم لم يستخدموها الا قليلا .

ان هذه الخصائص كلها واضحة ولكن يصعب الحديث عنها . فهل هناك شيء يفرض علينا الاقتناع بالانصراف الفجائى عن ممارسة كافة الفنون فى العصر المسيحى المبكر ؟

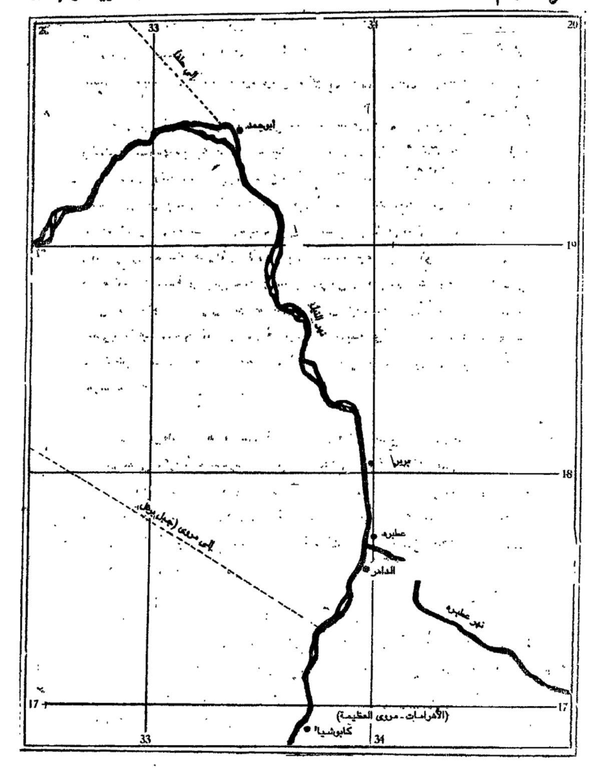
لقد انتشرت روح التقشف والعزلة وتحقـــير الـــذات التى تثير الاشمئزاز فى البلد مثل مرض مخيف ، واحتدمت لعدة قرون . ويورد لنا ليكى الكثير عنها (١) . لقد اعتبر كل ما هو جميل ومفرح أو حتى نظيف مصدراً للفساد الأخلاقى فى خيال هؤلاء النساك المخدوعـــين . وكيف يمكن قبول المبانى الفخمة فى مثل هذه الأحوال ؟

وهناك قصة مميزة نقرؤها فى كتاب : بستان الآباء القديسين (٢) ويقدم لنا هذا السفر الأمين تاريخ النساك والمعتكفـــين والرهبـــان

(١) History of European Morals, by W. E. H. Lecky. Longmans, Green & Co. New impression, 1910, Vol. II, pp. 101-232.

(٢) The Paradise of the Holy Fathers, Translated by Dr. E. Wallis Budge, Chatto & Windus, 1907. Vol. 1, p. 310.

لـوحة رقم ٢ (الخريطة رقم ٢)



والزاهدين فيما بين عامى ٢٥٠ ، ٤٠٠ للميلاد . ونجد ضمن هـؤلاء تانون باخوميوس فى تابنيسى Tabenna حيث نقرأ فى الفصل الرابع عشر « كيف أن الأنبا باخوميوس لا يبقى على المبانى الجميلة » .

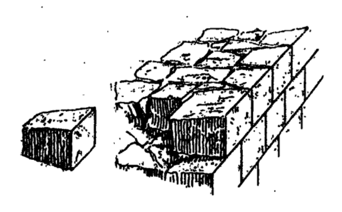
« وبنى القديس باخوميوس كنيسة صغيرة فى ديره وأقام لها أعمدة وغطى أسقفها بالبلاط وأثثها بالأثاث الجميل وأحس بسرور زائد ازاء هذا العمل لأنه بناها جيداً . وعندما اختلى بنفسه أعلن من خلال وكالة الشيطان أن جمال الكنيسة قد يدفع الانسان للاعجاب بهذا الشىء وأن البناء قد ينال المديح . وفجأة قام وأحضر حبالاً وربطها حول الأعمدة ، وصلى فى نفسه ، وأمر الأخوة بان يساعدوه ، فاحنوا أجسـامهم ، فسقطت الأعمدة والمبنى كله (حتى الأرض) ، وقال للاخوة . احترسوا حتى لا تبذلوا قصارى جهدكم للمبالغة فى زخرفة عمل أيديكم ، وابذلوا أقصى عناية ممكنة لتكون نعمة الرب وعطيته فى عمل كل منكم وبذلـك لا يتعثر العقل بسبب مديح المحتال (ابليس) الشرير ولا يفوز المفترى بفريسته » .

ومن المؤكد أن هذه التخيلات السقيمة لم تطبق بحذافيرها . اذ نجد فى كل مبنى تقريباً ، بصرف النظر عن مدى الخراب الذى لحق به ، دلائل على وجود رسومات فوق الجدران ، وكذلك نقشت تيجان الأعمـدة وأسطح الأفاريز بغزارة وبراعة . ولكنها مثل أعمال العمارة لا تكشف عن أى رغبة أو طموح نحو الفخامة والترف فإن الجزء الأكبر من المبانى لا يحظى بالاعجـاب .

ومن ناحية أخرى ، فاننا نجد فى الفصل السابع من كتاب الدكتور أ. ج. بتلر المثير (فتح العرب لمصر) (١) ما يشد انتباهنا نحو حقيقة أن الفنون كانت تمارس فى الاسكندرية على الأقل ، قبل الفتح الإسلامى . ومع توافر الدليل على أن الفاتحين العرب أفادوا أنفسهم بالمعارف التى كانت لدى الصناع المسيحيين فى القطر المصرى ، فإننا نفترض أن نوعية

(١) Thl Arab Conquest of Egypt, by A. J. Butler, Oxford, Clarendon Press, 1902.

العمارة الحجرية التى نشاهدها الآن فى المباني ذات الطراز الاسلامى موروثة بشكل مباشر . ولا شك أن المبانى الأولى التى أنشأها العرب تحمل هذه المعالم ، ومنها على سبيل المثال ما يتميز به جامع عمرو الذى يتكون من حوائط عادية وسقف منبسط من جريد النخيل ، وهو يخلو تماماً من اللمحات الفنية التى تتميز بها المبانى الحديثة التى تقام فى مصر . ولكن عندما استقر الفاتحون تماماً طلبوا مساعدة الصناع المهرة ، وهو ما يوضح أن المسيحية والاسلام سارا جنباً الى جنب فترة معينة بدون مصادمات جدية . ولم يدخل العربى مكتسحاً كل شىء سابق عليه ولذلك بدأ فن البناء فى الانتعاش .



شكل رقم (٢)
البناء الحجرى الغربى

وتظل الحقيقة ماثلة وهى ندرة الأحجار المستخدمة فى بناء الكنائس ، فمعظمها مبنى من الطوب اللبن تقريباً ، ومازالت المبانى الحجرية الباقية شديدة الاختلاف ، وتشمل فى معظمها اما رؤوس الأعمدة المحفورة أو الافاريز من الطراز الاكانثى الردىء التنفيذ ، أو الواجهات العادية للجدران الرديئة البناء . وبينما يتكون قلب الجدار من الدبش الردىء فإن واجهته تتكون من قطع من الأحجار التى قليلا ما يتجاوز حجمها مقدرة رجل واحد على رفعها بسهولة حيث توضع فوق السطح المكشوف . اما الجوانب الأخرى للكتلة ، سواء أكانت أكثر أم أقل تشكيلا ، فانها تظهر ضئيلة كلما ابتعدت عن الواجهة (انظر الشكل رقم ٢) .

والآن علينا أن ننظر فى المبانى المقامة بالطوب اللبن : لقد قيل ان المبانى الضخمة فى مصر القديمة كانت تشيد تحت اشراف الحكومة ، وينطبق ذلك على المبانى المقامة بالطوب اللبن ، وكذلك المبانى الحجرية . ورغم ضخامة كتل الأحجار التى استخدمها قدماء المصريين ، الا ان أسلوب البناء بالأحجار كان معيباً كما وضحنا من قبل . وينطبق هذا القول على المبانى المقامة بالطوب اللبن وأيضاً المبانى الحجرية . كان الطوب اللبن المستخدم فى المبانى الحكومية مصنوعاً من طمى النيل المجفف فى الشمس مخلوطاً بالتبن . وكان حجمه كبيراً اذا قورن بالأحجام المناسبة للاستخدام . وكانت الجدران بالغة السمك الا أن الطوب اللبن كان يوضع دون اعتبار للربط . وكانت الواجهة توضع فى صفوف تبادلية ما بين الوضع المستعرض والوضع الطولى للطوب . ولكن الكتلة كلها تشكل الدماك بدون عناية ، ونتيجة لذلك فإن الطوب اللبن لم يتداخل فى بعضه البعض واستقرت الواحدة منه فوق الأخرى . ومن الواضح أن الجدار الذى يبنى بهذا الاهمال لن يتميز بالقوة الحقيقية ويسهل سقوطه حتى لو بلغ سمكه أربعة أو خمسة صفوف ، فيتحول إلى قطع حسب وضعها فى الاتجاه الطولى ، مع بروز القرميد من الجدار خاصة اذا أصابت الرطوبة الصفوف السفلية أو تعرضت للعنف .

ولم يستخدم قدماء المصريين القرميد الكبير الحجم فى شئونهم المنزلية ، فقد كان القرميد الذى يستخدمونه متناسباً مع الحجم المستخدم حالياً . وتبين البقايا القليلة التى تركوها لنا أن العمال لم يهتموا بالربط حتى فى هذه الجدران .

ولا توجد لدينا فى المبانى الكنسية بقايا من المبانى الرومانية التى أقيمت من القرميد الفاخر . ومن غير المستحيل أن تظل مبانى القرميد التى أقيمت أثناء الاحتلال الرومانى موجودة فى بعض الكنائس ، وان كان لا يوجد دليل يثبت ذلك . والطوب المستخدم صغير ومجفف فى الشمس الا اذا استدعت أسباب خاصة ما يخالف ذلك .

وتتميز بعض المبانى بالروابط الجيدة ، ويتم تبـادل الصفـوف باستخدام القرميد طولياً وعرضياً بانتظام . فهـل هـذه المبانى بقايـا الكنائس الأكثر قدماً ؟ وغالباً ما توضع القوالب الطولية مسطحة بينما توضع القوالب المستعرضة على طرفها الجانبى والسبب فى ذلك معروف وهو أن المادة المستخدمة ضعيفة لدرجـة أن القوالب المستعرضـة تتعرض للكسر سريعاً إذا لم توضع على طرفها الجانبى .

ولن نستغرب عندما نكتشف أن قوالب الطوب وجودة الصنعة تختلف كثيراً ، اذا عرفنا أن معظم الكنائس التى صادفناها قـد تعـرضت للاصلاح أو أعيد بناؤها بعد الدمار الذى أحدثته حروب المسلمين او الصراعات بين مذهبى الملكانيين وأتباع الطبيعة الواحدة ، وتحت ظروف الفقر الطاحـن .

ولا يختلف أسلوب البناء بالقرميد الذى استخـدم فى الكنائس عـن ذلك الذى استخدم فى المساجد ، وليست القبة هى الغطـاء المعتاد بالنسبة للمسجد ؛ ولكنها استخدمت فقط لغرف الدفن الملحقة بمعظـم المساجد . ومن ناحية أخرى كانت الكنائس تغطى عادة بالقباب والعقود . وبالرغم من أن الكثير من الكنائس لم تبن فى الأصل بهذه الطريقة كمـا نتمنى أن نوضح ذلك ، الا أن اقامة سقف الكنيسة كانت تحتاج الى علم أعمق مما يحتاجه سقف المسجد . ولكن من جهة أخـرى بقيـت الكنائس صغيرة الحجم بحيث أمكن التغلب على مصـاعب البنـاء ، واستخدم فى بنائها الطوب الخام الردىء الربـط . وكانت الأسطـح الداخلية بالغة الخشونة ولكنها غطيت فى جميع الأحـوال بالجـص المزخرف باللوحات الملونة ؛ سواء أكانت موضوعاتها زخرفية أم آدمية .

أما وقد أوضحنا الطريقة التى استخدمت بها مواد البناء خلال الفترة التى أقيمت اثناءها المبانى التى شاهدناها ، فمن الضرورى أن نتعقب الآن أساليب تخطيطها بقدر استطاعتنا . من سوء الحظ أن الكنائس الفخمة التى نسمع عن وجودها بالاسكندرية قد اختفت بكاملها ، وكان

عددها كبيراً ، فكانت هناك كاتدرائية الملاك (١) وكنيسة أركاديا (٢) وكنيسة القديس أثناسيوس (٣) والقيصرية (٤) وكنيسة القديسين قزمان ودميان (٥) والقديسة أوفيميا (٦) والقديس فاوست (٧) والقديس يوحنا المعمدان (٨) والقديس مرقس (٩) والقديسة مريم دوروثيا (١٠) والقديس ميخائيل (١١) والقديسة صوفيا (١٢) والقديس ثيودور (١٣) .

ويعتبر الشرق موطن المبالغة ، ولكننا اذا قبلنا فقط نصف البيانات التى أوردها الكتاب القدماء فسنجد لدينا بعض النتائج العظيمة :

فعن كنيسة الملاك : « كانت كنيسة الملاك حسب ما أورده الدكتور بوتى Dr. Botti تسمى أصلا الكنيسة الأركادية . أما الأركادية فكانت تسمى أصلا الكلودية . ثم نسبت الأركادية الى الهادريانية . (انظر كتاب بتلر المذكور : فتح العرب لمصر — ص ٣٨٥) وهو يظن أنه من الصعب ابتكار مثل هذه المسميات؛ ولكنه يذكر لنا أن جريجوروفيوس Gregorovius يعود الى أبيفانيوس Epiphanius كمصدر للقول بأن معبد هادريان قد تحول الى كنيسة . »

---

(١) انظر كتاب : Butler, The Arab Conquest of Egypt ، ص ٥٢ والملحوظة ، وكذلك ص ٣٨٥ والملحوظة .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨٥ والملحوظة .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥ ، ٣٧٢ والملحوظة .
(٤) المرجع نفسه ، ص ١١٥ ، ٣٧٢ والملحوظة .
(٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧ ، ٣٨٥ والملحوظة .
(٦) المرجع نفسه ، ص ٧٣ والملحوظة .
(٧) المرجع نفسه ، ص ٣٣٩ .
(٨) المرجع نفسه ، ص ٣٨٥ .
(٩) المرجع نفسه ، ص ١١٥ ، ٣٧٢ ، ٤٤٩ .
(١٠) المرجع نفسه ، ص ٣٧٢ .
(١١) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .
(١٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨٩ .
(١٣) المرجع ، نفسه ، ص ١٥ ، ٣٧٢ .

كان معبد هادريان عبارة عن بناء معمارى عظيم ولا بد أنه تحول الى كنيسة فخمة » .

وعن كنيسة أركاديا : يسجل الطوخى فى تاريخه (Migne, t. III, Cols. 1025-6 & Col. 1030) « أن ثيوفيلوس بنى كنيسة ضخمة باسم الامبراطور ثيودوسيوس وقد غطاها كلها بالذهب ، هذا بالاضافة الى كنائس أخرى عديدة مثل كنيسة القديسة مريم وكنيسة القديس يوحنا . بينما يقول عن الأركادية : « وبنى كنيسة عظيمة بالاسكندرية أطلق عليها اسم الأركادية » . ويتفق هذا تماماً مع ما سجله يوحنا النقيوسى منذ فترة طويلة حيث يذكر أن « البطريرك ثيوفيلوس بنى كنيسة عظيمة أطلق عليها اسم الامبراطور ثيودوسيوس ، وبنى كنيسة أخرى أطلق عليها اسم ابنه أركاديوس . وكذلك حول معبد السرابيوم الى كنيسة أطلق عليها اسم هونوريوس » (كتاب بتلر ص ٣٨٢ والملحوظة) .

البناء بالطوب اللبن

مما يساعد القارىء على تقييم أشياء كثيرة ترتبط بالمبانى التى سنورد وصفاً لها ، أن يتعرف الآن أساليب البناء التى استخدمت عند بناء الكنائس ، هذه الأساليب التى مازالت حتى الآن تفسح الطريق للشعور باليأس والحقارة والقبح والفتر ، الذى يبدو لنا كاحدى نقائص حضارة القرنين التاسع عشر والعشرين .

من المعالم التى أشرنا اليها بأنها كانت معتادة فى النماذج القديمة الباقية ، استخدام القرميد .. إنه من الخطأ حقاً أن نظن أن القرميد استعمل فقط فى بناء المعالم العادية ، فلدينا ما يدل على أن المعابد قد بنيت فى حالات معينة بنفس هذه الخامة . ومازال العديد من الأهرام الضخمة المبنية بالقرميد قائماً . ومن تلك المعالم أيضاً استخدام العقود . وعلى أية حال فإننى لا أدرى أن شيئاً جديداً قد اكتشف فى طبيعة السقف المقبى ، ولكن مثل هذا النظام فى إقامة السقوف كان معروفاً ، لأنه من

الصعب بقاء النماذج لمدة أربعة أو خمسة آلاف عام (١) . ان مادة طمى النيل التى صنع منها القرميد معرضة للاستخدام مرات عديدة . أما رطوبة التربة الناتجة عن الفيضان السنوى فسرعان ما تقلل المعروض من هذه القوالب فى شكلها الطينى البدائى (٢) ومن الطبيعى ألا نجد بقايا العديد من المنازل العادية ، ومن الواضح أن حجرات المنزل العـــادى كانت مغطاة بسقوف مقبية من القرميد ، وأن المنازل كانت ترتفع الى أكثر من طابق . ومن الواضح ندرة الخشب التى لا نشك فى أنها هى التى تحكمت فى أساليب البناء ، وأثرت فى معظم تفاصيل العمارة . وكانت الأقبـــاء تقام بدون تمركز كما بنيت العقود بنفس الطريقة ، وأقيمت المبـــانى الضخمة بدون سقالات خشبية .

ان تقاليد البناء التى ذكرناها سابقا كانت هى تلك التى طبقت لدى بناة القسم الأكبر من الكنائس ، ولنذكر الآن وصفا تفصيليا لها .

الطوب اللبن :

من المعروف أن مادة الطوب اللبن وهى طمى النيل كانت متاحـــة فى كل مكـــان من الدلتا وفى الجزء الأكبر من وادى النيل . أما الوادى النوبى من الشلال الأول حتى الشلال الثانى فهو ضيق جداً ومن هنـــا يأتى الاختلاف ، لأن الضفتين المنحدرتين الصخريتين تقتربان من مجرى النهر ويصبح الطمى المناسب لعمل الطوب أكثر ندرة من الأحجـــار . ويتيح الطمى فى بعض أجزاء الضفتين عمل قرميد جيد عنه فى أجـــزاء أخرى . والطين الذى يستخدمه صانعو القرميد فى هذه الأيام يماثـــل الطين الذى كان يستخدم فى مقابر مصر القديمة .

وتصنع النوعيات العادية من القرميد من الطمى فقط ، بينما تصنع النوعيات الأفضل عن طريق خلط التبن مع الطمى . وهناك مادة أشد

(١) تعتبر السقوف المقبية المدعمة فى الحائط التى اكتشفها مستر ريزنر فى قرية نجع الدير قبابا حقيقية .

(٢) يلاحظ بعد هجر المبانى أن سرعة الرمال التى تحركها الرياح فى الظروف المناسبة لهبوبها تذيب الحائط القـــام من الطوب اللبن حتى مستوى السطوح المحيطة به .

صلابة مازالت تخلط مع الطمى والتبن هى روث الماشية . وبالطبع فان الطوب الذى يصنع بهذه الطريقة ردىء التكوين — والخطأ هنا هو خطأ الصانع وليس أسلوب الصناعة — ويعوج سطحه قليلا أثناء التجفيف . وتوضع القوالب الحديثة الصنع من الطين فى صفوف لكى تجف فى الشمس وهو ما يحدث سريعاً ثم تعاد العملية مرة أو مرتين . وعندما يحتاج الأمر الى قوالب صلبة فانه لا بد من استمرار عملية التجفيف لفترة مناسبة . وتنحصر خاصية طمى النيل فى أن مثل هذه العجينة تصبح صلبة وكثيفة بشكل غريب . ونلاحظ ندرة الوقـود حتى نصل الى السودان ، ونتيجة لذلك فانه لا يتم حرق معظم الطوب . ومن النادر استخدام الطوب الأحمر فى بناء الكنائس القديمة فيما عدا الدعامات والعقود وأحيانا فى المداميك السفلية من الجدران . ومن الطبع أن يكون الطوب الأحمر أقل تأثراً بالرطوبة من الطوب اللبن . وبمجرد وصولنا الى جنوب بطن الحجر عند الشلال الثانى ، سنجد العديد من شظيات الطوب الأحمر كما ذكرنا منذ قليل . وهذه المنطقة وهى عبارة عن سهل من الطين تتيح أفضل نوعيات الطمى لأداء هذا الغرض . وتمتلىء المنطقة الصحراوية الممتدة على جانبى الشريط المزروع والتى تحد نهر النيل بالطلق والشجيرات الصغيرة ولذلك يسهل الحصول على الوقود الكافى ، وينشط النمل الأبيض فى هذه التخوم . وهذه الحشرة الصغيرة الضارة تتخلل الطوب اللبن بسهولة بالغة ، ولكنها لا تستطيع شق طريقها فى الطوب الأحمر الذى أحرق بشكل جيد ، أما الأحجار فهى رديئة بالاضافة الى ندرتها وهذا هو السبب الحقيقى فى استخدام الطوب الأحمر الذى نجد كميات كبيرة منه .

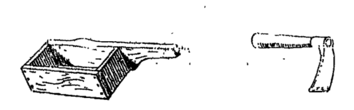
ويخدش العامل سطح القالب بأصابعه ويهزه فى العجينة ليحقق تماسك المونة . وتستخدم لبناء العقود نوعية خاصة من قوالب الطوب أكبر من الطوب المستخدم فى بناء الجدران من حيث الطول والعرض وأقل منه سمكاً وهى تصنع بعناية أكبر مع زيادة كمية التبن . ويخدش السطح العلوى لهذا الطوب بالأصابع الإبهام والوسطى والسبابة من يد العامل اليمنى .

المونة (الملاط) :

تصنع المونة المستخدمة فى معظم الحالات من نوعية جيدة من طمى النيل ويخلط بها التبن والروث حسب درجة الصلابة المطلوبة .

طريقــة البناء :

من السهــل معرفة الكيفية التى أقيمت بها المبانى القديمة لأن هذه الكيفية ما زالت مستخدمة حتى الآن . ولما كانت هذه الأســاليب فى طريقها الى الزوال كما ذكرنا من قبل فمن الأفضل أن نصف فى هــذا المكان بناء منزل صغير أقمته بقرية الكاب فى المحاميد بمصر العــليا ، وبعض أجزائه مغطاة بعقد متصل وجزء آخر تغطيه قبة وقــد اخترت هذين الأسلوبين لاقامة السقف ليس فقط لأنهما مناسبان للمناخ المصرى افضل من الخشب فى كافة أشكاله ، ولكن لأننى أردت أن أرى بعينى كيفية انجاز الطرازات التقليدية من المبانى . تمت صناعة الطوب وأقيمت النجارة — ويالها من نجارة رهيبة — فى الموقع . ومن ناحيتى فاننى أشعر بالاقتناع لقدرتى على الانتقال بنفسى الى القرن الثانى للميلاد أو سنة ٢٠٠٠ ق.م. فقد شاهدت البناء وهو ينفذ بنفس الأسلوب فيهمــا عــدا بنــاء القبــة .



شكل رقم (٣) : قالب صنع الطوب والقدوم

وقد بنى جزء من العمل الذى سأصفه فى سنة ١٨٩٥ ، والجزء الآخر فى سنة ١٨٩٦ . لقد وجدنا صانع الطوب ووصل بأدواته المكونة من قالب صنع الطوب والقدوم وفأس صغيرة (انظر الشكل رقم ٣) ، وبعد أن اختار على ضفة النهر موقعاً ظن أن الطمى الذى فيه من نوعيــة

مناسبة ، أحضر بعض الرجال واقتطع الطين الضرورى . وتكبونت العملية من عمل حفرة ، وخلط الطين الذى تم تقليبه بقدر مناسب من الماء . وفى نفس الوقت قمت بشراء التبن . وتم تقليب الطين مرات عديدة على مدى عدة أيام ثم نثر التبن ومزج الخليط جيداً . وجرى تنفيذ العمل الذى فى داخل الحفرة أحيانا بالقدمين واليدين وأحيانا بالطورية وهى فأس لها يد طويلة تستخدم فى أعمال الزراعة . وبعد أن أحس صانع الطوب بالرضا حيال صلابة العجينة بدأ فى عمل قوالب الطوب .

وبعد فرش القليل من الأحجار الناعمة وقطع الشجيرات القصيرة والكثيفة من مكان متوسط الارتفاع على الضفة الجافة للنهر ، قام ولد صغير بتزويد صانع الطوب بالطين الذى كومه على شكل ربوة صغيرة وصار الصانع يأخذ بين يديه كمية مناسبة من الطين لملء القالب ، وتسويتها فى داخله ، ثم يمرر يده فوق قمتها ، ثم يرفع بلطف القالب الذى سبق له أن ألقى داخله قليلا من التراب لمنع التصاقه بالطين . وينزلق قالب الطوب الحديث الصنع من خلال قاع القالب الخشبى ويظل على الأرض حتى يصبح صلباً وجافا بما يكفى لنقله .

ويستطيع الرجل الواحد أن يصنع أكثر من ألف طوبة فى اليوم الواحد .

وقد دونت مذكرات عن هذا العمل أثناء مزاولته يوماً فيوماً ، وأظن أن أفضل طريقة لوصف العمل هى نشر هذه المذكرات .

أما وقد قررت بناء غرفة تغطى بقبو أسطوانى ، فقد خططت على الأرض المقاييس التى ظننتها مناسبة ، وأرسلت فى طلب البناء . كانت أبعاد الغرفة أربعة أمتار فى سبعة ، وسمك الحائط نصف متر فى كلا البعدين . لقد انقضى عصر فن بناء الأقباء ؛ لدرجة أنه لا يوجد سوى القليل من البنائين الذين يستطيعون تنفيذ مثل هذا العمل . ونحن نباهى فى قريتنا بالعثور على مثل هذا الفنان الذائع الصيت فى مجال اقامة العقود والقباب وقد أرسلنا فى طلبه من النوبة لأداء العمل .

وجاء البناء ، ولم أعجب لاكتشاف أنه جاء وليست معه سلالم أو أجهزة من أى نوع فلم يكن معه سوى القليل من الثياب والقدوم . واستطاع بناء العقد بعرض أربعة أمتار مع الطول الذى أريده ، ولكن سمك وارتفاع الجدران اللذين قررتهما لم يعجباه . ان الجدران الجانبية لا بد أن تكون أكثر سمكاً وأقل ارتفاعا .

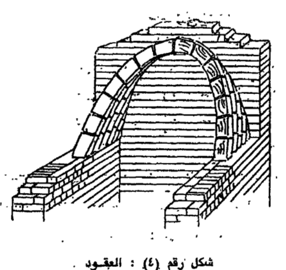
وأخذ قطعة من البوص وجعلها بطول الذراع (المسافة من المرفق حتى طرف الأصبع الوسطى بالإضافة الى طول الأصبع الوسطى من الطرف الى المفصل الذى بين سلاميات الاصابع ، وهذا الذراع يساوى الطول القياسى وهو ٥٨ر٠ متراً = ٢٢¾ بوصة) .

قاس بعدى الحجرة فوجد ان عرضها يساوى ٦½ ذراع . وقاس نسبة السمك المناسب للجدران الجانبية باستخدام الخطوات التى يخطوها بقدميه العاريتين فوق الموقع الذى رسمته . ثم ضم مسافة الكعب الى أصبع القدم بما يعادل ثلاثة أطوال القدم (تساوى حوالى نصف قدم زيادة على ما اقترحته) ثم غمغم وقال ان سمك الحائط سيكون مناسباً . وفحص سمك الجدارين الأخيرين ووافق على أن يساوى الطول قدمين ونصف القدم . وجاء مع البناء زميل له هو صانع الطوب .

وكنت أنوى أن ادفع أجر صنع الطوب وبناء الغرفة موحداً ؛ لكى أحول دون الازعاج والخسارة التى تنتج عن دفع أجر صنع الطوب منفصلا وذلك لمنع التبذير . بعد شرح هذا الأمر دخل البناء ورفيقه فى حديث طويل وشجار حول ثمن صنع كل ألف طوبة . واستقر الأمر على دفع ٣½ قرش لكل ألف طوبة واتفقنا على أن يكون عمق كل خندق للأساس ذراعاً واحدة ، وعلى أن تبنى الجدران بالدبش المستخرج من أنقاض منزل متهدم والطوب المكسر من قاع الخندق حتى ارتفاع ذراع واحدة فوق سطح الأرض . لقد لوحظ أن الأدوات التى يؤدى بها صانع الطوب عمله قليلة . أما الملابس التى يرتديها أثناء العمل فهى بسيطة وقليلة وأيضاً وقورة ، ذلك لأن ارتداء الملابس الكثيرة أثناء تعامله مع الطمى الكثيف القوام ، وتحركه فوق سطح الأرض كالضفدعة يمثل عائقا خطيرا .

وبدأت عمليات البناء بمجرد أن أصبحت القوالب جافة وصلبة بما فيه الكفاية ، وصارت الأجزاء السفلية من الجدران المكونة من دبش الأنقاض التى وضعت فى المونة ، قيد التنفيذ .

وكان الخط العمودى لأوجه الحوائط يعدل نحو الداخل من حين لآخر باستخدام قطعة من الخيط فى طرفها مكعب صغير من الحديد أو الرصاص ولكن البناء فضل استخدام قطعة من الخشب متوسطة الطول وغير مستقيمة .



شكل رقم (٤) : العقود .

وبعد بناء قطعة من الجدار ذات وجه رأسى ، قام بفحص قطعة جديدة بالنسبة للقديمة ، وسرعان ما ضاع البعد الرأسى وساءت الأحوال مع ارتفاع الجدار .

لم يكن البناءون يهتمون بربط صفوف الطوب (المداميك) ولكنهم عندما فكروا فى ذلك اهتموا بها . ولم تستعمل السقالات . وعندما ارتفع البناء بحيث أصبح من الصعب الوصول من الأرض الى وضع صفوف جديدة ، كان البناء يقف فوق الحائط ويرتفع مع ارتفاع الجدار .

أما وقد وصلنا الى المستوى الذى يظهر عنده السقف المقبى ؛ فقد وصل الجدار في أحد طرفي الحجرة الى ارتفاع حوالى مترين فوق المستوى المقصود . (شكل رقم ٤) .

وبدأ القبو الأسطوانى ؛ ووضع قضيب أو لوح خشبى سميك للعبور من جدار الى الجدار الآخر ، ووضعت أحجار العقد فى متناول اليد حتى يستطيع المساعد أن يلقى بها من أسفل الى زميله الذى يقف فى أعلى الجدار . واحضرت أيضاً أجزاء مختلفة من كسر الفخار أو حصوات صغيرة مسطحة . وبدأ العقد فى قمة الجدارين الجانبيين بوضع قالب من الطوب على جانبه مقابل الجدار الطرفى مع استخدام كمية من المونة لملء الشقوق . ثم وضع قالب آخر مائلا مقابل الأول وبعده ثلاثة أو أربعة قوالب أخرى على التوالى . ووضعت قوالب أخرى واقفة على أحد طرفيها فوق القوالب التى وضعت أولا ، مائلة الى الداخل قليلا . ووضعت قطعة من الفخار أو حصاة فى الطرف المفتوح من موضع الاتصال .

وفى ذلك الوقت تراجع البناء مسافة قليلة الى الخلف من الحائط الذى فى الطرف ، واستكمل هذا النظام الخاص بوضع القوالب على طرفها ، بحيث تميل القوالب التى فى الجانب الأيمن نحو تلك التى فى الجانب الأيسر وفى النهاية أكمل حلقة من حلقات القوس الذى لا ينبسط فقط فوق الحجرة المطلوب سقفها ، بل أيضاً ينحنى مقابل أجزاء الحلقات التى اكمل بناؤها . ووضعت كسرة من الفخار أو حصاة بين الفتحات مع كمية كبيرة من المونة الكثيفة القوام .

وكانت هذه المونة التى وضعت بين الفتحات التى بين قوالب الطوب كثيفة القوام لدرجة أننى رأيت البناء وهو يبدأ من الجانب الأيمن يضع عشرة قوالب أو اثنى عشر قالباً بحيث ترتفع الى قمة العقد وتهبط قليلا نحو اليسار ، ثم يمضى لتناول غدائه . ويعود للعمل بعد حوالى نصف ساعة دون أن يسقط شيء أو يتزحزح من مكانه .

وعلى ذلك فان العقود أو الحلقات — اذا أردنا أن نتحدث بتخصص أكثر — التى تمثل السقف المقوس فوق الحجرة ، والتى تبنى هكذا كما هو موضح فى الرسم ، لا يتجاوز سمكها طوبة واحدة . وكل حلقة مبنية بقوالب الطوب توضع مقابل الحلقة التى سبق بناؤها .

وفى جميع الأحوال نجد أن تقوس وارتفاع العقد صغير . ويبدو أن الارتفاع هو الذى يتحكم فى ذلك (حوالى مترين) وهى مسافة يستطيع الرجل أن يصل اليها اذا وقف على قطعة من الخشب عبر الحجرة التى يغطيها العقد .

أما بناء القبة فهو عمل أكثر تخصصاً . ان أتساعها غير محدود كما هو الحال بالنسبة للعقد بالرغم من أنه فى حالة استخدام القوالب الخشنة فقط ، فانها لا تكون قوية فى ذاتها بحيث تقاوم ضغط أو وزن التقوس الكبير . وفى هذه الحالة كان ضلع الحجرة التى ستبنى وتسقف بالقبة يساوى من الداخل ٢٫٨٠ م على كل جانب من المربع . وكان سمك الجدران على سطح الأرض يساوى ٠٫٨٠ متراً .

وكان الوجه الداخلى رأسياً والخارجى مخروطاً ، وقد بنيت الأجزاء السفلية من الحجر كما ذكرنا من قبل أثناء وصف جدران الحجرة . وكانت قوالب الطوب توضع فى مداميك طولية مسطحة ، بينما وضعت القوالب المستعرضة على طرفها . ويتضح لنا سبب وضع القوالب المستعرضة على طرفها . ان القوالب ضعيفة بحيث انها لو وضعت مسطحة ، فستكون عديمة القيمة . (أنظر الشكل رقم ٥) .

وبعد أن ارتفعت الجدران الى مسافة تبلغ حوالى ١٫٥ متر من مستوى سطح الأرضية ، اتخذت الترتيبات لبناء العقود الأربعة المائلة لتوفير الميل للأركان ، وتحويل المربع الى شكل مثمن الأضلاع والزوايا لكى يحمل القبة .

ولا بد من ذكر أن المقاييس التى أجريت لتقرير اتساع كل جانب من جوانب الشكل المثمن قد أجريت بشكل بدائى جداً . أحضرت عصا

من البوص ذات طول مناسب وثبتت فوق قمة الجدار ثم وضعت قوالب الطوب لتحديد الطرفين . وبعد أن تكررت هذه العملية ثمانى مرات ، وجد أن قطعة البوص أطول من اللازم ، ولذلك تم قص طرفيها لتقصيرها . وهكذا تم الحصول على تعديل اكثر انضباطاً مما لو تم كسرها واستمرت هذه العملية حتى أعطت البوصة أبعاد أحد جوانب الشكل المثمن الذى سيبنى فوق القاعدة الأرضية المربعة ، وأعدت ثلاث عصى أخرى من البوص بنفس طول العصا الأولى ، ووضعت عبر الأركان لتحديد مكان وتقوس الاقواس التى ستحمل أربعة جوانب من الشكل المثمن . ووضعت فوق قمة الجدار قطع صغيرة من الحجر لتحدد المواقع التى ستبرز منها الاقــواس .

وكــان من الضرورى بعد ذلك انشاء « المراكز » أو القوالب التى ستقام فوقها الأقواس المائلة والدلايات المصنوعة من الطوب الأحمر . ولتحقيق ذلك ، تم بناء القوالب الخشنة بدون مونة لملء أحد أركــان الحجرة المربعة ، ثم وضعت قوالب الطــوب بحيث كانت القــوالب المستعرضة مسطحة والقوالب الطولية على طرفها . وارتفعت كومــة القوالب التى تبدو فى الرسم التخطيطى مثلثة الشكل حتى تساوت القمة مع الجدران المتاخمة لها وقطع الأحجار التى ستحمل الأقواس المائلة . وتم بناء القاعدة المطلوبة لنصف القبة فوق قمة هذه الكومة من القوالب الجافة . وتحولت هذه القاعدة الى شكل متناسق بعد صقل ظهرها وعندما يظل الظهر مبللا ، ينثر التبن فوقه . ولا شك أن ذلك يمنــع المونة من الالتصاق بالقالب بعد بناء العقود . وتجلب قوالب الطوب الأحمر وهو أصلب من الطوب اللبن ، وذلك لبناء العقود والدلايات . وكان من الصعب استكمال القاعدة قبل أن تظهر من الجزء السفلى من كتلة الطوب التى تحملها ، علامات الامتلاء ، ولكن تحــقق الأمان الكافى بعد وضع لوح خشبى فى جانبها لدعمها .

وبعد ذلك تم ملء ركنين آخرين من أركان الحجرة بكتلتين مماثلتين من الطوب الجاف لاستقبال القوالب ، وقد نفذت هذه الترتيبات البنائية بحيث تنحنى مقدمتها على النموذج للحيلولة دون سقوطها مثلما ظهر

فى الأولى منها . وفى الوقت الذى تم فيه الانتهاء من الاثنتين مع استمرار دعم الأولى منهما باللوح الخشبى ، أصبحت الغرفة المربعـة مسدودة باكوام الطوب .

وبالرغم من البراعة التى ابداها البناءان فى تنفيذ نموذج الواجهـة المقوسة بالنسبة للصفين الثانى والثالث من الطوب ، فان هذين الصفين سقطا أثناء الليل . وكانت الحجرة الصغيرة حتى ذلك الوقت مملوءة بقوالب الطوب والانقاض التى تصلبت . وعلى أية حال فقد تم اخلاؤها . وفى اليوم التالى أعيد البناء مع زيادة الاهتمام بالروابط وتم ملء الركن الرابع ونصبت القوالب .

ثم بنيت العقود التى حملت الجدران المائلة للشكل المثمن ، ووضعت قوالب الطوب ، وروابطها بارزة نحو المركز ولكنها مسطحـة وتجمعت نقطة التقائها عند التتويج . وبعد ذلك استخدم الطوب الأحمر لبنـاء نصفى القبة ومثلثات الأركان من خلالها حتى ركن المربع . ولم الاحـظ ان بناء الطوب لهذه الأجزاء لم يكن منتظما فلم تتجه نحو مركز أو توضع بعناية فكانت كل دعامة من الدعامات البارزة تستند الى الأخرى .

ونفذت الجدران التى على الجوانب الأصلية للحجرة بين العقـود المبنية بالطوب الأحمر حتى تشكلت قاعدة الشكل المثمن الأضلاع .

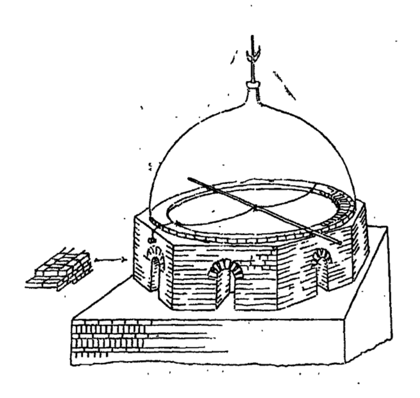
ودفنت مثلثات الأركان فى البناء المكون من قوالب الطوب وتركـت مسطحة فى القمة ، كما هو مبين فى الشكل رقم ٥ .

ثم بدأ الرجال فى بناء القاعدة الدائرية التى تستقر القبة عليها ، وهنا تم صنع ثلاث نوافذ . وكان الحائط أقل سمكاً من الحائط الذى بأسفله فكان عرضه يساوى قالبين وتم ربطه حسب الشكل رقم ٥ .

أما بناء النوافذ فكان تحفة من البراعة وبلغ عرضها حوالى ٢٥ر٠ متراً أى تسع بوصات .

وبعد رفع الجدران الى الارتفاع الضرورى الذى يلزم أن يبرز منه قوسا النافذة ، وضعت كومة من أربعة أو خمسة قوالب على كلتا العارضتين ، مع وضع كمية كبيرة من المونة الصلبة بينهما كالعجينة ووضع أحد العاملين الكومة الأصغر فوق الكومة الاخرى .

ووضع كل من العاملين يده على الجانب الداخلى للكومة وأمالها ببطء وهدوء ، معطياً أياها شكلا مقوساً مع تحريكها حتى تلامس الاثنان عند القمة — وصاح « أحضروا قالباً آخر ! » ووضعه فيها واكتمل العقد الصغير . وقد احتاج الى وصلة فى أحد الجانبين بينما ترك الجانب الآخر قائماً .



شكل رقم (٥) : العقد المبنى من قوالب الطوب + القبة

وشكل أصبع قدم البناء وصلة عجيبة حتى وضع بعض القوالب مكانه واكتمل البناء بكامل جماله البسيط .

ورفع الجدار المثمن حتى علا عن النوافذ . وارسلت رسالة الى الذهبية (*) لاقتراض مدراة . ووضعت هذه المدراة عبر الجدران المثمنة وضبطت بحيث تمر من الوسط ، وأقيمت فوقها نقطة مركزية وذلك بمد قطعة من الخيط بكامل طولها عبر البناء المثمن ثم طويت الى اثنين . وربط الخيط الى هذه النقطة المركزية بعقدة فى القمة ، وهكذا اصبح من السهل ادارة الخيط فى جميع الاتجاهات بحرية . أما العقدة التى فى الخيط فقد حددت طول نصف قطر الدائرة . وعمل احد العاملين عند احد طرفى الخيط والآخر عند طرفه الآخر ، وسرعان ما تشكلت حلقة من البناء مكونة الصف الأسفل من القبة . أما الخيط ، والعقد ، وقطع الحجارة التى ربطت فى طرف الخيط لابقائه فى موضعه ، فهى مبينة بوضوح فى الشكل رقم ٥ . وفيه يظهر كذلك الرباط الموصل بين جدران البناء المثمن والقبة نفسها .

ان القبة وشكلها المنتظم حسب العقد التى فى الخيط ، لها شكل نصف كروى حقيقى . أما الوصلات بين صفوف البناء فقد مالت الى الداخل قليلا نحو نقطة المركز ولكنها لم تنفرج . واذا نظرت الى خارج القبة فان الحلقات المتتابعة من قوالب الطوب ستظهر موضوعة كل منها داخل الأخرى قليلا بعد بناء الدعامات ، وبعد تنفيذ العمل الى مسافة تبلغ حوالى نصف متر ، وضعت الوصلات بارزة من المركز تقريباً . ولم تقطع القوالب ولكن وضع المزيد من المونة فى المواضع التى كانت فيها الوصلات أكثر اتساعاً ، ودفعت فيها شظيات من الفخار أو رقائق من الاحجار .

ولم يستخدم أى نوع من السقالات . وازيلت بعض أنصاف القوالب على مسافات معينة خارج القبة . ووضع الرجلان أقدامهما فى الثقوب التى صنعاها ، وبذلك صارا يتسلقان بالقدر المطلوب . وبمجرد اكمال بناء حلقة من قوالب الطوب لم يتردد الرجلان فى الانحناء فوقها .

ومع الاقتراب من قمة القبة ، والوصلات المبنية من قوالب الطوب الخارجة من نصف الدائرة أذهلنا ماشاهدناه من عدم سقوط القوالب حتى أكملت الحلقة .

(*) الذهبية : مركب أو سفينة كانت معدة للاقامة والتنقل ـ (المراجع) .

وذهلنا قليلا ونحن نقف تحتها ، وننظر الى اعلى من خلال الثقب الذى فى الوسط ، لنشاهد صفا من القوالب الطولية التى وضعت بدقة فى المكان ، وثبتت فى موضعها حتى اكمال الحلقة . وعندما صارت الحلقة صغيرة نسبياً لم يكن قائماً بالعمل الا رجل واحد . والحقيقة أنه لا يوجد مكان لاثنين — ولكن لا شىء يتحرك ، وثبتت قوالب الطوب فى أماكنها حتى أكمل عمله وصولا الى نقطة البداية . وأضيفت حلقات متتالية الى بعضها البعض ببطء . وعندما قل حجم الثقب فى قمة القبة وأصبح قطره متراً واحداً لم تعد الوصلات بارزة من مركز نصف الدائرة ، وأصبحت ذات سمك متساو فى كل مكان ، وبذلك ظهر تويج القبة مكوناً من مخروط منبسط . وربما جرى ذلك حتى لا توضع الحلقات الأخيرة من قوالب الطوب بوصلاتها متقاربة رأسيا .

ومما يذكر أنه كان يجرى بياض السطح الداخلى للقبة أثناء المضى فى العمل . وعندما وصل ارتفاع أعمال البناء الى نصف متر ، أحضر البناء كتلة من الجص الذى يشبه المونة وقام بمدها من أعلى فوق إكبر مساحة من الفراغ استطاع الوصول اليها ، وهكذا اكمل عمله دائريا حتى وصل به الى عمل زميليه .

أما اقفال الفتحة فى قمة القبة التى يبلغ قطرها ٣٠ر. متراً ، فهو عمل سريع الى حد ما . وقد انجز العاملان ذلك باستخدام كمية كبيرة من المونة المخلوطة بالطوب ونفذاها بنجاح . ثم وضعا الحلية العليا ، وكان الجزء السفلى منها مبنياً من الطوب والمونة . أما الهلال والعصا التى تحمله فقد صنعهما سمكرى جوال من صفيحة بنزين .

وبعد يومين أو ثلاثة أيام ، اعيد صقل الداخل بالمونة وانتهى العمل فيما عدا تغطيته بطبقة الجير النهائية .

لقد قدمت هذا الوصف الوافى لطريقة تنفيذ المبنى الصغير ليس فقط لأن فن اقامة هذا النوع من البناء يوشك على الانقراض ، ولكن لأنه يبين التباين المفرط بين براعة واستقلال شخص بسيط يستخدم أدوات قليلة بدون أجهزة ، وبين اعتمادنا نحن الاوربيين على العوامل

المساعدة الخارجية . ويوجد فى مصر مئات القباب المبنية بالطريقة التى وصفناها . ويبلغ عمر العديد منها مئات السنين ، بينما يصعب أن تجد فى أوربا بناء لا يحتاج أثناء العمل الى ألواح الخشب والسلالم وأشياء أخرى عديدة تعتبر أمراً مفروغاً منه ، وضروريات مطلقة .

وقبل ان نصف هنا الرسوم التخطيطية لا بد من توجيه الانتباه نحو حقيقة أن الكنائس تندرج تحت ثلاثة طرز هى أ ، ب ، جـ .

ويتمثل الطراز (أ) فى الرسم التخطيطى المعروف باسم البازيليكى. وهو يتكون من صحن الكنيسة الذى ينتهى بحنية الهيكل ، والجناحين الشمالى والجنوبى وفوقهما شرفتان علويتان ، وقنطرة غربية بمستوى أرضية الشرفتين ، وسلم يقام عادة فى الزاوية الجنوبية الغربية يؤدى الى الشرفتين والسطح المنبسط . ويغطى الصحن والشرفتين والجناحين أقباء أسطوانية (انظر اللوحات أرقام ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦) .

ويظل الوصف الذى قدمناه صالحاً حتى دخولنا الى الجزء من وادى النيل الذى يبدأ جنوب بطن الحجر أو الشلال الثانى . ولا شك أن الطراز البازيليكى كان هو الشائع هنا ، ولكنه اختلف عن الطراز الذى وصفناه بشكل ملحوظ عند تنفيذه فى الشمال ، فبدلا من استخدام الدعائم الحجرية المقبضة ، والأعمدة الصغيرة المنحوتة من كتلة حجرية واحدة، تم فصل الصحن عن الجناحين (اللوحة رقم ٣) . ولا أجد دليلا على وجود شرفة عليا فوق الجناحين ، كما أن تغطية الصحـــن والجناحين بالعقود لم تصبح قاعدة مرعية . ان العقد ثقيل وينتج عنه دفع حتى لو كان مبنياً من قوالب الطوب اللبن . أما الأعمدة الحجرية التى ذكرناها فهى رفيعة ، واذا لم ترتكز على قواعد مناسبة فانها لا تكفى لحمـــل العقود والجدران الضرورية التى ترتكز عليها العقود ، ولا تقاوم الدفع العرضى . واذا أهمل البناء فان الدفع قد يؤثر على الأعمدة بسرعـــة ويدفعها العقد الى الشمال والجنوب . والحقيقة هى أن الأعمدة بوضعها الردىء هى الأجزاء الوحيدة من المبنى التى ظلت باقية بينما خرب ودمر كل ما كان حولها ، وظلت هى باقية .

ان العقود المبنية من الطوب الأحمر ثقيلة ، ويصحبها الكثير من الدفع ، ولكى تقاوم الجدران الخارجية للجناحين هذا الدفع مقاومة شديدة ، ينبغى ان تكون ضخمة الحجم ، ويعنى ذلك حسب طريقة البناء الشائعة فى تلك العصور والأماكن ، أن الجدران الكثيفة قد تمثل واجهة متوسطة ، ولكن لا بد من ملئها بمادة مختلفة ، ولا بد أن يكون البناء الأمامى — سواء بنى من الطوب أو الحجارة — جديراً بالسرقة بينما يترك القلب ، ولذلك كنا نتوقع أن نجده ، ولم يكن الأمر كذلك . لقد زال كل أثر للجدران الجانبية . وهناك شظيات من القوالب المكسورة تتناثر ؛ ولكنها ليست لها أية علاقة بالجدران التى شكلت جزءاً منها يوماً ما .

وأجازف بالقول بأن تلك الجدران كانت رقيقة . أما الأعمدة سواء حملت عقوداً أم لا ، فقد غطيت جميعها بسقف مسطح من الخشب ، لا اشك فى صناعته من جذوع وفروع النخيل المغطاة بطبقة صلبة من الطين .

وفى الطراز (ب) تغطى الكنائس بقبة أو قباب تمثل الجزء الظاهر ، ونتيجة لذلك يعتبر الشكل التخطيطى صورة معدلة من الطراز أ ، بحيث يدعم السقوف المبنية . وعلى ذلك فاننا نجد اقسام المبنى متشابهة فالهيكل المربع الشكل سواء أكان مصنوعاً من مثلثات أركان أم وسائل أخرى ، نصف مقبى فى أعلاه . والصحن له جناحان فى الشمال والجنوب . ولا يعتبر السلم ضمن المعالم الضرورية لهذا الشكل ، مما يجعلنا نفترض أن هذا الطراز من الكنائس ليست له شرفات . أما البابان اللذان ينفتحان على الشمال والجنوب فهما فى موضعهما المعتاد . وتوجد كذلك الحجرتان الصغيرتان اللتان على جانبى المذبح . أما الشكل المستطيل للرسم التخطيطى والمظهر الخارجى للمبنى فهما متوافران فى كلا الطرازين أ ، ب . (انظر اللوحات أرقام ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٣) . وفيما بين الشلال وحلفا نجد أن هاتين الحجرتين متصلتان خلف المحراب عن طريق ممر ضيق . أما فى بطن الحجر فان هذا الممر الضيق شائع الاستعمال . ولا أستطيع ذكر العادة

التى سادت جنوب بطن الحجر لأن الجدران مهدمـة تماماً . ولكـن الاستطالة الخارجية للشكل التخطيطى متوافرة فى كلا الطرازين ، وتبرز حنية الهيكل خلف الجدار الشرقى .

أما الطراز (جـ) فمن المفروض أنه أحدث تطوراً من الطرازين ا ، ب وأعتقد أنه لم يظهر الا بعد الفتح العربى ، ويذكر لنا التاريخ أن الكنائس لم تسلم من النهب فى غالبية الأحوال كما أحرقت أسقفهـا ولذلك حلت العقود والقباب المبنية من الطوب محل الأسقف الخشبية . ولدينا نموذجان لهذا التحول فى الدير الأبيض (انظر اللوحتين رقمـى ٤٥ ، ٤٨) وفى دير أبى حنس (انظر اللوحتين رقمى ٥٤ ، ٥٦) . وعند الرغبة فى عمل سقف حجرى للكنيسة منذ البداية ، فان المنطقة كلها تغطى بسلسلة من القباب الصغيرة المتجاورة ، وتحمل العقود الحاملة أعمدة صغيرة أو دعائم رفيعة مبنية بالطوب أو الحجـارة . وتجـد أمثلة واضحة لهذا الطراز فى اللوحات أرقام ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٥٢ .

ومن الضرورى تحديد الوقت الذى رسمت فيه الأشكال التخطيطية المختلفة ، مع تدوين الملاحظات التى نوهنا عنها للسبب التالى : لقد نخر التحلل ببطء فى الآثار لعدة قرون . والآن ومع زيادة النشاط التجارى الذى انتشر فى البلاد ، ظهرت مشروعات من كافة الأنواع فى مجالات الرى والتعدين وغيرها . وحدثت فى مدى عامين أو ثلاثة أعوام تغييرات لم تحدث على مدى القرون الماضية . أما عن النفور من التمدن واكتساب الثقافة الرفيعة فاننا نمتدح أنفسنا بوجه عام كبريطانيين ، وبوجه خاص كمهندسين لاننا عندما نضطلع بعملية تمدن فى منطقة ما ، فان الرؤساء التنفيذيين يراعون عدم التسبب فى أى أذى غـير ضرورى ، الا أنهم لا يستطيعون ملاحقة كل صغيرة وكبيرة بأنفسهم ، ومن المؤلم اكتشاف أن المرؤوسين المحليين لا يراعون تنفيذ هذه التعليمات . وقد عم الخراب السودان اكثر من أى مكان آخر للأسباب الآتية : بعد فتح السودان على يد محمد على ، سعى لاقامة تشكيلة من المبانى والمنشآت الادارية للانتفاع بها . واحتاج ذلك الى مواد للبناء ، ولذلك صدرت الأوامر للحكام المحليين لجلب الأحجار وقوالب الطوب . وكانت المعابد القليلة

التي نهبت من قبل للمساعدة فى بناء الكنائس موجودة لكى تسلب منها المواد المطلوبة وفى الوقت نفسه سويت الكنائس بالأرض لنقل أحجارها. وقد بذلت الادارة المستنيرة الحالية فى السودان جهدها لحراسة وحفظ ما بقى منها (*) .

لقد رسمت الأشكال التخطيطية للمقاطع الأفقية هنا حسب مقاييس الرسم المترية ، وهى بقدر الاستطاعة مقدرة بآحاد المئات . وعندما زاد حجم الرسم عن حجم الصفحة قدرت بنسبة ١ : ٢٠٠ (**) وبذلك أصبح من السهل مقارنة الأحجام التقريبية للمبانى المختلفة . ويوجد الطرف الشرقى للكنيسة فى الجانب الأيمن دائماً ، الا اذا استدعت الضرورة رسم المقطع الأفقى بطريقة أخرى . ولكن اتجاهات المبانى مضبوطة .

ويرتبط اسم مستر جيفرى س. مايلهام Mr. Geoffry S. Mileham. بعدد من هذه اللوحات التخطيطية . وقد قمت بعمل رسومات سريعة لنفس هذه المبانى منذ سنوات عديدة مضت ، ولكن الدكتور راندال ماكايفر Dr. Randall Maciver ومستر مايلهام قاما باجراء الحفائر بعناية عندما سنحت الفرصة تحت اشراف جامعة بنسلفانيا . وأقدم شكرى للجامعة لسماحها لى باستخدام بعض هذه اللوحات التى نشرت تحت اسم : كنائس جنوب النوبة Churches in Lower Nubia لمؤلفه جيفرى س. مايلهام ، ونشرها الدكتور راندال ماكايفر ، « Philadelphia, 1910 ».

(★) الملاحظ هنا أن المؤلف يحمل الحكام الموجودين فى مصر والسودان قبل الاحتلال البريطانى مسئولية كافة البلايا التى أحاطت بالبلدين ، بينما يتحدث عن أحوالهما فى ظل الاحتلال وكأنهما بأحسن الأحوال — (المترجم) .

(★★) اللوحات التى زاد حجمها عن حجم الصفحة فى الكتاب الأصلى أى النسخة الانجليزية — تم تصغيرها للنشر فى هذه الترجمة العربية بنسبة ٧٠ الى ٣٠ عند تصويرها بحجم الفولسكاب — (المترجم) .

ويجدر بنا الاشـارة الى وجود بقايا العديد من الكنـــائس فى مصر والسودان وهى غير معروفة لى ولذلك فانها لم تذكر هنا . وفى كـــل عام يكشف لنا التقدم المستمر فى التحقيق العلمى الذى بدأ مؤخراً فى الاهتمام بالآثار المسيحيـــة فى مصر ، عن مواقـــع منسية حتى الآن . ولا يعتبر هذا الكتاب سجلا شاملا لأنه فى حقيقته لا يعدو أن يكـــون محاولة أولية .

الفصل الثالث

وصف الرسـومات التخطيطية

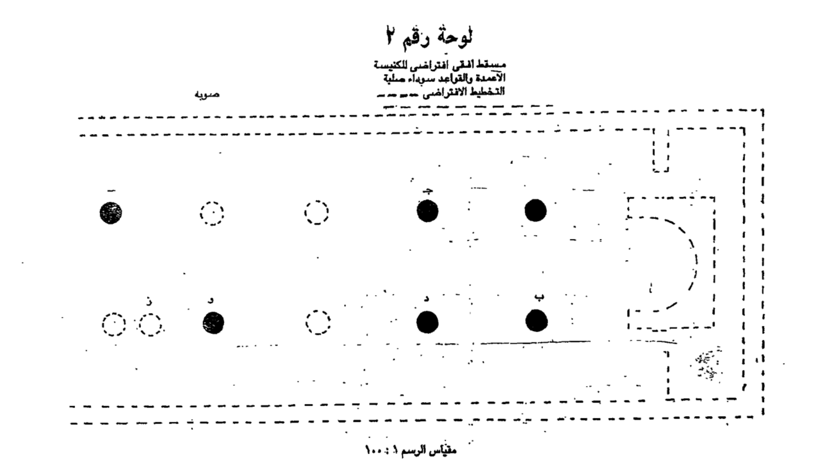
من الضرورى الآن شرح الرسومات التخطيطية التى جمعناها هنا . وقد ذكر غيرى من ذوى القدرة على الحكم ، اقتناعهم بأن المسيحية دخلت وادى النيل من الشمال وانتشرت جنوباً بسرعة ملحوظة . واننى اشعر بأن البقايا المعمارية ، تؤيد هذا الرأى تماماً .

وقد يسأل البعض : لماذا ابدأ كتابى هذا بتقديم أمثلة من أقصى الجنوب بقدر ما أستطيع الوصول وأستمر مع مجرى النيل ، أى نحو الشمال ؟ والسبب هو أنه كلما اقتربنا نحو مركز الحكومة المزدحم فى الشمال ، وتلك الأماكن ذات الكثافة السكانية ، فمن الطبيعى أن نكتشف أمثلـة عديدة ليس فقط على التخريب بل أيضاً على تغيير الطابع . لقد خربت المبانى التى فى الجنوب ، أما المبانى التى فى الشمال فقد خربت ولكن أعيدت اقامتها مع تغيير فى الأسلوب كما سيظهر من دراسة رسوماتى التخطيطية .

صوبـــــــة

اللوحة رقم ٣

تقع صوبة على الضفة اليمنى أو الشمالية من النيل الأزرق ، فـــوق الخرطوم بحوالى ثلاثة عشر ميلا ، وكانت عاصمة مملكة علوى المسيحية، ولكن هناك سبباً يدفعنا للاعتقاد بأن هذا المكان كان من قبل موضعـــاً لمدينة قديمة وهو يمثل على وجه الخصوص أجزاء من معبد كان موجوداً فى هذا المكان . وقد زرت هذه البقعة خلال شهر فبراير سنة ١٩١٠ .


لوحة رقم ٢
مسقط افقى افتراضى للكنيسة
الاعمدة والقواعد سوداء صلبة
التخطيط الافتراضى ـ ـ ـ
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

ولا نجد شيئاً من بقايا المعبد التى تحولت فيما بعد الى الكنيسة التى ذكرها الدكتور بادج (١) ، ولكننا نرى سهلا من التربة الطينية يمتد فى كافة الاتجاهات بلا حدود . وهو محدد بأشجار قصيرة مع نمو شجيرات شوكية قصيرة وكثيفة ، وقد تناثرت فيه مجموعات من قوالب الطوب الأحمر المكسور ، ولا يسمح ارتفاع البقايا بأن تنال شرف التسمية بكلمة « روابى » . وتقع إحدى هذه الروابى التى تغطى منطقة واسعة فى مكان المبنى الذى ذكره الدكتور بادج وشاهده فى سنة ١٩٠١ . وتوجد بعض الأعمدة الصغيرة المنحوتة من كتلة حجرية واحدة بارزة من منخفض فى وسط حشد آخر من قوالب الطوب المكسور .

وبصرف النظر عن ضآلة ما يمكن رؤيته ، الا انه يستحسن تقديم رسم مسقط أفقى للبقايا الموجودة عند زيارتى (٢) . وأرجو قبول افتراضى بأن هذا الترتيب للأعمدة ينتمى الى تخطيط مسقط أفقى لبناء من الطراز البازيليكى . ولا بد أنها كانت تحمل سقفاً خشبياً وذلك بالنظر الى ضآلة محيطها . ان الأعمدة (أ) ، (ب) ، (جـ) مازالت قائمة ، أما العمود (د) فقد سقط ربما بسبب أخطاء بعض الحفارين الذين حفروا ثقوباً مربعة عند قواعد هذه الأعمدة لسبب غير معروف .

وهذه الأعمدة من حجر صخرى وارتفاعها حوالى مترين . وقد تركت الأطراف السفلية من العمود الحجرى التى يبلغ قطرها حوالى ٦٢ر٠ متراً مربعة الشكل(انظر الشكل رقم ٦)، ولكن لا يمكن الآن تحديد ما اذا كانت تشكل قاعدة ظاهرة بارزة فوق الأرضية ، او أنها دفنت جزئياً أو كلياً لأن أرضية الكنيسة قد دمرت تدميراً شديداً .

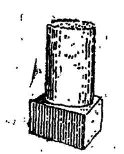
ونجد فى (هـ) كتلة أسطوانية لعمود من الحجر الرملى يبلغ قطره نفس قطر الأعمدة التى ذكرناها سابقا ، ويبدو انه قد وضع فى مكانه ليشكل الركيزة التى تحمل سلسلة من العقود فى أقصى الغرب وعددها خمسة .

---

(١) The Egyptian Sudan, by E. A. Wallis Budge, Vol. 1. p. 324.

(٢) تمت فى فبراير سنة ١٩١٠ .





الشكلان رقم ٦ ، ٧ قاعدة وتاج عمود من صوبة

ويوجد فى (و) كتلة اسطوانية مشابهة أيضاً ، يبدو انها الدعامة الغربية لعقد ثان فى السلسلة الجنوبية أما فى (ز) فتوجد قاعدة من الحجر الرملى يبدو انها فى غير موضعها . وتبلغ المسافة من (أ) الى (هـ) ، ٤ر١٣ متراً (حوالى ٥٠ قدماً) .

لقد أوضحت بالخطوط المنقوطة امتداد حنية الهيكل فى نهاية الكنيسة شرقاً ، وبه الغرفتان اللتان فى شماله وجنوبه ، والمر الذى يربطهما من خلف المحراب . ولم أوضح أية مبان افتراضية فى النهاية الغربية لأن المعلومات غير متوافرة لدينا الآن . وكان من المفروض وجود سلم (١) لأن مثل هذه المزية لم تكن موجودة الا حيث توجد الشرفات العلوية والأسقف المقوسة التى تحمل المر العلوى الموجود فوق السطح .

وهناك خندق محفور شمالا وجنوباً بشكل عمودى على الخط الموصل بين (أ) ، (ب) وعلى المحور الطولى للمبنى ، على أمل ان يتقاطع مع جدران الجناح ، ولكن كافة آثار المعالم الصلبة قد محيت . وعبرنا من خلال القوالب المكسورة فى ارتباك كامل . وكانت هناك خمسة تيجان للأعمدة متناثرة على الأرض ، أحدها سليم تماماً (الشكل رقم ٧) ، ومن سوء الحظ ان يترك فى مكانه الحالى منسياً ومعرضاً للتخريب ، وكان من السهل نقله الى المتحف الذى أقيم بالخرطوم .

---

(١) ستوضح دراسة رسومات المساقط الافقية التالية كيف كانت هناك سلالم فى الطرف الغربى من الكنيسة .

أما أعمال المبانى الحجرية فوق التاج والعمود فقد نفذت بالمعول . ونتيجة لذلك فاننا لا نجد عموداً يمثل مقطعه دائرة حقيقية بين هـذه الأعمدة ، ولكنها تشكلت فقط عن طريق النظر . وتصميم العمود ممتاز ليس فقط لأنه منفذ من مادة صلبة ، ولكن لأنه يمثل أسلوباً بهيجاً للانتقال من الشكل الدائرى فى أسفله الى الشكل المربع فى قمته ، ويلاحـظ أن الطبقة التى فوق العمود ما زالت تحمل التقاليد الكلاسيكية . إنها ليست مربعة فى المقطع الأفقى ولكن جوانبها ملتوية بلطف كما نراها فى الطبقة التى فوق تيجان الأعمدة الكورنثية . أما الحلية الحلزونية الشكل التى فى كل ركن فقد صنعت ببراعة ، بينما وضع رمز الصليب بشكل بارز . اما فى حالة الأعمدة الأخرى التى أصابها الكثير من التخريب ، فان تصميمها لا يشيع البهجة مثل تلك التى ذكرناها عاليه ، ونرى تحت كل ركن من قرمة التاج (الوسادة) أوراق أشجار كبيرة خشنة الى حد ما ، وليست محددة الشكل ، وكلها تذكرنا بتيجان الأعمدة المقبضة التى نراها على المعبد المصرى الرومانى الموجود فى ناجة Naaga (١) .

ويتعرض هذا الجزء من السودان للأمطار المنتظمة التى لا تستغرق الا فترات قصيرة . وهى تؤثر فى طبيعة وسطح التربة إلى حـد ما . ولا توجد الطبيعة الحافظة الملحوظة فى مناخ مصر بنفس القدر فى هذا الجزء من السودان ، كما أن النمل الأبيض متزايد النشاط . ولا بد أن الأمطار وزعت أنقاض الطوب بسهولة ، وربما ساعدت الرياح الشمالية الغربية المتواصلة فى تحقيق ذلك بينما حول النمل الأبيض ألواح الخشب المتساقطة إلى مسحوق مما جعلها فريسة سهلة للرياح التى ذكرناها .

ولا شك أن الضربة الأخيرة التى وجهت الى ما بقى فى صوبة كانت هى بناء مدينة الخرطوم . ويذكر لنا لبسيوس (٢) أنه عندما نزل فى صوبة وجد « أكواماً ضخمة من الطوب الأحمر المعدة للتصدير . وهذه المادة

---

(١) انظر كتاب بادج The Egyptian Sudan الجزء الأول ، ص ٢٣٠ .

(٢) Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai, London, H. G. Bohn 1853. p. 162.

المستخدمة فى البناء تنقل بكميات كبيرة من صوبة الى الخرطوم وما بعدها.
ونزلنا إلى البر ولم نذهب إلى ما وراء الشجيرات الشائكة القريبة من الضفة عندما لاحظنا أن أكوام الطوب التى تغطى مساحة كبيرة يحتاج الالتفاف حولها الى ساعة من الزمن . ولم نستطع أن نعرف مكان الجدران أو شكل المبانى التى أخذت منها » . ان كل ما تركته القرون السابقة جرفه القرن العشرون ، وهى نفس الحالة التى نجدها فى مصر كلهـا ، والمناطق التى وصلت اليها المؤثرات الأوربية . أما البقايا التى ظلت قائمة فهى تلقى الاحترام فى الحالة التى تركت عليها . وحسب ما أورده أبو صالح (١) ، فقد وجدت هنا (عند مدينة علوة) وحدات عسكرية ومملكة ضخمة مترامية الأطراف كان بها أربعمائة كنيسة . وكان جميع سكانها من المسيحيين اليعاقبة . وقد أحاطت بها الأديرة التى كان بعضها يقع بالقرب من مجرى النهر وبعضها الآخر فوق الضفتين . وكانت هناك كنيسة كبيرة واسعة وضع تصميمها وشطب بناؤها بمهارة كبيرة . وكانت أكبر من الكنائس الأخرى التى اقيمت فى هذا القطر ، وتدعى كنيسة مانبالى.

وقد ذكر مستر كراوفوت الذى كان يعمل مفتشاً للآثار فى السودان منذ فترة قليلة ، بقايا متفرقة للكنائس التى رآها أو التى استعلم عنها على النيل الأزرق — فى علتى (على الضفة الغربية) ورودس (على الضفة الشرقية) وكاسيبا (على الضفة الغربية) وأرباجى (على الضفة الغربية) والحساحيسا ، وسنار ، وكذلك فى القطينة على النيل الأبيض .

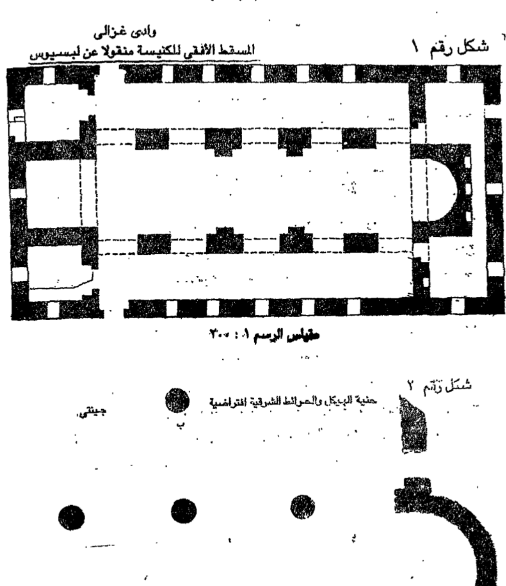
وادى غزالى

اللوحة رقم ٤

يقع مدخل الوادى المتسع الذى يسمى « خور أبو دوم » على الضفة الشرقية للنيل ، مقابل مدينة مروى القديمة أى على بعد حوالى ستة أميال أسفل مجرى جبل برقل (مدينة نباتا القديمة) وعلى بعد حوالى ساعتين ركوباً على ظهر الدواب نصل الى مكان يرتفع فيه الماء الى السطح . وهنا نرى نخلات متفرقة وأشجار الدوم وبعض الزراعة مع

(١) The Churches and Monasteries of Egypt, Abu Salih, Evetts and Butler, Oxford, Clarendon Press, 1895, p. 263.

لوحة رقم (٤)


شكل رقم ١
وادى غزالى
المسقط الأفقي للكنيسة منقولا عن لبسيوس
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠
شكل رقم ٢
حنية الهيكل والحوائط الشرقية افتراضية
ب
ا
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

عدد قليل من المنازل . انها واحة صغيرة تقع فى منخفض من التلال الرملية وتحيط بها الصخور الجرانيتية . انها بقعة منعزلة ومقبضة . ونجد فى هذا المكان خرائب دير لفت اليه الأنظار لبسيوس الذى زاره فى سنة ١٨٤٤ ، وقدم لنا رسماً للمسقط الأفقى لكنيسة هذا الدير فى كتابه المعروف Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai ص ٢١٩ ، وقد وردت التفاصيل فى : Denkmäler, Abth. I, Bl 131.

وقد زرت هذا المكان فى شهر يناير سنة ١٩١٠ واتخذت بعض الاجراءات الخاصة بالقياسات ، التى إستطعت عن طريقها التأكد من دقة رسم المسقط الأفقى الذى نشره لبسيوس للكنيسة ، لأن مجموعة المبانى قد خربت جميعها منذ تلك الزيارة . ويثير ذلك الأسف الشديد نظراً لقلة عدد المبانى الديرية التى بقيت فى وادى النيل حتى اليوم .

وبالنظر الى الموقع القاصى لهذا الدير وما لقيه من فرصة للافلات من الدمار الذى وقع على كافة الآثار القديمة القريبة من النهر ، فقد توقعنا أن نجد هنا رسماً تخطيطياً كاملا للمؤسسة الديرية . والحقيقة أن حالتها أشد سوءاً من دير القديس سمعان فى أسوان ، الذى توجد صورة رسمه التخطيطى فى اللوحة رقم ٢٩ .

وتحيط بالدير حوائط حجرية جمعت أحجارها من المنطقة المحيطة به . وقد وضعت الأحجار فى مونة من الطين ، وتضم الحوائط شكلا غير منتظم به علامات صغيرة تدل على أن المسقط الافقى مستطيل وهى تشكل مادة جديرة بالنظر . ولا تقع الكنيسة متوازية مع أى من الحوائط المحيطة بها بل تتجه نحو جنوب الفناء المحاط بالسور .

ويقع المدخل الرئيسى للدير فى اتجاه الشمال . وقد ارجع المدخل الى الخلف بمسافة تقرب من مترين خلف واجهة الحائط الذى تتجه قطع البناء الحجرى نحوه بالنسبة للأبراج الجانبية . أما الباب الأمامى فهو الآن مغطى بعقد من الطوب ويبلغ طوله ستة أمتار . وتقع بين المدخل والكنيسة سلسلة من الحجرات المتجاورة التى ليس لها رسم تخطيطى

ومبنية من الطوب اللبن . وكانت معظم هذه الحجرات مغطاة بعقود مبنية من نفس المادة ، وقد رتبت بعض الحجرات على كلا جانبى دهليز رئيسى حسب ما وصفه لبسيوس ، قارن أيضاً المساقط الأفقية فى اللوحات أرقام ٨ ، ٢٩ ، ٣٩ . وفى استطاعتنا أن نتتبع بقايا سلم دائرى مبنى من الطوبه اللبن مع العمود المركزى الذى تستند اليه .

ومن الظلم افتراض أن المكان كان مجرد كومة سيئة الوضع كما حدث فى العصور التالية . لقد مرت عليه تغييرات احدثتها قرون عديدة قبل تركه ليصبح ديراً ، وربما استخدم للسكنى حتى ذلك الحين . وقد تساقطت قوالب الطوب التى بنيت منها العقود فى كل مكان ، وازدحمت أرضيات الحجرات بالأنقاض الى ارتفاع ملحوظ .

وتقع فى غرب الكنيسة بقايا حجرات متفرقة ، بنيت حوائطها بالأحجار غير المنحوتة المقامة فى مونة طينية . وتظهر فوق الأنقاض قمة مدخل باب صغير فوقه عقد من الحجر الرملى . وينفتح هذا الباب من احدى الحجرات التى ذكرناها على ممر ضيق يقع بين الحائط الغربى للكنيسة والحائط الشرقى للحجرات التى وصفناها . وحائطا الممر غير متوازيين لأن عرضه يبلغ أقل من متر واحد فى الطرف الشمالى ، بينما يبلغ مترين على الأقل فى الطرف الجنوبى . وليس للكنيسة أى مدخل فى الحائط الغربى كما جرت العادة .

وقد تحدث لبسيوس فى وصفه للمكان عن الحجرات المبنية من الأحجار ، فقال ان هذا المبنى ينتمى بلا شك الى المبنى السابق وأن مدخلا جانبياً خاصاً يصل بينه وبين الكنيسة . فما الدليل الذى يستند اليه فى هذا القول ؟ الحقيقة أنه لا يوجد شىء معروف عن التخطيط المستخدم فى بناء الأديرة فى وادى النيل . ولا يستطيع أحد أن يعرف ما اذا كانت قد تبلورت فى نماذج مسلم بها حسب الترتيب الذى بنى به الدير كما هو الحال فى أوربا . وتركز أملى وانا ابحث فى وادى النيل من أدناه الى أقصاه على أن أجد نماذج من المبانى الديرية ، تكفى للبرهان

على وجود طراز محدد من التخطيط . وبعد مضى سبعة عشر عاما من البحث ظللت جاهلا كما بدأت .

وتقع خرائب صف من الحجرات المبنية بالطوب بطول الحائط الشرقى للكنيسة ، ولا توجد فى جنوبه الا بقايا قليلة من الجدران أى فيما بين الكنيسة والحائط الجنوبى المتاخمة . ويخترق هذا الحائط الجنوبى باب صغير ينفتح مباشرة على المقبرة القديمة .

ويذكر لنا مترجمو خطابات لبسيوس ان « هناك اثنان من الأحواش فى الجانب الجنوبى للدير » والحقيقة أننا نجد مجموعتين من المقابر ، الكثير منها كامل وسليم . وتتناثر بجوار احدى المجموعتين بقايا حائط ، بينما تقف المجموعة الأخرى بدون حوش .

وكانت الكنيسة مبنية من الأحجار البيضاء المنحوتة جيداً حتى مستوى ارتفاع النوافذ ، وما فوق ذلك بنى بالطوب اللبن . وقد غطيت الحوائط بطبقة سميكة من الجص وهى مطلية من الداخل . ويقع المحراب المغطى بالمقد الذى يخص هذه الكنيسة البازيليكية نحو الشرق كما هى العادة

ونتمنى أن يظل الوصف الذى قدمه لبسيوس صالحاً . ومن المفروض أن الناظر الى الرسم التخطيطى الذى نشره لبسيوس يقف فى الزاوية الشمالية الغربية للمبنى . وهناك فراغ كبير فى الحائط الشمالى كما هو ظاهر حتى هذا اليوم . ومن خلاله نرى داخل الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى ، ونستطيع مشاهدة النوافذ التى فى هذا الحائط . انها تحتل مكاناً غير عادى لانها شديدة الانخفاض ، لدرجة انها تدخل فى الجزء المبنى من الحجر الذى يعتبر حالياً الجزء الوحيد من حائط الجناح الموجود فى مكانه الأصلى من الجزء المبنى بالطوب حتى ارتفاع مترين على الاقل وهو الذى بينه لبسيوس وقد تمت ازالته . أما النوافذ فلابد وانها كانت تلقى ضوءاً غزيراً على الجناحين . وفى معظم الحالات تكون النوافذ مرتفعة عند وجودها فى حوائط الجناح .

ويسمح لنا المنظر الذى يظهر من خلال فجوة الحائط الشمالى التى سبق ذكرها ، برؤية حنية الهيكل الأوسط ، الذى يبدو كامل الاستدارة .

ويجبهن أيضا هيكلا فى نهاية الجناح الجنوبى ، وآخر فى نهاية الجناح الشمالى ، ولا شك أن فحص المسقط الأفقى لا يصور لنا مثل هذه المعالم . ويمكن رؤية العقود التى تشكل الباكية التى فوق الصحن ، والعقود الصغيرة المنخفضة التى تقوم على دعائم مربعة من الحجر مثل تلك التى نراها فى حمام الفارقى (اللوحة رقم ١١) وقد خربت هذه كلها بما فيها الهياكل . والحقيقة أنه من الصعب معرفة الكثير بدراسة هذه الصورة لأنها سيئة جداً . ولا شك أن المصور استخرج ما يقدر عليه اعتماداً على الرسم التخطيطى الأصلى المتوسط الجودة والذى يعبر عن مكان لم يره .

أما كتلة البناء التى تظهر بشكل يثير الشجن فهى صغيرة ، وأما البناء الحجرى الذى ذكره لبسيوس والمأخوذ من الحجر الرملى المجاور له والذى كان من الأفضل وصفه بأنه أصفر وليس أبيض ، فانه ما زال ظاهراً من الشرق والجنوب والغرب . وما زال السلم الذى فى الزاوية الجنوبية الغربية قائماً أعلى من الحوائط الأخرى ولكن الداخل كله فارغ ، فيما عدا دعامتين صغيرتين من الحجر ربما كانتا تشكلان العارضتين الرأسيتين للمحراب ، ودعامتين أخريين مشابهتين لهما تشكلان الزاويتين الشرقيتين للسلم والحجرة المقابلة فى الشمال . وقد ضاع قبو الهيكل بكامله ، وكذلك الجدران حتى مسافة قصيرة من الأرضية . والمكان مزدحم بأنقاض من الطوب الأحمر . ويقول لبسيوس انه كان هناك فوق الحجر طوب من الطين غير المحروق ، فهل تسببت احدى سقطات القلم فى استخدام كلمة (غير المحروق) بدلا من (المحروق) ؟ ربما كان كذلك .

وقد زال كل البياض الموجود على الوجهين الخارجى والداخلى لجدران الكنيسة ولكن بقيت شظيات قليلة منه . أما الحوائط المحيطة بالدير فقد أسقطت فى أماكن عديدة . أما الحجرات التى فى داخل السور فقد تحولت فى معظم الأجزاء الى كومة مختلطة .

واذا قارنا الرسم التخطيطى لهذه الكنيسة بغيره من الرسومات الأخرى التى من الطراز (أ) فسنلاحظ شدة التشابه بينها جميعاً ، كما أنها

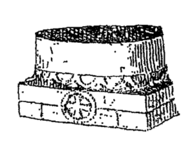
جميعها من الطراز البازيليكى . أما الخرائب التى وصفتها فى صـوبة وتلك التى سنتحدث عنها فى چينتى ودنقلة وساى ، فانها تختلف ماديا عن الكنيسة التى فى وادى غزالى من حيث ان السابقة ذات أعمـدة منحوتة من كتلة حجرية واحدة على كلا جانبى الصحن . أما اللاحقة فإنها مقامة على قواعد صلبة من الحجر ويدلنا السـلم على أن المبنى الأخير تميز بشرفات أو ممرات فوق الجناحـين . ربمـا ننسب هـذا الاختـلاف إلى ضرورات طقسـية وربمـا ننسـبه إلى حقيقـة أن سحـب الأعمـدة المنحوتـة من كتلـة واحـدة مهما كـانت صغيرة ـ عبر الوادى الى موقع الكنيسة ـ يمثل مهمة شاقة وأنه من الأرخص والأسهل بناء الدعامات الحجرية .

چينتى

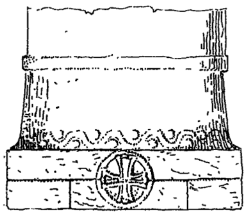
اللوحة رقم ٤

توجد على جزيرة چينتى خرائب كنيسة (زرتها فى ٨ يناير سـنة ١٩١٠) وهنا نجد ست قواعد موضحة فى مواضعها على الرسم التخطيطى المسقط الأفقى . والأعمدة من حجر صخرى أخضر وهى صغيرة ومنحوتة من كتلة واحدة ومتوسط طولها ما بين ٢٠ر٢ الى ٤٠ر٢ متراً . ويبلغ قطرها ٦٥ر٠ متراً .

وقد نفذت باستخدام المعول . والأعمدة غير منتظمـة فى الشكـل وغير متساوية فى الطول ومصنوعة باهمال كما هو الحال فى صوبة . وهذه الملحوظة تنطبق على باقى المواقـع .



شكل رقم (٨) : تاج عمود فى چينتى



شكل رقم (٩) : مسقط رأسى : تاج العمود فى چينتى .

ويختلف العمود (أ) عن الأعمدة الأخرى من حيث ان تاج العمود جزء من نفس بدن العمود . أما فى كافة الحالات الأخرى فالتيجان منفصلة . وما زال العمود (أ) قائماً ، وكذلك فان قواعد الأعمدة الأخرى فى مكانها الصحيح كما هو واضح من الرسم التخطيطى . ويمكن مشاهدة ستة أعمدة أخرى ملقاة على الأرض وجميعها سليمة .

وقد زالت جميع حوائط الكنيسة . ولم يبق الا بعض أجزاء متناثرة من الطوب المكسور . وهذه أيضاً ليست فى الموضع الذى يبين مكـــان الأعمدة ، لأنها مجرد أكوام لا شكل لها ، ولذلك فمن الصعب افتراض الشكل الذى كان عليه المسقط الأفقى للمبنى . والمســـافات التى بين الأعمدة كبيرة بالنسبة لما كان عليه الحال فى صوبة . وربما افترضنا أن الصحن ينتهى فى الناحية الشرقية بالمحراب المعتاد ، ولكن القاعدة (ب) فى الشمال يصعب الحديث عنها لأننا نفترض وجود جناح مزدوج فى ذلك الجـــانب .

وتستحق الأعمدة أن نتحدث عنها قليلا ؛ لأنها تختلف عن النوعيـــة المعتادة . أما قرم التيجان (الوسائد) التى فوق الأعمدة كما هى مبينة فى الرسومات (انظر الشكلين رقمى ٨ ، ٩) فانها سميكة وتحمل فى واجهتها صليباً داخل دائرة . ونجد تحت قرمة التاج (الوسادة) مجموعة من الزخارف . أما فى حالة العمود القائم الذى نحت مع تاجه مع البدن من قطعة واحدة من الحجر ، فان الزخارف تتكون من خط متعرج مـــن الحفر الغائر مع رسم دوائر بارزة فى كل منحنى . ويمثل الكورنيش قالباً بارزاً مثل العنق . وهناك زخرفة اضافية تحت المخدة فى شكـــل منحنى ، تذكرنا بحلية البيضة والسهم وتعطى هذه الأعمدة البسيطـــة انطباعاً رائعاً . وهى تبدو شديدة وقوية فى مكانها ، بينما تتناسب جودة الصنعة والتصميم مع المادة الصلبة التى صنعت منها .

دنقـــــلة القديمة

قمت بزيارتها فى ٧ يناير سنة ١٩١٠ . وكانت قد أنشئت فى القرن الماضى ، مقراً لحكومة الولاية ، ومركزاً ادارياً يسمى دنقلة الجديدة أو

على الأصح الأوردى للتفرقة بينها وبين مدينة دنقلة القديمة وهى المكان الذى نتصده الآن .

كانت دنقلة القديمة عاصمة لمملكة دنقلة المسيحية وقد أنشأها سيلكو حوالى سنة ٤٥٠ للميلاد ، وكانت ذات أهمية ملحوظة وحجم كبير كما تشهد الخرائب على ذلك . وقد غزا المكان الفاتحون العرب من مصر فى سنة ٦٥٢ . وتهدمت المبانى الرئيسية بما فيها الكنيسة وتوسل السكان فى طلب السلام .

ويقول أبو صالح عن هذا المكان : « هنا عرش الملك . انها مدينة كبيرة على ضفتى النيل المبارك . وتشمل كنائس عديدة ومنازل كبيرة وشوارع واسعة . ومنزل الملك مرتفع وبه قباب عديدة مبنية من الطوب الأحمر وهى تشبه المبانى التى فى العراق . وقد استحدث رافاييل ملك النوبة هذه المدينة سنة ٣٩٢ للهجرة (١٠٠٢ للميلاد) » (١) .

وتقع خرائب دنقلة القديمة فى موقع مرتفع يطل جزئياً على النهر من جهة الضفة اليمنى للنيل . ويمثل منطقة واسعة مغطاة بقوالب الطــوب الأحمر المكسورة . ولا شك أن هناك الكثير منها مختفياً تحت الرمــال المنجرفة والتى ما زالت — كما قيل لى — تمتد بانتظام وتهدد بتغطيــة المنازل القليلة الباقية التى يقيم بها السكان ، ويبرز من بين كتل الطوب الأحمر هذه فى مكان أو مكانين ، أعمدة صغيرة منحوتة من كتلة واحدة من حجر صخرى أخضر أى نفس المادة التى التقينا بها فى صوبة . وكذلك نجد أن الأعمدة تتميز بنفس الأبعاد . ويقف بعضها بالنسبة الى البعض الآخر كما لو كانت تشكل جزءاً من كنيسة .

وهناك على حدود رأس بحرى على النهر مباشرة ، قطع من أعمدة وحوائط من الصوان قائمة بطريقة توضح أنها هى الأخرى تمثل جزءاً من كنيســة .

وأوضح معالم دنقلة القديمة كتلة مستطيلة الشــكل من القــوالب الحجرية ترتفع الى طابقين ، وتشغل المنطقة المجاورة . وهى ليست

---

(١) انظر كتاب (أبو صالح) ص ٢٦٥ . ويجب أن نتذكر أن أبا صالح كان يتمتع بخيال خصب فيتحول المبنى المتواضع الى عملاق بفعل قدراته على التضخيم فى الوصف .

كبيرة الحجم وتبلغ مساحتها على المسقط الأفقى ٢٤ متراً فى ١٨ متراً ولكن كل ما يحيط بها خرائب ويكشف ذلك عن تزايد أهميتها بشكل واضح . وهى تبرز حتى ارتفاع حوالى عشرة أمتار عن مستوى سطح الأرض الحالى للربوة الصغيرة التى تقع فوقها ، ولكن نظراً لعدم استواء السطح فان الارتفاع يتفاوت من جزء الى آخر .

ويتكون الدور الأسفل فى هذا المبنى من خمسة أروقة متوازية تنفتح نهاياتها على شكل أروقة متقاطعة مسدودة من أعلى بعقود على شكل الأنفاق قد سقطت فى بعض الأماكن وتم اصلاحها بعوارض خشبية قد اصابها العطب . ويبلغ ارتفاع هذه الطبقة من مستوى سطح الأرض حتى مستوى الأرضية التى تعلوها حوالى سبعة أمتار .

وهنا سقف علوى مبنى فوقها ، يتكون من حجرة مربعة فى الوسط ذات رواق على كل من جوانبها الأربعة ، ويتم الوصول الى هذا السقف عن طريق سلالم فسيحة . ويبلغ ارتفاع هذا الدور ٢٫٥ متر . وهو مسقوف بعوارض خشبية يتخللها البوص وغطيت كلها بالمونة .

ويوجد على حائط الحجرة الوسطى ، بالقرب من السلالم ، جزء من رسم تحت البياض ، ربما كان يمثل موسى ، حيث يبرز قرنان من الرأس . وهناك صليب محفور على تاج أحد الأعمدة الأربعة الصغيرة التى تساعد على حمل السقف الخشبى . وهذه الحجرة العلوية تستخدم الآن كمسجد ، وقد استخدمت لهذا الغرض سنوات عديدة كما تبين النقوش التى على الجدار .

وذكر لنا البعض أن هذا المبنى كان كنيسة . واذا فحصنا الرسم التخطيطى للمسقط الأفقى فإننا لا نجد شيئاً سواء فى الدور السفلى أو العلوى يبرر مثل هذا القول . وعلى أية حال ، فان تخطيطه غير عادى ولا يشبه أى كنيسة أخرى موجودة فى أى جزء من مصر أو السودان ولذلك فإننى أتردد فى قبول هذا القول . أما وجود قطعة صغيرة من الرسوم الجدارية وعمود ردىء الصنع عليه صليب محفور وهو الشىء الذى ينتقل بسهولة من مكان آخر ، والرمز المسيحى الذى أخفى تحت

جزء من البياض ، فان هذين البندين اللذين لا معنى لهما ليسا الا دليلا واهياً .

والمبنى — بصرف النظر عن ماهيته — يستحق دراسة اضافية ، ويحتاج لاصلاح دقيق وحفريات اضافية والحقيقة أن البقعة كلها والأماكن التى من الواضح أنه كانت بها كنائس ، تستحق أن يعاد فحصها علمياً . ويلزم أن تتضمن وادى ليتى ، وهو بقعة أصبحت الآن صحراء ، ولكنها كانت مزروعة يوماً ما وقد قيل ان هناك فى هذا الوادى دلائل على وجود مراكز استقرار مسيحية عديدة .

سيد جنا

(اللوحة رقم ٥ ، والشكل رقم ١)

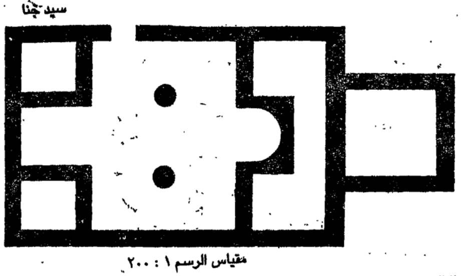
تمت زيارتها فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٩ ، ويطلق السكان على هذا المكان اسم نولوا . وهنا توجد بقايا معبد من الأحجار بناه أمينوفيس الثالث . وتوجد فى الجنوب مباشرة كتلتان سفليتان اسطوانيتان لعمودين من الحجر الجيرى سلبا من المعبد وأعيد تشكيلهما وهما يحددان موقع كنيسة صغيرة ذات تخطيط مثير وغير عادى . وما زالت آثار الجدران الخارجية للمبنى ظاهرة على الأرض وهى مكونة من قطع من الحجر الجيرى من نفس المصدر الذى أحضرت منه أحجار العمودين .

وتبين لنا اللوحة رقم ٥ التى تحمل الرسم التخطيطى أننا عند موقع مبنى يبلغ طوله الداخلى المتواضع ١٢ متراً . وينتهى الصحن فى الشرق بالهيكل المعتاد الذى تجاوره فى الشمال والجنوب حجرتان صغيرتان يصل بينهما ممر ضيق خلف الهيكل وهناك فى الأساسات التى فى الطرف الغربى دلائل على امكانية وجود سلم فى الركن الجنوبى الغربى يقود الى ممرات أو شرفات فوق الجناحين الشمالى والجنوبى . ولكننى لا أرى فى الخرائب الموجودة الآن أية بقايا للسلم نفسه . ومن المعتاد بالنسبة لبقايا أى مبنى مندثر أن تترك معظم الكتلة التى استخدمت فى بناء السلم بدرجاته مع العمود المركزى الذى يستند اليه ، بصمتها ، كما رأينا فى حالة الدير بوادى غزالى .

ومعظم البناء مندثر ولا نجد دلائل على وجود مدخل الا فى موقع واحد فى الجدار الغربى . وهذا أيضاً غير واضح . وكما نرى فإنه من المعتاد

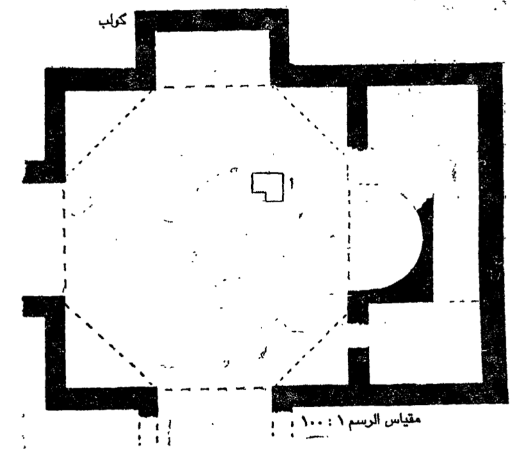
لـوحة رقم ٥

شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

وجود مدخل فى مثل هذا المكان ، مع مدخل آخر مقابل له تماماً فى الجدار الجنوبى . ولا نشك فى أن العقود كانت محملة على العمودين .

وتقع على يسار المحراب أساسات ترتبط بأساسات الكنيسة ومعاصرة لها . أما عن كيفية الوصول للحجرة التى نفترض أنها كانت موجودة هنا سواء اتصلت بالكنيسة عن طريق مدخل أم لا ، فمن يستطيع أن يعرف ؟ ولم أجد حجرة مشابهة فى أى رسم تخطيطى آخر صادفته .

سينارتى

هناك على جزيرة ساى أربعة أعمدة كل منها مكون من حجر واحد ، وهى محاطة بأنقاض من الطوب الأحمر المكسور ، يبلغ طول العمود الواحد أربعة أمتار ، ويتراوح قطره ما بين ٥٥ر. الى ٦٠ر. متراً ، وهى من حجر صخرى أخضر . وثلاثة من هذه الأعمدة قائمة ، بينما سقط الرابع على الأرض ، وقد بقى فى موضعه الحالى بسبب الأنقاض المحيطة بقاعدته (تمت الزيارة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩) .

وينطبق على هذه الأعمدة بوجه عام وصف الأعمدة الموجودة فى صوبة أو چينتى . وهى تشكل جزءاً من كنيسة على الطراز البازيليكى . وتختلف التيجان عن تلك التى سبق وصفها (انظر الشكلين رقمى ١٠ ، ١١) وشكلها الخارجى مقبض ونرى تحت الحلية الحلزونية التى فى الركن مجموعة من التكوينات التى تشبه الدروع ، وهى جميعها بارزة ولا تحمل أية نقوش . أما العمود الذى ذكرنا انه سقط من بين الأعمدة المنحنية ، فانه يختلف تماماً من حيث الطراز عن العمود الذى وصفناه .

كولب

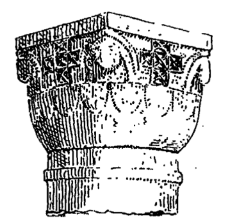
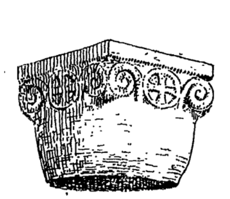
(اللوحة رقم ٥ ، الشكل رقم ٢)

تمت زيارتها فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ . وتقع على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة الطرف الجنوبى لجزيرة كولوبنارتى أو جزيرة كولب ، خرائب كنيسة فريدة ومهمة — ومقطعها الأفقى متفرد على قدر علمى (انظر اللوحة رقم ٥ ، الشكل رقم ٢) .

وتقع الكنيسة على قطعة من الأرض المستوية عند قاعدة بعض الصخور الشديدة الانحدار ، فى موقع بديع المنظر . حقاً ، نحن الآن فى بطن الحجر . وجميع المناظر أكثر أو أقل جاذبية نظراً لامتزاج

الحضارات ، والقرب من النهر ، والارتباط بالصخور المدببة والعارية تماماً ، والمنحدرات الصخرية ، ومنحدرات الرمال الذهبية التى تشكل خلفية واطار الصورة . وتبرز صخور قليلة فى وسط قطعة الأرض الصغيرة المستوية ، وقد كونت هذه الصخور منصة صغيرة ، تسندها احجار غير مصقولة ، أحضرت من موقع قريب وحجمها غير عادى بالنسبة لهذا النوع من البناء .

ونلاحظ أن الرسم التخطيطى للكنيسة من الطراز المعتاد فيما يتعلق بالطرف الشرقى ، مع وجود غرفتين الى شمال وجنوب حنية الهيكل ، يربطهما ممر . ولكن بقية المبنى تختلف عن الطراز المعتاد . وهذا الجزء من المبنى مغطى كله بقبة يزيد قطرها على سبعة أمتار ، بدلا من الصحن والجناحين . وقد تحول المربع الى شكل مثمن الأضلاع حتى يصلح للقبة ، مع بناء عقد عبر كل ركن . وهذه العقود نصف دائرية مثل العقود التى على الوجوه الأربعة الأصلية . وتبرز حنيات غائرة من الجدران الجانبية ، يعطى ترتيب وضعها قدراً كبيراً من الثبات مع استخدام القليل من المواد الخام .

الشكلان رقم ١٠ ، ١١ : تاجا عمودين فى سينارتى

ولا نرى الآن ما اذا كان المبنى قد استكمل فى الناحية الغربية أم لم يستكمل . ولدينا دليل على أن الحوائط الموجودة تمتد بزوايا قائمة مع الحائط الغربى الموجود . وقد استقرت القبة على هذه الحوائط جزئيا ، ولكن لا يمكن الجزم بوجود أى نوع من أنواع الصحن .

ويمتد بروز القبة فى الزاوية الجنوبية الغربية للصحن المربع . أما الطبقة الرقيقة من الطوب اللبن التى بنيت منها فقد سقطت فيها ؛ ونجد فى (أ) على الرسم التخطيطى دعامة من الطوب اللبن يصعب القول بأنها كانت جزءاً من المبنى الأصلى . وأعتقد بأن دلائل الانهيار بدت على هذه القبة فى سابق تاريخها ، وأن الدعامة تمثل الجهد الذى بذل للمحافظة على بقائها .

والمبنى صغير المساحة ، والعقود تبرز فوق الأرض بحوالى متر ونصف المتر . والمؤسف إنها فى وضعها الحالى خربة ومهجورة . وباقى المبنى غير مسقوف فيما عدا امتداد القبو الأسطوانى فوق الحجرة التى فى الجنوب الشرقى ، وبقاء جزء من القبة فوق الركن الجنوبى الشرقى للصحن المربع والباقى غير مسقوف ، ويوجد القليل من حلقات العقد الذى ينفتح غرباً فى حالة غير مستقرة وهناك أحجار قليلة داخلة فى فراغات الجدران ، وشجيرات شوكية هنا وهناك . وسواء كان المقصود بهذه الاحتياطات طرد الوحوش من الحرم المقدس أو الابقاء على الوحوش فى الداخل عند حجزها هناك ، فمن يستطيع القول ؟ وعلى أية حال ، فاننى أعتقد أن المبنى متفرد تماماً فى أسلوبه .

وهناك حطام صغير قائم فى واد صغير على بعد قليل من الكنيسة التى ذكرناها مؤخراً بالقرب من الشيخ فريج ويقع بالقرب منه القليل من المنازل الطينية . وهو مازال موجوداً بمقاطعة كولب . وقد زرته فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ . وتجد الرسم التخطيطى له فى اللوحة رقم ٦ ، الشكل رقم ١ .

وينتمى الرسم التخطيطى لكنيسة كولب الى الطراز (ب) ، الذى وصفناه بأنه يتميز بوجود قبة كإحدى الملامح الرئيسية ونلاحظ فى الحالة الراهنة تدمير الطرف الشرقى والناحية الجنوبية حتى الأرض ، ونستطيع فقط أن نتتبع الخطوط الدالة على الجدران بفحص الأحجار التى شكلت مسار القاعدة .

ويبلغ عرض الصحن الصغير مترين ، وطول المبنى كله ٨٫٥٠ متراً . وقد غطى الصحن والجناحان بعقود متوازية من الطوب اللبن . أما الغرفة التى فى الطرف الغربى للجناح الجنوبى ، فان عقدها قائم الزاوية مع عقد الصحن . وتقع هذه الحجرة فى الموقع الذى فيه السلالم غالباً . ولكن

لا يوجد دليل هنا على مثل هذا الشيء . ويمكن أن نتتبع أشكالا قليلة ملونة على أجزاء العقود التي مازالت تغطي جزءاً من الطرف الغربي ولكنها للأسف مكسورة . وقد بنيت الكنيسة من الطوب اللبن بأسقف مقبية من نفس الطوب .

اننا الآن في منطقة الطوب اللبن ولن نلتقي مرة اخرى بأعمدة من الحجر الصخري أو شظيات الطوب الأحمر .

كـولوبنارتي
(اللوحة رقم ٦ ، الشكل رقم ٢)

زرت جزيرة كولب (آرتي) يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ حيث توجد بقايا كنيسة صغيرة من الطراز (ب) مبنية كلها من الطوب اللبن في الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة الصخرية الرائعة مجاورة لمجموعة من المنازل الخربة التي يعلوها قلعة خربة أو برج مراقبة .

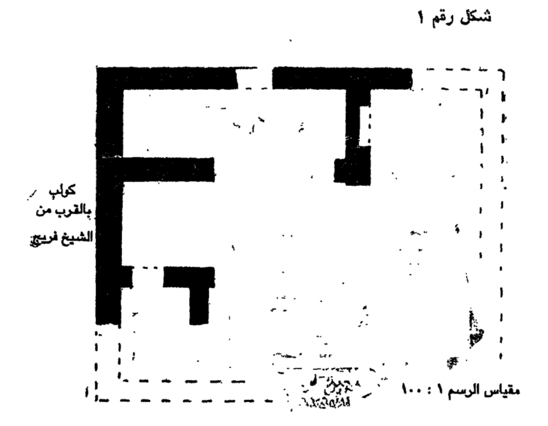
وقد بقيت الحوائط الخارجية حول المبنى بنفس ارتفاعها الكامل تقريباً . وهي شيء عجيب لأن طول المبنى كله من الداخل يبلغ ٦ر٣٠ متراً بينما يبلغ عرضه ١٣ر٥ متراً . ولا يوجد هيكل حسب المسقط الأفقي ، ولكننا نجد في أماكن عديدة أن المسقط الأفقي في مستوى الأرض مربع الشكل ، وفي نفس الوقت فان السقف قد تجمع من أعلى ليتحول الى ربع قبة حسب ما كان في هذه الكنيسة . وقد وجدنا الغرفتين شمال وجنوب الهيكل ، ولكن لا يربط بينهما ممر . وقد رأينا السلم الذي ذكرنا من قبل ان مكانه المعتاد يقع في الركن الجنوبي الغربي من المبنى . ولم أستطع العثور على دليل في المبنى نفسه يدل على وجود شرفات جانبية ، وانني أميل الى افتراض أن السلم يقود الى السقف فقط .

ويبلغ اتساع الصحن الصغير أقل من ١ر٥٠ متراً . والمدخلان صغيران حتى ان المرور بينهما غير ملائم . ومما يثير العجب أن تقام خدمة المذبح في مثل هذا المكان البالغ الضيق ، ولكننا نجد بقايا رسومات كانت دائماً في خطر . وتوجد الشرقية بمنظر المسيح في المجد (*) في الحائط الشرقي في الموقع (أ) ، ويوجد على الجدارين الأيمن والأيسر صفان من صور الرسل ذوي الأجسام الهزيلة ، ولكنها محطمة بشكل محزن .

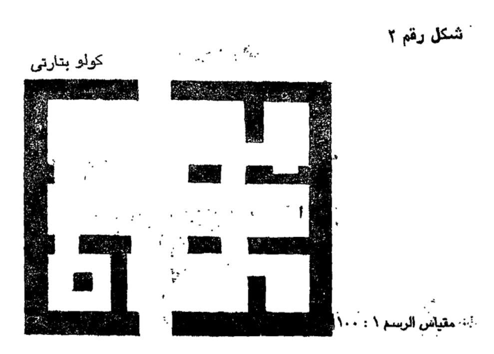
(★) هذا المنظر يمثل السيد المسيح جالسا على كرسي العرش ، وهو المنظر الموجود في حنية حائط الشرقية بجميع الكنائس ـ (المترجم) .

لــوحة رقم ٦

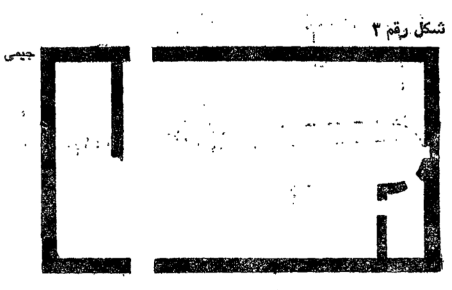
شكل رقم ١



شكل رقم ٢



شكل رقم ٣



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

چيمى
(اللوحة رقم ٦ ، الشكل رقم ٣)

بالرغم من صغر حجم الكنيسة التى فى چيمى فان مساحتها الأرضية أكبر من مساحة الكنيستين اللتين وصفناهما مؤخراً، وهى من الطراز البازيليكى ومقامة على ربوة طبيعية من الصخر ، أعدت فنياً لتشكل أرضية مسطحة للمبنى ، وقد زرتها فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩ . وهى مبنية كلها من الطوب اللبن فيما عدا المداميك السفلية للحوائط فانها بنيت من الحجر غير المنتظم الشكل ومونة من الطين . ويبين المسقط الأفقى أن الدعائم التى فى الداخل غير موجودة وكذلك كافة المعالم الداخلية فيما عدا قاعدة الهيكل وجدران الغرفة التى فى الجنوب منها ، التى ظل جزء من قبوها الاسطوانى باقيا . ونلاحظ أنه لا يوجد فى هذه الحالة الممر الذى خلف الهيكل . أما البابان اللذان فى الحائط الخارجى فهما فى موقعيهما المعتادين، ولكن هناك ظاهرة غير عادية فى الطرف الجنوبى ، حيث نجد هنا بقايا حجرة تمتد طولياً من الشمال الى الجنوب وتحمل جزءا من السقف الذى على شكل قبو اسطوانى . وتوجد أنقاض كثيرة تزحم أرضية هـذه الكنيسة . وربما تتكشف ازالتها عن كيفية الدخول الى هذه الحجرة . وترتفع الحوائط الخارجية ارتفاعاً معقولا ، وهى تمثل عينـات جيدة للمبانى التى من الطوب أفضل مما تعودنا على رؤيته فى بطن الحجر .

جندل إركى
(اللوحة رقم ٧ ، الشكلان رقم ١ ، ٢)

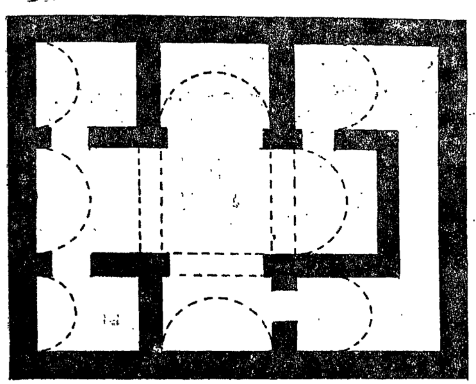
تقع إلى شمال المكان الذى ذكرناه آنفاً مجموعة من المنازل والكنائس الخربة ، وحوائط بعض المبانى التى لا استطيع تحديد استخدامهـا . والكنيستان اللتان زرتهما فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩ والمبنيتان بكاملهما من الطوب اللبن متجاورتان ، وفى حالة دمار شامل . وتنتميان كلتاهما الى الطراز (ب) مع وجود قبتين مركزيتين صغيرتين .

وفى حالة الشكل رقم (١) ، فان مقياس الرسم أكبر قليلا من الآخر . ونلاحظ الحجرتين اللتين فى شمال وجنوب الهيكل ، والممر الذى يربـط بينهما ، وأن الهيكل له طرف مربع على مستوى الأرضية . ولما لم أجد دليلا على وجود المدخلين فاننى لم ارسمهما فى الرسم التخطيطى . ومن المحتمل انهما كانا فى الطرفين الغربيين للجدارين الشمالى والجنوبى .

لــوحة رقم ٧

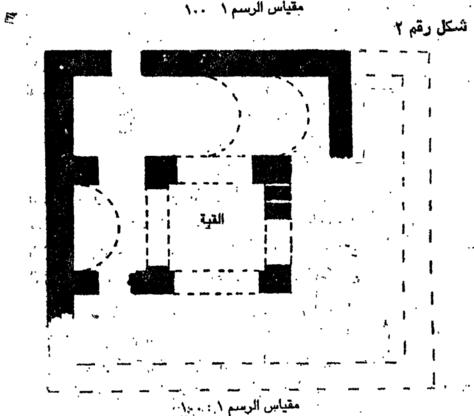
شكل رقم ١

جندل إركى



مقياس الرسم ١ ١٠٠

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

وفى حالة الشكل رقم(٢)،نجد أن الحائطين الشرقى والجنوبى مخربان تماماً . ويبلغ الطول الداخلى للمبنى الصغير ٨ أمتار . ونرى مقابل الدعامة التى تمتد فى الاتجاه الشمالى الشرقى والتى تحمل القبة ركيزتين من الطوب اللبن تمثلان موضع اتصال رأسى وقد اضيفتا الواحدة بعد الأخرى . ويتم تسجيل مثل هاتين الدعامتين فى حالات عديدة حتى فى أصغر المبانى . حقاً ، أن الطريقة عديمة الاكتراث التى أقيمت بها هاتان الدعامتان الحقيرتان تثير العجب ! .

ويمكن تتبع تنسيق الأقباء الأسطوانية فى جميع الحالات ، حتى فى الأماكن التى سقطت فيها مثل هذه الأقباء . وكذلك يمكن أيضاً مشاهدة المساحات القليلة من الرسومات المحطمة .

جزيرة ثيت . ماتوجا
(اللوحة رقم ٨)

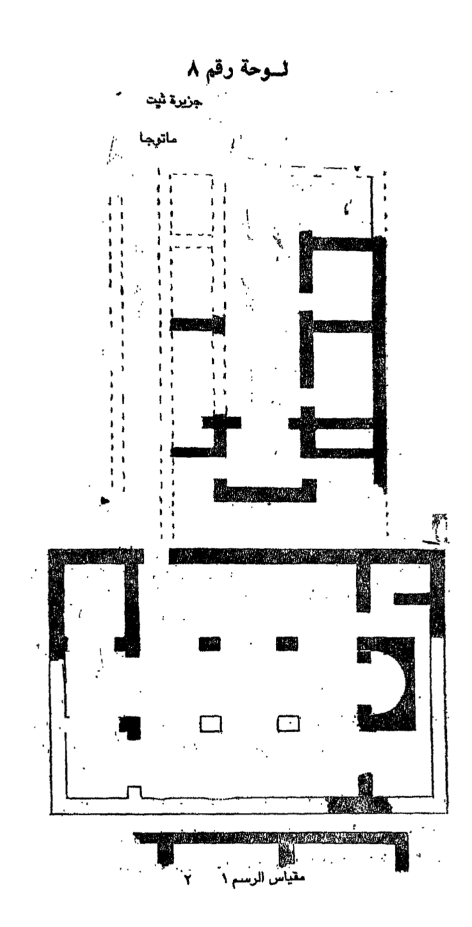
اقيم هذا الحطام الذى يمضى نحو الفناء سريعاً بالرغم من قابليته لمعرفة أصله ، فوق جزيرة تقع بالقرب من الطرف الشمالى لبطن الحجر . أما المبانى التى من الطوب اللبن فانها تستوى جميعها بسطح الأرض . وقد زرتها فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ .

وإذا نظرنا إلى المسقط الأفقى للكنيسة ، فسنتبين أنها من الطراز البازيليكى العادى ، وأن المبانى ترتبط بها من الشمال . وهناك أيضاً آثار لمبان أخرى فى الجنوب . ويتفق الرسم التخطيطى للمبنى فى الشمال الذى به مدخل مركزى وحجرات تنفتح منه على الأجناب ، مع المدخل والحجرات العرضية التى ذكرناها فى الدير بوادى غزالى .

وتؤيد دراسة الرسم التخطيطى لدير القديس سمعان بأسوان (اللوحة رقم ٢٩) ودير المجمع (اللوحة رقم ٣٩) ، ما نقوله عن إننا فى موقع احد الاديرة — ولا شك أنه دير صغير .

والكنيسة من الطراز البازيليكى الأرثوذكسى الذى يتميز بوجود ممر خلف الهيكل . ويبلغ طول الصحن حوالى ثمانية أمتار . ويقع السلم فى الركن الجنوبى الغربى . وقد وضع المدخلان كالعادة فى الحائطين

لـوحة رقم ٨



الشمالى والجنوبى . والباب الذى فى الشمال يقود الى فضاء ربما كان فناء غير مسقوف . ومن هذا الفناء دخلنا الممر الذى فى اتجاه الشمال وينفتح منه على كلا الجانبين سلسلة من الحجرات الصغيرة . والجدران التى فى الشمال مندثرة بحيث يصعب تتبع أثرها . وربما يكشف الحفر الدقيق لهذا الدير عن جزء كبير منه . وتقع المبانى بالقرب من الكنيسة من ناحية الجنوب . وهناك بقايا من حائط الدير المحيط بها لأن هـذه المبانى كانت مسورة دائماً .

أبو صـــير
(اللوحة رقم ٩ ، الشكل رقم ٢)

تقع شمال الموقع الذى وصفناه عاليه بعض الخـــرائب التى ليس لها اسم بقدر ما أتذكر . وهى توجد الى الجنوب قليلا من الصخرة المعروفة باسم (أبو صير) .

وكما يظهر من الرسم التخطيطى(الشكل رقم ٢)، فان الهيكل وأجزاء من صحن الكنيسة يسهل تتبع اثرها ، ومازال قائماً منها عقدان أحدهما فى الموقع (أ) والثانى فى الموقع (ب) . ونجد الحوائط قائمة فوق هذين الموقعين بطريقة تجعلنا نفترض وجود نوع من المعالم المركزية ترتفع أعلى من السقوف فى المواقع الأخرى ، وبدون الحفائر لا يمكن الجزم بنوعية الطراز الذى ينتمى اليه هذا المبنى وربما كان هو الطراز(أ) أو الطراز(ب) ؟

ويجوز أن نفترض وجود ممر خلفى يربط الحجرتين الجانبيتين اللتين فى الشمال والجنوب وذلك بالنظر الى الطريقة التى تم بها تشطيب المحراب وتستعمل هـــذه الخـــرائب الآن كحظيرة للأبقـــار والمـــاعز . والجـــزء السفلى من الحـــوائط الذى يصـــل ارتفاعـــه الى حـــوالى مترين من الأرضية مبنى من الحجر غير المصقول ، الذى جمع من الصخور القريبة ، وقد بنى باقى المبنى من الطوب اللبن . وقد زرت هذا الموقـــع فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ .

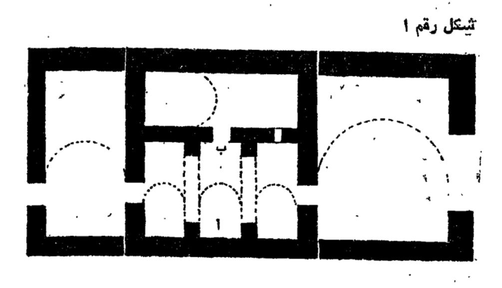
عبد القـــادر
(اللوحة رقم ٩ ، الشكل رقم ١)

تشاهد شمال صخرة (أبو صير) وعلى قمة التل ، بناية من الحجر تعرف باسم : الشيخ عبد القادر . وتقع الى الجنوب منهـــا مباشرة بجوار النهر أنقاض صغيرة من الطوب اللبن . وقد سدت الشقوق فى حوائطها الموترة بالأحجار وبشجيرات شوكية ، ولكن بلا فاعلية . أما

لـوحة رقم ٩

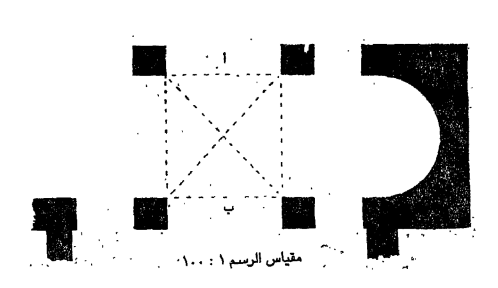
الشيخ عبد القـــادر

شكل رقم ١



شكل رقم ٢





مقياس الرسم ١ : ١٠٠

الرسم التخطيطى لهذه البناية الصغيرة فهو موجود على اللوحة رقم ٩ ، الشكل رقم ١ . وخصائص المبنى تختلف تماماً عن خصائص الكنيسة، والكتلة المركزية التى تبلغ مساحتها ٤٫٥٠ متراً مربعاً غير ملحق بها أية مبان اضافية على أي من الجانبين . أما الوصلات المستقيمة حيث تتصل الحوائط الأحدث بالكتلة المركزية فانها شديدة الوضوح ، ولكن شكل وحجم البناء متشابه فى كافة الأجزاء بحيث يصعب تخمين الزمن الذى أقيمت خلاله الاضافات .

والحجرة المركزية مسقوفة بأقباء أسطوانية صغيرة ترتكز جزئياً على عقود . وقد أقيمت حجرة صغيرة متصلة بهذه الحجرة المركزية . ويوجد فى النقطة (أ) على حائط القبو الأسطوانى الأوسط منظر للمسيح فى المجد يغطى الفراغ الموجود كله ، وتلاحظ وجود بقايا من الرسم فى باقى الأجزاء محفوظة بشكل سليم . والحقيقة اننى لم اصادف أنقاضاً أخرى فى السودان تحتفظ بالكثير من رسوماتها أو الجزء الأكبر من سقفها . أما القبو الأسطوانى الذى يغطى أحد طرفيه الرسم الموجود فى (أ) ، فإنه يكاد أن يسد الحائط ويسمح لنا برؤية الداخل بقدر ما يسمح الدمار الذى لحق به ، فقد أقيم على شكل فانوس صغير أو قبة (ب) وهو المصدر الرئيسى لإنارة هذا الجزء من الداخل أما عن الحجرتين اللتين تقعان على يمين ويسار الحجرة المركزية ، فان كلا منهما مغطاة بقبو أسطوانى من الطوب ، وأحداهما — كما يبين الرسم — لها مدخل واسع ومفتوح ، بينما المداخل فى بقية المبنى تشبه الثقوب الصغيرة . وتسد هذا المبنى من الداخل الأنقاض التى ساعدت لحسن الحظ فى الحفاظ على الرسومات . ولا نرغب فى ازالة أى منها ، الا اذا قامت بهذا العمل يدان خبيرتان مع عمل نماذج دقيقة للرسومات .

ولسوء الحظ فأن المبنى الصغير يقع بالقرب من مسار السائح الذى يذهب الى صخرة (أبو صير) . والسائح أشد عداوة للمبانى القديمة من المواطن الجاهل ، لأنه يأخذ الرفات والتذكارات ، ويتزاحم فى الحجرات الصغيرة ، ويتجول فيها بالعصى والشماسى والأحذية ذات

المسامير مما يسبب تخريباً أشد . ولا شك فى أنه يفعل ذلك بدون قصد .
وقد زرت هذا المكان فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ .

ولا انسى أن اعبر عن امتنانى للمستر ف. و. جرين ، الحاصل
على درجة الماجستير الذى ساعدنى فى قياس المبانى التى وصفتها ،
والبروفيسور أ. هـ. سايس الذى صاحبنى مع المستر جرين فى رحلتى
الى السودان .

الفصل الرابع

وصف الرسومات ــ من حلفا الى فيلة

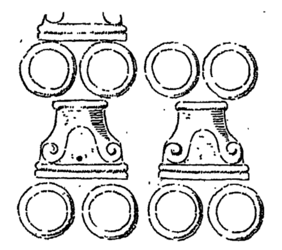
وصلنا الآن الى الطرف الشمالى لبطن الحجر ــ الشلال الثانى ــ وقد اخذت سلسلة الرسومات التخطيطية التالية من المبانى القديمة التى وجدت ما بين الشلال الثانى والشلال الأول . واستخدمت الذهبية لتنفيذ هذه الرحلة على احسن وجه فى مناسبتين .

ويوجد على الجزر التى فى مدخل الشلال العديد من بقايا المبانى ومن المحتمل أن يكون بعضها مسيحياً . ويقوم الدكتور راندال ماكايفر بدراسة هذه المنطقة حاليا ، ولا شك فى أنها ستفحص فحصاً شاملا بين يديه المدربتين (١) .

وبعد اتجاهنا الى الشمال من حلفا ، توقفنا أولا فى ارجين . وسرعان ما لاحظنا بعض الخرائب على حافة النهر بالقرب من ذلك المكان ــ اى حوالى عشرة أميال شمال حلفا ولكن على الضفة الشرقية. وبعد فحص هذه الخرائب اتضح أنها بقايا مستودع لحفظ الفخار (الشكل رقم ١٢) . ووجدنا أن النيل قد نحر فى الضفة حتى صارت

---

(١) نشرت جامعة بنسلفانيا بعض النتائج . انظر كتاب :
Churches in Lower Nubia. by Geoffry S. Mileham, edited by D. Randall MacIver MCXM.



شكل رقم (١٢) : ارجين ـ تيجان اعمدة من الفخار

شديدة الانحدار مما كشف عن مجموعة كبيرة من تيجان الأعمدة والمواسير الفخارية التى كومت فوق بعضها بترتيب منظم . وقد وضعت بعض هذه المواسير متوازية مع النهر ، بينما وضع بعضها الآخر فى وضع عمودى على المجرى . واستطعنا أن نتابع طبقات عديدة منها . وكانت تيجان الأعمدة مقلوبة فوق فوهة المواسير وقد وضعت متجاورة بحيث تغطى المواسير طولياً . أما مادتها فهى مصنوعة من صلصال جيد محروق تماماً ، حتى انها تكشف عن لون أحمر لامع عند كسرها ، ولكن الطبقة السطحية منها رقيقة وضاربة الى البياض . وبلغ طول أطول ماسورة من هذه المواسير المجوفة ٥٨ر. متراً وكان أحد طرفيها كاملا .

ولم تكن تيجان الأعمدة الزديئة الصنع متطابقة مع بعضها البعض ، كما كانت آثار الأصابع ظاهرة فى داخلها . ولا أظن أنها صنعت فى قالب . ان صناعة تاج العمود الذى له قاعدة فى الجزء الأسفل منه ، وتجاعيد أو قرون فى الأركان بحيث يحمل كتلة مربعة فوق العمود المستدير المقطع ، هى النوعية الموجودة فى أشغال الحجارة بجميع المبانى المسيحية المصرية ، وفى كافة أرجاء أوربا ، ويبدو أنها احدى الأشكال الواضحة التى تطورت بشكل طبيعى حيثما تطلب الأمر مجابهة الصعوبات .

اما المواسير التى يتضح من الوهلة الأولى أنها كانت ستؤخذ لعمل الأعمدة التى توضع فوقها التيجان ، فانها لا تناسب هذا الغرض جيداً لأن قطرها كبير . وغطيت من الخارج أفقياً بعلامات أصابع الصانع . ولا بد أنه كانت هناك كمية كبيرة من تيجان الأعمدة والمواسير الموضوعة على جانب النهر . وقد تناثرت شظيات وقطع من الطوب الأحمر ، وكمية من الفخار المكسور على مدى خط السير جنوباً لمدة عشرين دقيقة ولم نر اى دليل على وجود قمينة للطوب أو بقايا فحم محترق أو حوائط عليها علامات الاحتراق .

وكانت تيجان الأعمدة والمواسير مثبتة ومملوءة تماما بالطمى الذى يتميز هنا بالصلابة .

ولا بد أن الفخار قد جلب الى هذه المنطقة ووضع فى أكوام حتى يتم نقله . وربما نسأل أنفسنا عن مكان صناعته ، ومن أين جاء الوقود لحرقه ، وأخيراً الى اى الأسواق يتم نقله ؟

دير البوهل أو البللور

(اللوحة رقم ١٠ ، الشكل رقم ١)

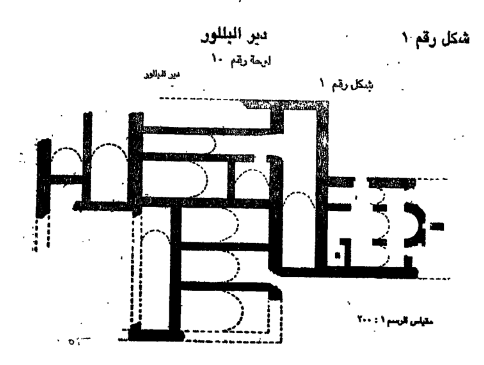
يقع هذا المكان على الضفة الغربية شمال أرجين قليلا ، وعلى بعد حوالى ربع ميل من النهر ، حيث ترتفع الأرض قليلا وهو مبنى كله بقوالب الطوب اللبن التى يبلغ حجم العديد منها (٣٥ر٠ × ٦٠ر٠ × ١٧ر٠ متراً) اى حوالى ١٤ × ٢½ × ٥ ⅜ بوصة .

ولا بد أن معظم الحوائط المتبقية ، قواعد لطبقات عليا من المبانى التى زالت فى معظم الأماكن . ونلاحظ أن الحجرات فى غالبية الأحوال بدون أبواب . وقد كانت هذه الحجرات مسقوفة بأقبية اسطوانية ومن السهل رسم تخطيط الكنيسة ذات المبنى الصغير والتى ما زالت أرضيتها سليمة . ولا يوجد لدينا علم مؤكد عن الكيفية التى قضى بها على الحجرات التى تقع غرب الكنيسة فوق الطابق الذى تحت مستوى الأرض أى البدروم . وتوجد صفوف من الثلاثيات أو الحجرات الصغيرة ذات اقباء والتى ليست بها نوافذ فيما عدا ثقباً صغيراً فى القبو مثلما يوجد فى معظم المبانى التى مازالت قائمة فى هذا الجزء من النوبة ، والمداخل صغيرة بوجه عام بحيث لا يستطيع الانسان أن يمر من خلالها الا منحنياً ومنحرفاً بالعرض . ومن غير المستطاع ترتيب عناصر التخطيط،

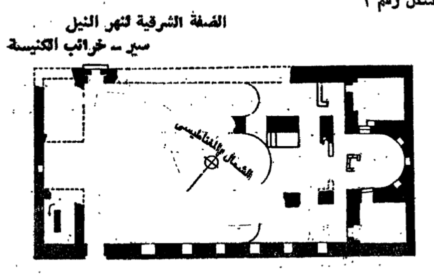
لـوحة رقم ١٠

شكل رقم ١

دير البللور



شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

وما زلنا نشاهد فى منازل الوقت الحالى نفس الحاجـــة الى الترتيب اللائق .

ان دراسة الرسومات التخطيطية السابقة التى قدمناها للقارىء ، ستحول دون اصابته بالدهشة ازاء الحجرات الشـــديدة الضيق ، أو المقاييس المحدودة للمبانى . وسنرى أن الرسم التخطيطى للكنيســـة عادى وينتمى الى الطراز (أ) . ويقع فى الجهة الشرقية للهيكل الذى لا يظهر من الخارج لأنه قائم بين حجرتين صغيرتين . وهاتان الحجرتان بحالتهما الراهنة تظهران بوصفهما وصلتين مستقيمتين فى البناء المبنى من الطوب وقد تم تكبيرهما . وفى غرب الهيكل يقع الصحن المكون من صالتين صغيرتين وبه عقدان ينفتحان على الجناحين الشمالى والجنوبى اللذين تغطيهما شرفتان ، ويتم الوصول اليهما كالعادة عن طريق ســـلم فى الركن الجنوبى الغربى . أما صالة الصحن التى فى أقصى الغرب فهى تمثل جسراً على مستوى أرضية الشرفتين ، حتى يمكن للسلم الذى فى الركن الجنوبى الغربى أن يخدم الشرفة التى فوق الجناح الشمالى .

وأجازف بالتفكير فى وجود دير بين المبنى الذى وصفته الآن ، وبين النهر حيث توجد بقايا منازل مبنية من الطوب اللبن . وهذه تسمى منازل بوهل الذى كان رجلا مهماً فى سابق الزمان . وتتناثر شظيات من احجار المقابر التى لاحظت وجود حروف يونانية فوق حجر منها ، وحروف اخرى بالخط الكوفى على حجر آخر . أما الفخار الذى وجدنا العديد من شظياته فهو متعدد الأضلاع . وقد زرتها فى ١٣ يناير سنة ١٨٩٩ .

إن هناك بالقرب من الخرائب روابى مستطيلة ذات ارتفاع ملحوظ، تبدو لأول وهلة كأنها رواب رملية ولكنها فى الحقيقة صفوف من أشجار الطرفاء أصبحت الآن يابسة واختفت تماماً فى الرمل . ونرى مثل هذه الروابى فى أماكن عديدة ؛ مما يدل على أنه كانت توجد زراعة وسكان فى يوما ما ، لا يزيد عددهم كثيراً عن العدد القليـــل من الناس الذين يعيشون الآن فى هذا الجزء من الوادى .

حمام الفـــارقى
(اللوحة رقم ١١)

ونأتى الى مديرية سير فى شمال أرجين . وبين هذه الأماكن يوجد واد صغير يقع مباشرة جنوب المبنى الذى سنتقدم وصفه . وكلمة الفارقى فى لغة البربر تعنى وادياً صغيراً كما نرى هنا .

لوحة رقم ١١

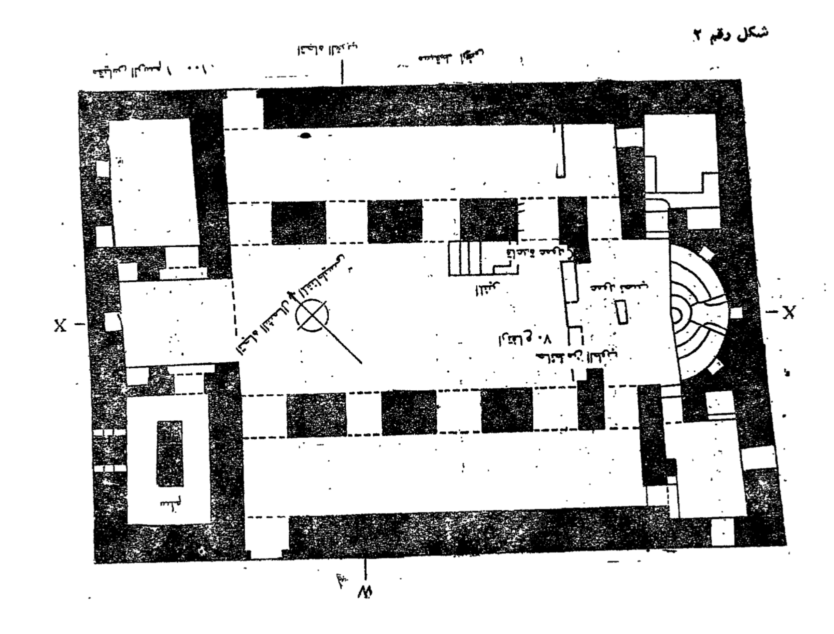
شكل رقم ١

سيو

حمام الفارقى

مسقط طولى يطل على الناحية
التى على الخط × – ×

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ١٠٠
مسقط أفقي
سلم
المنبر
قاعدة عمود
حائط من الطوب
ارتفاع ٧٠
X
X
W

وقد جرت العادة بين الفلاحين على تسمية العديد من المبانى القديمة باسم « حمام » خاصة اذا كان شكل المبنى مستطيلا . ولذلك فان لدينا هنا تركيبة من كلمة عربية وكلمة بربرية . وهناك سبب آخر لتسمية هذا المكان باسم « الحمام » فقد كانت توجد بالقرب منه حتى وقت قريب عين دافئة . ولأجل هذه العين جاء الناس من بعيد وقريب مع حميرهم وجمالهم حتى دمروا المحاصيل الخضراء التى تخص صاحب الأرض المحيطة بالمكان وكان اسمه موسى حرى الذى عندما فكر فيما عاناه بما فيه الكفاية قرر تدمير العين المعدنية ، ونفذ ذلك بالفعل حيث طمرها بالأحجار ، وظلت كذلك حتى هذا اليوم (١٥ يناير سنة ١٨٩٩) ولم يعد يأتى اليها أحد . وبقدر ما استطعت أن أجمع من معلومات فان ذلك حدث منذ حوالى ثلاثين أو أربعين عاماً .

ولا بد هنا من ذكر أسطورة ترتبط بهذا المكان . لقد دار حديث الناس هنا حول أربع عيون معدنية على ضفتى النيل . ولست متأكداً من اسم العين الجنوبية ولكن العين التى تليها هى بئر عكاشة ، وتأتى بعدهما العين التى نلاحظها الآن وهى الفارقى ، وأخيراً حمامات حلوان بالقرب من القاهرة . وهم يرون أن أصل هذه العيون غير مغلف بالغموض وهو كما يلى : عندما أراد سيدنا سليمان أن يتيح لسكان هذه المناطق امتلاك حمامات ساخنة ارسل — بقوته فى فنون السحر — شخصين الى كل موقع لتحريك النار المركزية . وكل زوج (اثنين) من هؤلاء الوقادين كان يتكون من واحد أصم والآخر أعمى ولذلك فهما لا يستطيعان التفاهم مع بعضهما أو مع العالم الخارجى بشكل جيد . وقد استخدمت الفعل المضارع عن عمد لأن هؤلاء الوقادين لا يعرفون أن سيدنا سليمان قد مات ولذلك ظلوا يقلبون النيران ، وهذا هو مصدر الماء الساخن .

ويعتبر المبنى الموضح على اللوحتين رقم ١١ ، ١٦ واحداً من أحسن الخرائب السليمة فى النوبة . وكالمتبع فان الهيكل قد تحول الى الشرق . والأبعاد الخارجية للمبنى هى ١١٫٨٠ × ١٦٫٧٠ متراً أى (٤٠ × ٥٥ قدماً ، ويبلغ اتساع الصحن ٣٫٨٢ متراً . وينتمى الرسم التخطيطى للطراز (أ) .

أما الحوائط التى يصل ارتفاعها الى ٤٫٥٠ متراً فوق الأراضى فقد بنيت من الأحجار غير المنحوتة التى جرى اختيارها من بين تلك الملقاة على السطوح الصخرية المحيطة ، ثم تم بناؤها بالمونة المكونة من طمى النيل ، ثم بنيت فوق هذا المستوى الجدران والأقباء من قوالب الطوب اللبن المجفف فى الشمس . أما البناء الحجرى داخل الكنيسة فهو فى مثل خشونة الحوائط الخارجية ؛ ولكنه مغطى بطبقة كثيفة من الجص .

والجناحان لهما قبوان أسطوانيان من الطوب . ومازال القبو الذى فوق الجناح الشمالى باقياً كما أن القبو الذى فوق الهيكل مازال قائماً . أما الحائط الجنوبى من الطرف الشرقى الى السلم فقد تحطم . وكما هو واضح فى المقطع الطولى فى الشكل رقم(١)، فان الطرف الغربى للصحن قد بنيت فوقه شرفة فوقها نافذة لا بد أنها كانت المصدر لانارة الداخل . وهناك أربع نوافذ صغيرة على كل جانب من الصحـن قد انفتحت فى الجناحين العلويين أو الشرفتين . وهذان بدورهما لهما نوافـذ أخرى صغيرة فى حوائطهما الخارجية . وحتى فى مصر فان الضوء الذى يدخل الى الكنيسة من هذه النوافذ كان خافتاً جداً . وبينما تكونت هذه النوافذ الصغيرة الا أنها ليست الا وصلات غير كاملة بين الصحن والشرفتين اذا كان المقصود هو استخدام هذا الأخير .

وينفتح الهيكل نحو الصحن بعقد يستند على عمود منعزل فى كلا الجانبين ولا بد أن هذين العمودين قد سقطا ، انظر كذلك الشكل رقم ٢ فى اللوحة رقم ١٦ .

وقد صنعت فى حائط الجناح ثلاث حنيات موضوع تحتها بقايا مقعد فى الوسط واثنين على الجانبين (١) .

---

(١) انظر الرسم التخطيطى لكنائس (أبو سيفين) ص ٧٨ ، الأنبا شنودة ص ١٣٦ ، و (أبو سرجة) ص ١٨٢ وجميعها فى كتاب بتلر : Ancient Coptic Churches .

اضافة من المترجم :

قام مترجم هذا الكتاب بترجمة كتاب بتلر المذكور بجزأيه تحت اسم : الكنائس القبطية القديمة فى مصر — وهو منشور فى نفس هذه السلسلة (الألف كتاب الثانى) — (المترجم) .

وهناك بابان صغيران كل منهما على أحد الجانبين ، ينفتحان على حجرتين صغيرتين بجوار الهيكل تشكلان الشكل المربع المعتاد بالنسبة لهذه الكنائس من الخارج . ومازالت آثار الزخرفة ظاهرة على الجص الذى فى الداخل ، ممثلة فى أشكال صفراء أو حمراء مرسومة على أرضية بيضاء . وقد وجدت الصبغة المستخدمة فى هذين اللونين فى بعض الحالات جاهزة للاستخدام السريع : اللون الأحمر فى كتل صغيرة مثبتة فى الحجر الرملى والأصفر فى شكل عروق .

وهناك الى الجنوب من الكنيسة التى وصفناها لتونا ، ومنفصلة منها بالوادى الصغير الذى كانت به العين الحارة ، توجد مجموعات من المنازل المبنية بالطوب اللبن مغطاة بتلال من الرمال ، حتى أن الادوار الأرضية بقيت بكاملها تحتها · وبينما تقف الكنيسة منفصلة تماما فمن غير المحتمل أن تكون هذه هى المبانى الديرية · ويمكن تتبع أثر الجبانة غرب هذه المنازل مباشرة وقد تميزت القبور بحلقة من الأحجار الصغيرة حول كل منها . وهناك بقايا منازل أخرى فى الشمال (١) .

سير

(اللوحة رقم ١٠ ، الشكل رقم ٢)

وبعد ذلك أتينا الى كنيسة بالقرب من سير قائمة على الصخرة التى ترتفع قليلا عن النهر على الضفة الشرقية . وينتمى المسقط الأفقى الى الطراز (أ) . وهى فى حالة دمار شامل ، زرتها فى ١٧ يناير سنة ١٨٩٦ . ولا يظهر من الحائط الشمالى فوق سطح الأرض الا ٥٠ر٠ مترا ، وقد اختفى الهيكل تقريباً ، بينما سويت الباكية الجنوبية بسطح الأرض . أما الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى فهو من الناحية الأخرى سليم حتى ارتفاع معقول ، وبه صف من الحنيات أو المقصورات .

ومن السهل تتبع القاعدة المكسورة الخاصة بقوس النصر الذى يقود الى الهيكل ، بينما يرقد تاج احد الأعمدة على الأرضية بين الأنقاض. وعلى غير المعتاد فان الحوائط الخارجية للكنيسة مبنية من الطوب اللبن

(١) منذ كتابة هذا الكلام قام بحفر منطقة الكنيسة جيدا مستر مايلهام الذى ادين له وللمستر ماكايفر بالرسم التخطيطى والقسم الذى طبع هنا · وقد أطلقا عليه اسم الكنيسة التى فى مقابل دبيرة ·

المجفف فى الشمس ، والمأخوذ من الأرض التى فى أعلى الموقع . وقــد وضع صف من الأحجار المسطحة غير المنحوته خلال الجــدران حتى مستوى يتساوى مع مستوى بروز عقود الجناح . ولا توجد أنقاض اية منازل قريبة منها . ويقف المبنى — كما كان دائماً — منفرداً ومعزولا (١).

سير شرق
مدينة مهجورة
(اللوحة رقم ١٢)

تقع هذه المدينة على الضفة الشرقية للنهر (زرتها يوم ١٧ يناير سنة ١٨٩٩) . ويبين الرسم التخطيطى لهذه المدينة تقارب ثلاث كنائس صغيرة مجمعة (سنجد أمثلة أخرى) ، وكيف شغل السكان المسيحيون هذا الجزء من النهر تماماً ، بحيث تملكوا بقعة مغلقة من الواضح أنهــا تنتمى الى عصر سابق على التعرف الى الديانة المسيحية . لقد مضت مصر القديمة ، وجاءت النوبة المسيحية ، ويبرهن فحص الجــدران المحيطة على هذه الحقيقة (٢) .

(١) يطلق عليه مستر مايلهام اسم « سير الشرقية — الكنيسة الجنوبية » .

(٢) انني أجازف ببيان أسباب الاعتقاد بأن هذه الحوائط أقدم كثيرا من المنتجع المسيحى ، ولكننى أحتفظ بها فى مذكرة لأن الموضوع متخصص الى حد ما وغير مرتبط بالموضوع الذى بين أيدينا ، وربما كانت هذه الأسباب تهم علماء الآثار المصرية .

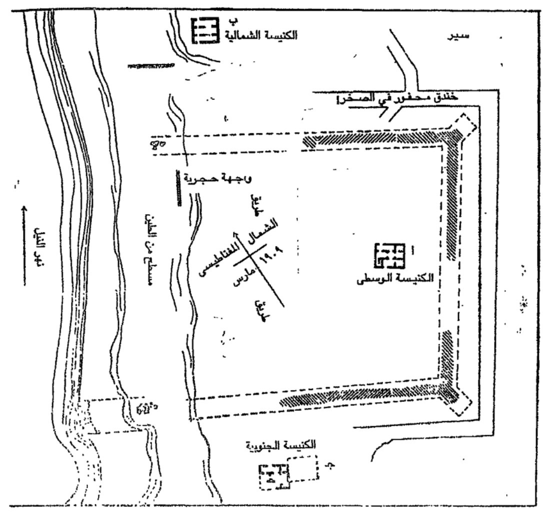
أما الموقع فهو منحدر مدبب يتجه نحو النهر . والحوائط سميكة اذ يبلغ سمكها حوالى ٣ أمتار ومبنية من الطوب اللبن المجفف فى الشمس الى درجة الصلابة . ومتوسط حجم القالب ٣٢ر٠ × ١٥ر٠ × ٩ر٠ وقد وضع الكثير من ألواح الخشب فى البناء للمساعدة على ربطه ببعضه البعض . وتظهر حصيرة من حشائش الحلفاء فى الوصلات المبنية من المونة الطينية عند كل صف خامس . وعند الأرض المستوية وضعت المبانى فى شكل صفوف أفقية أى بطول الواجهة الشرقية للمــدينة ، وعنـد طرفى الحــائطين الشمالى والجنوبى . وعند انحدار الأرض كانت صفوف البناء تنحدر معا بزاوية تبلغ ٢٠ درجة مع الأفق . والصفوف غير متموجة كما هو الحال فى بعض الحوائط الضخمة المبنية بالطوب مثل تلك التى تطوق معابد الكرنك أو تلك التى فى الكاب . وتوجد فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى بقايا برجين بارزين . ونجد كذلك خندقا محفورا فى الصخر يمكن تتبعه بسهولة فى الجوانب الجنوبية الشرقية والشمالية .

ونلاحظ أن هناك على الرسم طريقا يقود الى الحائط الشمالى ، ولكن لا توجد اية بيانات عن وجود بوابة فى هذه المنطقة . والحقيقة أن المنحدر الذى بنيت عليه الحوائط شديد الانحدار هنا ، مما يجعل من الصعب انشاء طريق أو بوابة فى هذا المكان .

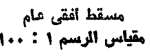
أما الطريق القديم الذى يمكن تتبعه بجوار النهر على شكل متصــل من الشــلال الأول الى الشلال الثانى فانه يقع قريبا من الماء وهو موضح على الرسم . وكانت المدينــة أو القلعة محمية من ناحية النهر عن طريق حائط أو خليج غير واضح . ونرى مكانه =

لوحة رقم ١٢

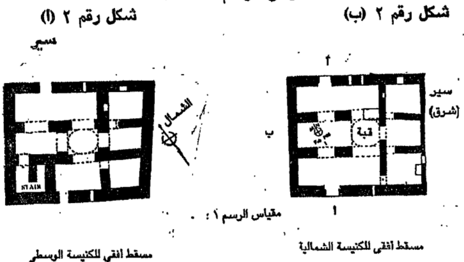
سيي شرق



مسقط أفقى عام



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

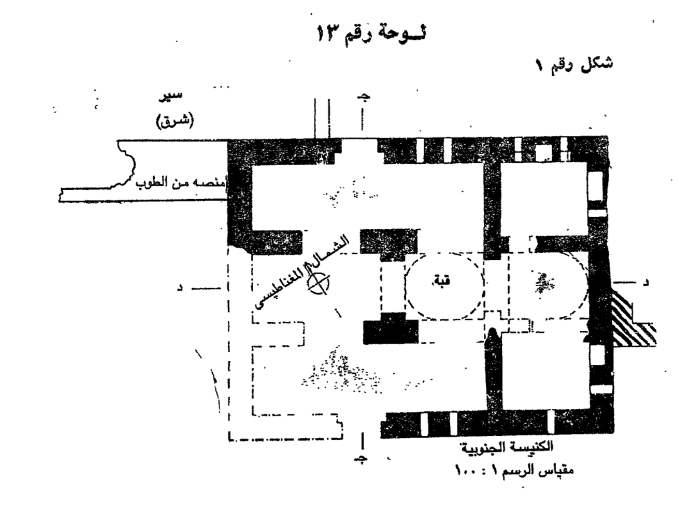


مسقط أفقي للكنيسة الوسطى

مسقط أفقي للكنيسة الشمالية

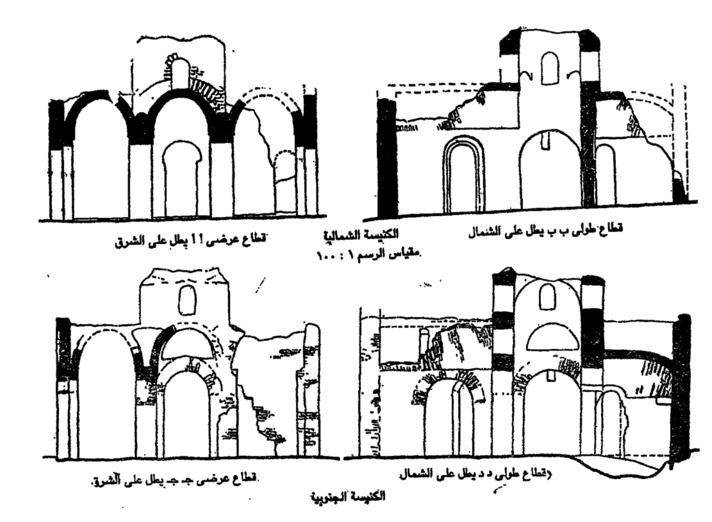
لـوحة رقم ١٣

شكل رقم ١



الكنيسة الجنوبية
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل رقم ٢


قطاع طولى ب ب يطل على الشمال
الكنيسة الشمالية
مقياس الرسم ١ : ١٠٠
قطاع عرضى أ أ يطل على الشرق
قطاع طولى د د يطل على الشمال
قطاع عرضى جـ جـ يطل على الشرق
الكنيسة الجنوبية

وتوجد بقايا كنيسة مبنية من الطوب اللبن فى وسط الفناء المسيج بالسور وفوق المنحدر . (انظر الشكل رقم ٢ (أ) باللوحة رقم ١٢) ؛ وهذا المبنى صغير الحجم وتبلغ مساحته من الخارج ٩ × ٧٫٧٥ متراً وهو ينتمي الى الطراز (ب) وفى وسطه قبة . ويبدو أن هناك شرفتين فوق الأقباء الأسطوانية التى تغطى الجناحين ، كما يوجد سلم فى الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى . ويلاحظ على مستوى الأرضية أن الكنيسة لا تنتهى بهيكل فى الطرف المتجه الى الشرق .

ويبين الرسم التخطيطى للمدينة وجود كنيستين أمام تلك التى أشرنا اليها . ويمثل الشكل رقم ٣ (ب) فى اللوحة رقم ١٢ الشكل التخطيطى لما هو خارج الجدران فى الجانب الشمالى . وينتمى مبنى هذه الكنيسة الصغير الذى تبلغ مساحته ٩٫٥٠ × ٧٫١٥ متراً الى الطراز (ب) ويتميز بوجود قبة صغيرة فوق الطرف الشرقى للصحن . والباقى مغطى بقبو أسطوانى وبدون سلم . ويبلغ عرض بعض الأبواب ٠٫٤٥ متراً (١٨ بوصة) مع شدة انخفاضها بحيث يصعب المرور منها إلا بالانحناء . وقوالب الطوب الكبيرة تبلغ أبعادهـــا ٠٫٣٨ × ٠٫٢٠ × ٠٫٠٧ متراً أى أنهـــا تحسب بلاطات أكثر منها قوالب من الطوب ولكنها رديئة الصنع وفى ذلك تختلف عن قوالب حائط المدينة اختلافاً كبيراً . وهنا نجد أن المداميك قد وضعت بطريقة الحل والشد التى نراها فى المبانى المصرية ، فالقوالب التى فى حوائط الكنيسة توضع فى مداميك تبادلية من الصفوف الطولية والعرضية ولا توجد بها أربطة من الواح الخشب ، ولا حصـــائر مـــن الحلفاء مثل تلك التى توجد فى المبانى المحيطة .

= بقايا بناء حجرى فى أجزاء موازية للنهر . أما بقية الأجزاء فانها قواعد حجرية للحائط المحيط ، وبارزة الى حافة الماء ويمكن تتبع مسارها .

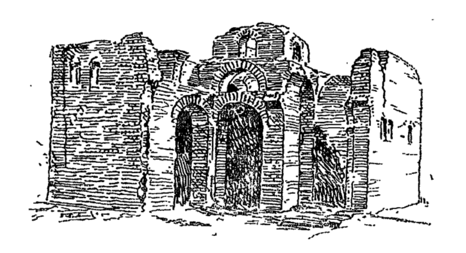
ومن الملامح المعتادة الطريق الذى يخترق المدينة موازيًا للنهر وهو فى حالتنـا هذه يقع عند الطرف الجنوبى للمنحدر ، وقد انتقل أعلى الماء . وتوجد أربطة من ألواح الخشب ، وحصائر الحلفاء الموضوعة فى المونة وقوالب الطوب الكبيرة ، فى حوائط كل أثر بعيد مثل تلك الموجود فى أوسرتسين ، وفى حوائط سمنة ومورجاس . ونجد فى هذه الأماكن خاصة فى غرب سمنة أن القلاع ليست مجرد حوائط ولكن هنـاك خنادق وأبراج ناتئة للدفاع الجانبى .

ولم يتم فحص موقع سير بعناية ، فربما وجدنا تحت بقايا المنازل آثار معبد مصرى أو بعض الأشياء التى تساعدنا على التعرف على الفترة التى بنيت خلالها هذه الحوائط . ولابد أن نتذكر أن الأشياء فى مصر تتغير بسرعة البرق وربما أدى رفع النهر عدة أقدام بالطرائق الاصطناعية الى طمس المواقع القديمة .

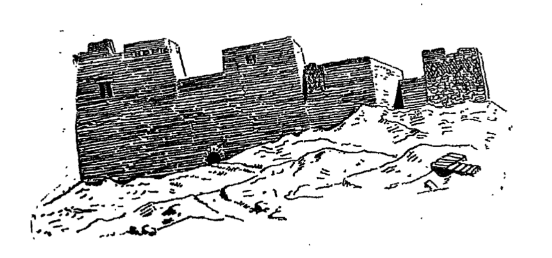
وهناك قطعة مربعة من الجرانيت الأحمر يبلغ طولها ١٫٣٠ متراً وعرضها محدود ، راقدة بين قوالب الطوب المكسورة فوق أرضية الكنيسة الجنوبية ، وقد نحت سطحها العلوى مكوناً حوضاً طويلا ضحلا . أما القمة والطرفان والأجناب فكلها ناعمة ، والقاع غير مصقول . ولا توجد عليها آثار كتابات هيروغليفية أو أية نقوش ، ولا تتخذ شكل جرن المعمودية .

أما جانب التل الصخرى الذى بنيت عليه المنازل فهو مكسور لأسباب طبيعية من جهة ، ولأسباب فنية من جهه أخرى ، وقد تحول الى ممرات تكدست المنازل مقابلها وفوقها بشكل متقارب بحيث أصبح من الصعب معرفة كيفية الاقتراب منها . وهى تتكون من طابقين أو ثلاثة . أما السلالم الصغيرة التى ترتفع حول أعمدة مركزية مربعة فهى كما نراها فى الرسم التخطيطى للكنائس . وهى سليمة فى حالات عديدة ، وجميع الحجرات لها سقوف مقبية من الطوب . أما مبانى المنازل المقامة من الطوب فهى تشبه مبانى الكنائس . ولن أخاطر بابداء الرأى فيما يتعلق بأثريتها . ولا تبرهن أبعاد القوالب وأسلوب عدم المبالاة الذى وضعت به على أن المبانى التى صنعت منها كانت بالضرورة مسيحية أو عربية ، فلا بد أنها أكثر ايغالا فى القدم . ان كل شخص يستطيع صناعة قوالب الطوب من طمى النيل القريب المنال كما هى الحال حتى يومنا هذا ، ولكن عندما تصبح الحكومة هى التى تدبر العمل المطلوب تنفيذه ، فان المادة التى تستخدم تكون إما من الحجر أو الطوب الجيد الصنع والتجفيف .

وهناك دليل على أن المنازل لم تبن للمرة الثانية حيث نلاحظ أن المنازل التى نشاهدها الآن قائمة على الصخر وليس على كتلة من الأنقاض المتخلفة عن هدم منازل سابقة عليها . والشىء المعتاد هو اكتشاف حوائط باقية قائمة على أكوام الطوب المكسور والفخار المهشم — التي يبلغ سمكها عدة أمتار — أو بارزة من بينها . ولا يوجد الا القليل من الفخار العربى المتناثر هذا ان وجد أصلا ، ولا توجد كذلك كومة تراب خارج المدينة بطولها مثل تلك الموجودة عند قصر ابريم .



شكل رقم ١٣
سير : الكنيسة الجنوبية من الجنوب الغربى



شكل رقم ١٤

فرس

وقد تركز المسيحيون فى قلعة مهجورة مبنية منذ زمن طويل ، أو لعلهم واصلوا الحياة فى المنازل التى بنيت من قبل ، وهو شيء بعيد الاحتمال ولا بد أن كل ذلك تم هجره عندما اكتسح الاسلام بلاد النوبة ، وحينئذ شنت اعتداءات عديدة .

والفخار الذى يتم العثور عليه من النوع المضلع الذى يوجد فى المناطق التى شغلت قبل الفتح العربى . وكذلك يوجد أيضاً فخار فاخر مصنوع من الطين الناعم ذى اللونين الأحمر اللامع والأسود .

ولا يوجد دليل على أن الكنائس قد تحولت الى مساجد ، كما أننا لا نجد بقايا أى مبنى يشبه مسجداً ، ويؤيد ذلك احتمال أن يكون المكان قد هجر فى وقت مبكر ربما نتيجة الفتح العربى لبلاد النوبة . ونجد على اللوحة رقم ١٣ رسماً تخطيطياً للكنيسة الجنوبية وهى رقم (ج) على الرسم التخطيطى للمدينة بأقسامها ، مع أقسام من الكنيسة الشمالية وهى رقم (ب) على الرسم التخطيطى للمدينة . أما الشكل رقم ١٣ الذى سبق أن أوردناه فهو يقدم لنا منظراً للكنيسة الجنوبية . والرسومات تتحدث عن نفسها .

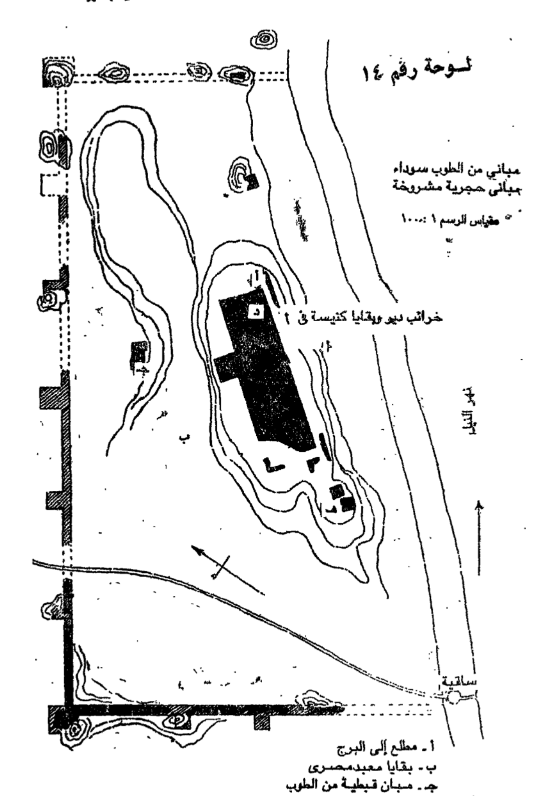
فـرس

(اللوحة رقم ١٤)

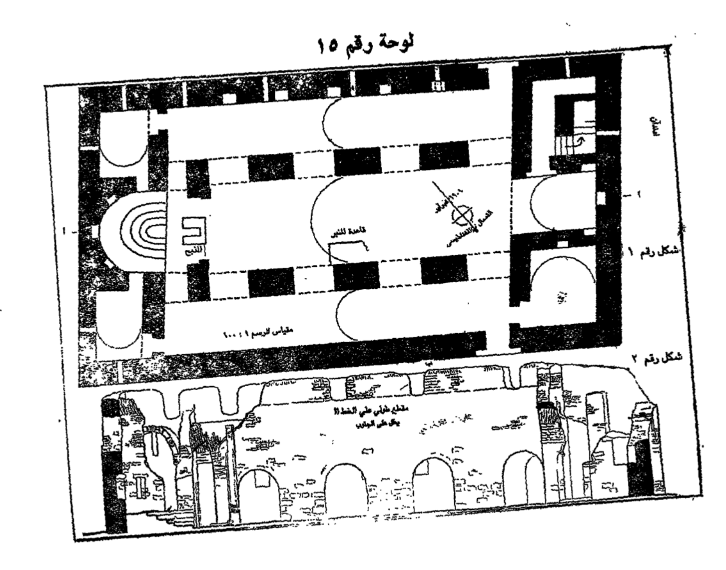
يقع هذا المكان شمال سير قليلا ، على الضفة الغربية للنيل . وفوق ربوة مرتفعة قليلاً توجد مجموعة من المبانى بينها خرائب كنيسة فى الركن الشمالى . وهى مهدمة بشدة حتى ان الحفائر وحدها ـــ وهى التى لم استطع القيام بهاـــ قد تقدم لنا المسقط الأفقى . والمكان شديد الأهمية وقد أحاطت به بقايا حائط من الحجر . ولا تقع الكنيسة والمبانى الملحقة التى ذكرناها فى منطقته وحدها فقط ، بل أيضا أجزاء من الأعمدة الواضح أنها تنتمى لمعبد مصرى .

وقد شاهدنا فى الرمال قطعتين من تيجان الأعمدة المصنوعة مـــن الفخار شبيهة بتلك التى وصفناها سابقاً ، وقد قيل لى انه قد عاش فى فرس فى سابق الزمان الملك كيكلان بن نيوكل أبو المية جـــد الألف . وتقول الحكايات الشعبية انه كان نصرانياً . وحتى هذا اليوم فـــان

خرائب دير   أ   ..رس



لوحة رقم ١٥



الجيران عندما يريدون أن يسبوا أحـــد سكـان فـرس فإنهم يدعـــونه (ابن كيكلان) بما يعنى أنه ليس مسلماً خالصاً . والرسم الموجود فى اللوحة رقم ١٤ يبين لنا الطبيعة القديمة للمبنى وذلك عندما نطـــل على الطرف الشمالى للقصر من الكنيسة المبينة على الرسم بالحرف (أ) (١) .

دير القرش (ادندان)
(اللوحتان رقم ١٥ ، ١٦)

يقع هذا الدير على الضفة الشرقية مقابل فرس فوق هضبة صخرية عارية ، بدون أثر لحائط يحيط به أو منزل قريب منه . (زرته فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩) .

وينتمى المقطع الراسى إلى الطراز (أ) ، وما زال العمودان اللذان يدعمان قوس النصر فى موضـعهما ، وهما مصنوعان من الحجر الرملى الأحمر صنعاً رديئاً . اما تاجا العمودين فانهما واقعان على الأرض . وهناك حلية حلزونية الشكل فى كل ركن . كما أن هناك علامة فى منتصف الطريق بين الطرفين مكشوفة بشكل غريب ، وتتناثر الأحجار الساقطة بما يوحى باحتمال سقوطها من قوس النصر نفسه .

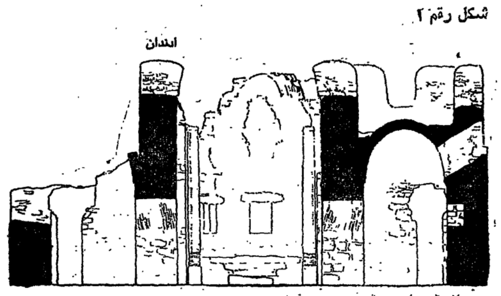
اما الهيكل فهو مقبى بنفس الطريقة التى وصفناها (انظر اللوحة رقم ١١) فى حمام الفارقى . والحوائط الخارجية مبنية من الأحجـــار الخشنة حتى ارتفــــاع ٢٫٤٠ متراً ، وما يعلو ذلـــك من الطـــوب اللبن المحروق فى الشمس ، والعقدان اللذان ينفتحان على الجناحين الداخليين، يبلغ ارتفاعهما ٢٫١٥ متراً من الأرض الى القمة ، وفوقهما نوافذ علوية ضخمة على غير العادة . ويغطى الصحن والجناحين سقوف من الطوب على شكل النفق . وما زال السقف الذى يغطى الجناح الجنوبى سليماً. وكانت الشرفة التى فوق الجناحين مضاءة عن طريق سبع نوافـــذ ، بينما أمدت ثلاث نوافذ صغيرة الجناح نفسه بالضوء ، بشكل مباشر من جـــانب نفق السقف .

---

(١) انظر أيضا كتاب Churches in Lower Nubia ، اللوحتين رقمى ١٠ ، ٢٠ . لقد قام السيدان ماكايفر ومايلهام بالتنقيب ورسم كنيستين هنا . ويقوم مستر ف. هـ. جريفيث مسئول حفائر جامعة اكسفورد فى النوبة ، بعمل حفائر اخرى فى هذا المكان .

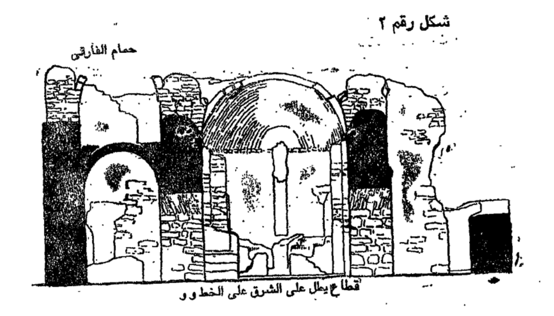
لـوحة رقم ١٦

شكل رقم ١



قطاع عرضى على الخط ب يطل على الشرق

شكل رقم ٢



قطاع يطل على الشرق على الخط و و

وتوجد نافذة صغيرة فى الهيكل وأخرى فى كل من الحجرتين الجانبيتين الصغيرتين . وتقع بين عمودى قوس النصر بقايا مذبح مبنى من الطوب المحروق يبلغ اتساعه ١٥ر١ متراً من الشمال الى الجنوب ، و ٩٥ر. متراً من الشرق الى الغرب (١) .

دير عش الفضيلة

(اللوحتان رقم ١٦ ، ١٧)

يقع هذا الموقع الخرب الى الجنوب الشرقى من الموقع الأخير . ويبتعد عن النيل الى الخلف بمقدار ميل ونصف ، ويقع تل صخرى صغير بينه وبين مجرى النهر . مما نتج عنه تعــذر رؤيــة الدير الا من الجنــوب ويقع على قارعة الطريق الذى يدور حوله من الخلف لتفادى التل الصخرى الذى ذكرناه .

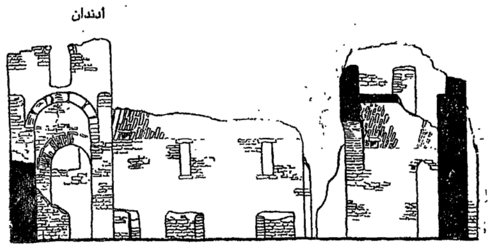
وينتمى مسقط المبنى الرأسى الغريب الى الطراز (ب) . ويقف منعزلا فوق رقعة صخرية جرداء ، ولا توجد بالقرب منه علامة على وجــود حوائط أو حتى فخار فيما عدا قطع لخاف قليلة .

والمبنى مقام من الطوب اللبن المجفف فى الشمس . ويظهر الطرف الشرقى على الرسم التخطيطى مربع الشكل . ولا نرى الآن الكيفية التى تجمع بها العقد فى أعلاه . وهناك رواقان أو ممران خارج حوائط الجناحين الشمالى والجنوبى ، من غير الممكن تحديدهما . وينفتح عليهما البابان وبعض النوافذ الصغيرة . ويبين لنا السلم احتمال وجود شرفات علوية، ولكن عقود الصحن التى تحملها قد تحطمت . ومثل هذه العقود المبنيــة من الطوب التى يمكن تتبع أثرها ، جيدة البناء والشكل ، وتعتبر فخمة بالنسبة للمبانى التى وصفناها من قبل . وتنفرج قوالب الطوب التى تكون العقد نحو المركز على خلاف المعتاد فى بناء العقود فى النوبة ، وتم بناء عقد آخر خارج الحلقة من الطوب المصفوف فى وضع مسطح . وتوجد نوافذ طولية صغيرة منخفضة تماماً فى الطرفين الغربى والشرقى . والقبة التى فى الصحن صغيرة جداً ، وليس لها اى تأثير على الخارج ، ويبدو انه كانت هناك قبة فى كل ركن للمبنى ، بالإضافة إلى تلك الموجودة فى الوسط.

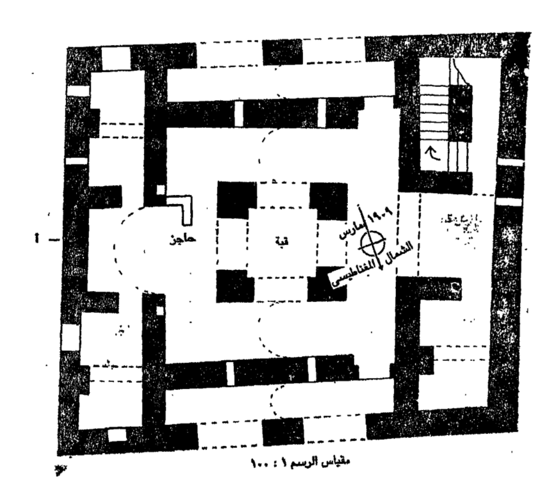
---

(١) قدم مستر مايلهام وصفا شاملا لهذه الكنيسة فى كتابه :
Churches in Lower Nubia.

لـوحة رقم ١٧



قطاع طولي أ أ يطل على الجنوب



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

قصر الوز

ان علاقة الوز بهذا المكان غير واضحة (زرته فى ٢٠ يناير سنة ١٨٩٩) وهو تل مدبب قليلا ومرتفع بدرجة ملحوظة عن النيل ، ويحمل على قمته قلعة الوز . وهناك منطقة كبيرة مغطاة بالمبانى المبنية من الطوب والتى مازالت عقود بعضها بحالة جيدة . ولم اجد بقايا كنيسة ، كما أننى لم أستطع تنفيذ أية حفائر . ولكن شكل المبانى المبنية بالطوب والمظهر العام للمكان يجعلان الانسان يظن أن هذه المنطقة كانت موطناً لمجتمع مسيحى . وقد برزت من التل أيضاً بعض الآبار الخاصة بالمقابر المصرية القديمة وهى تقع فى الجانب الغربى للنيل (١) .

قسـطل

تمت الزيارة فى ٢١ يناير سنة ١٨٩٩ . ويقع هذا المكان فوق الضفة الغربية للنيل . وقد غطيت الأرضية بالفخار المكسور (جزء منه مصرى) بينما تظهر فوق الرمال بقايا العديد من المبانى المبنية بالطوب . وهناك بعض تيجان الأعمدة المنحوتة بدون صقل ، وهى تماثل تلك التى قدمنا وصفاً لها فى دير القرش . ولا شك فى قيام كنيسة هنا . وما زالت أعمدة قوس النصر باقية . أما الفضاء الذى تناثر فوقه الفخار فان النيل يحده من الشرق ، بينما تحده من الجهات الثلاث الأخرى تلال من الرمال المدفون فيها أشجار الطرفاء الجافة،وهى تلال تشبه فى طبيعتها تلك التلال التى تمتد من أرجين الى هذا المكان . ولا بد أن هذه الأشجار وحدها تقدم دليلا كافيا على ان المنطقة كلها كانت مزروعة فى وقت ما ، والتاريخ يؤيد هذا الرأى . وقد غصت قنوات الرى التى هجرت لفترة قصيرة بالرمال المنجرفة تلك التى تزحف على الحقول ، وتتراكم فوق الخضرة التى تقاومها ولكن هيهات ، فان الرمال تدفن كل شىء بعد فترة وجيزة .

---

(١) قام مستر مايلهام بعمل مناظر قصر الوز ، اللوحة رقم ٣ .

جبـــل عـــدة

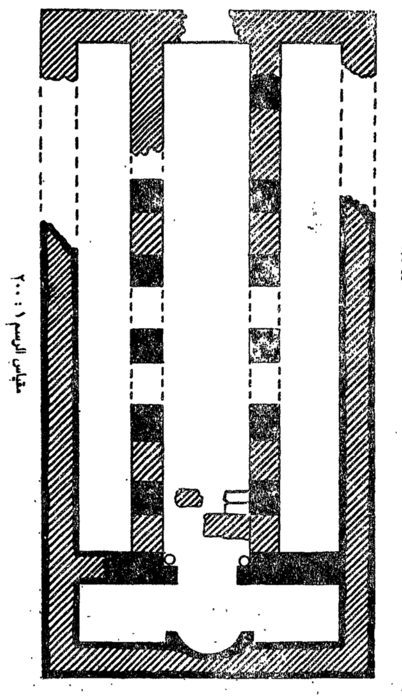
(اللوحة رقم ١٨)

تمت الزيارة فى ٢١ يناير سنة ١٨٩٩ . ويقع هذا المكان على الضفة الشرقية للنيل فوق امتداد أرضى يماثل قصر ابريم من حيث طبيعة الموقع التى سنذكرها فيما بعد . والمدينة كلها خربة ومهجورة وهناك عدد وافر من الأعمدة الجرانيتية الحمراء الصغيرة المتنشرة وغير المصـــقولة . وترتبط رداءة الصنعـــة بكل حالة من حالات المبانى المسيحية تقريبا . وتعتبر هذه الأعمدة والتيجان عينات رديئة للصناعة اليدوية . والأعمدة مصنوعة من الحجر الأحمر وفى أركانها حليات حلزونية رديئة الصنع ، وبها كتلة بارزة بين الحليات تشبه تلك التى وصفناها فى قرش التى فى مواجهة فرس . وهذه الكتلة مثل الزوائد . ونشاهد أيضا عمودا من طراز آخر به جزء بارز تحت الطبقة الحجرية التى تغطيه . وقد تناثرت هذه الأعمدة بين الخرائب بحيث أصبح من الصعب نسبتها الى أى مبنى . ولكن ربما كشفت عمليات الحفر تحت الأنقاض عن بقايا كنيســـة أو عدة كنائس .

وتوجد ثلاثة عقود من الطوب اللبن بالقرب من الحائط الشـــمالى للمدينة وحول وسط محورها الطولى ، وبجانب العقود توجد المداميك السفلية لحنية هيكل . وكان المبنى الذى تنتمى اليه هذه البقايا مستخدما كمسجد والحنية تمثل القبلة . وقد بنيت بجانبها درجات سلالم من الحجر غير المصقول لا شك أنها تمثل قاعدة المنبر .

وتقع خرائب الكنيسة وهى من الطراز (ب) جنوب المدينة فـــوق الصخور المسطحة التى تقع بالقرب من حافة النهر (انظر اللوحـــة رقم ١٨) . ويختلف المبنى عن المبانى التى وصفناها سابقـــا من حيث أن واجهته من الحجر . ونظراً لأنه لا يوجد حائط يزيد ارتفاعه عن ٦٠ر٠ أو ٧٠ر٠ متراً فوق مستوى سطح الأرض ، فمن الصعب تحديد ما اذا كان البناء الحجرى الباقى يتجاوز قاعدة مربعة لأحد الأعمدة أم لا . وقـــد أدخلت على المبنى تعديلات كبيرة ، فقد أزيل الممر الشمالى الذى تعلوه البواكى وأعيد بناؤه مع اختلافات كثيرة . ويبدو أن ذلك حدث عنـــد تحويل المبنى الى مسجد . وكانت الدعائم التى تحمل العقود الصغيرة وتنفتح نحو الجناحين مصنوعة فى الأصل من الحجر ولكنهـــا غطيت وسدت العقود بالطوب اللبن . وما زال هناك عمود جرانيتى من قوس

لـوحة رقم ١٨



النصر ملقى على الأرض . وعندما أنشىء المسجد بنيت الدرجات التى كانت مخصصة للمنبر . ولكن لو كان الأمر كذلك فمن المفروض أن يتم بناؤها على يسار القبلة وليس على يمينها كما هى العادة . وهناك ملحقان مربعان فى جنوب الكنيسة يربط بينهما حائط واحد ، وهما مبنيان بدون عناية من الاحجار غير المصقولة والمونة الطينية . وكان الملحق الشمالى عبارة عن كنيسة كما يظهر لنا من بقايا قطعة صغيرة من الحنية مبنية بالطوب اللبن .

قصر إبريم

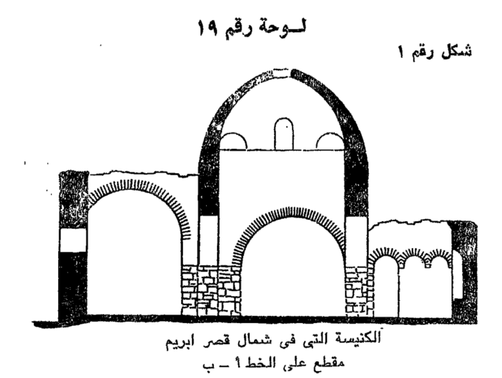
(اللوحتان رقم ١٩ ، ٢٠)

قمت بقياس هذا الموقع فى ٢٣ يناير سنة ١٨٩٦ . وهو موقع مثير للانتباه نظراً لبروزه فوق قمة صخرة شديدة الانحدار ترتفع بحدة فوق النيل . وكذلك فان الأرض منحدرة فى جميع الاتجاهات . وهناك آثار منازل للمصريين القدماء نحتت حوائطها فى الصخر . أما قمة التل المحاطة بالحوائط فهى مغطاة تماماً بأنقاض المدينة . ويقف فى وسطها مبنى مربع الشكل عبارة عن بقايا كنيسة مبنية تطبيقاً لفكرة شديدة الطموح بالنسبة لأى مبنى مسيحى آخر يمكن الالتقاء به فيما بين الشلال الأول والشلال الثانى (انظر اللوحة رقم ٢٠) ، والكنيسة لا تتجه نحو الشرق مباشرة كما هى العادة ، انطلاقاً من حقيقة أن المدينة أقدم من الكنيسة . ولم يدلنا البحث الدؤوب على الظن بأنه جرى استخدام مبنى أقدم ليكون أساساً للمبانى الحالية . وهناك بعض الأحجار الضخمة فى الركن الجنوبى الغربى حيث يوجد السلم (يبلغ طول أحدها ٢٫٧٥ متراً وارتفاعه ٠٫٨٠ متراً وقاعدته ٠٫٧٠ متراً) ولكن ليس هناك دليل على عدم نقله من مكان آخر .

وينتمى المسقط الأفقى للمبنى الى الطراز (أ) وبه جناحان ولكن ليس لدينا دليل على وجود قوس نصر افضل من بقية المبنى وفى اتجاه الحنية . والمسقط غير عادى من حيث التوزيع . وسنجد عند المقارنة أن حنيات معظم النماذج من قوس النصر وفى اتجاه الشرق أعمق من تلك الموجودة فى قصر ابريم ولا توجد أبواب فى كلا الجانبين . والحقيقة اننا لا نجد دليلا على وجود مدخل فى الحائط الشرقى الذى مازال قائماً بارتفاع ملحوظ . ولا نجد ايضاً دليلا على وجود أى طريق فى الفضاء الذى خلف المحراب .

لــوحة رقم ١٩

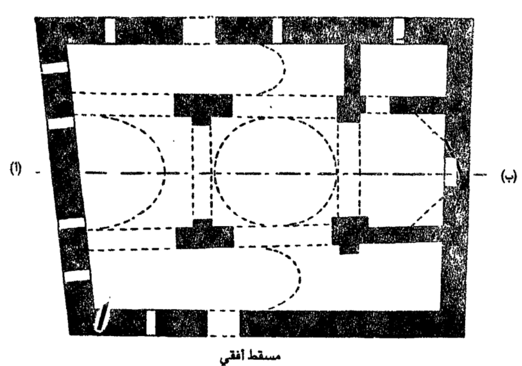
شكل رقم ١



الكنيسة التى فى شمال قصر ابريم

مقطع على الخط أ ــ ب

شكل رقم ٢

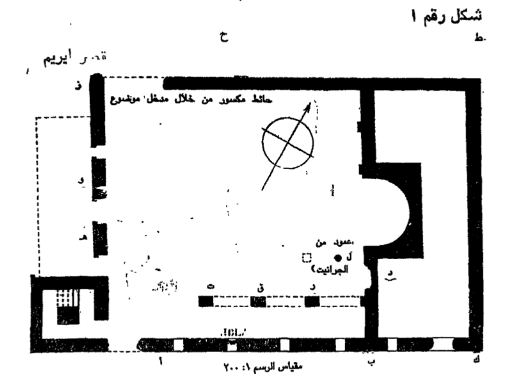


مسقط أفقي

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

لــوحة رقم ٢٠

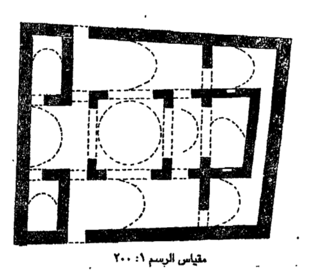
شكل رقم ١



شكل رقم ٢



أ



وافضل أجزاء الحائط السليمة هى فتحات نوافذه التى قدمنـــا لها رسماً فى الشكل رقم ١٥ ، وتختلف هذه الكنيســـة عـــن المبانى التى وصفناها من حيث انها مبنية من الحجر وقد غطيت واجهات الحائـــط بالحجارة المنحوتة والألواح الخشبية . وهى متفردة عن بقية الكنائس من حيث الفخامة والتشطيب ، ، أما البناء الحجرى فهو ردىء لعـــدم وجود شىء يربط أحجار الواجهة بالأنقاض التى فى الداخل وبذلك فهى مصرية صميمة . وقد أتاح المناخ غير المطير وحده بقاء الجدران قائمـــة حتى اليوم . وتمتد رابطة ألواح الخشب من (أ) الى (ب) (١) ، ولكن يوجد فى (د) مسقط ربما كان لقائم أحد الأبواب ، ولكن لا يوجد خـــط الحائط الذى ينتمى اليه . ولا يمكن تحديد ما اذا كان هناك ردهـــة للمدخل غرب الحائط (ز ـــ هـ) أم لا . ويبلغ ارتفاع أجزاء الحـــائط (هـ) ، (و) التى بها قوائم للأبواب عدة أمتار ، وليست لها روابط مـــن ألواح الخشب . وتظهر الأحجار الضخمة فى أساس الحائط (ز ـــ هـ) الذى تظهر فيه ولكنها مرتبطة بأخرى صغيرة بطريقة لا نجد لها مثيلا فى مبانى قدماء المصريين ، وقد أزيل الحائط تماماً فى المسافة من (ز) الى (ح) ثم أعيد بناؤه بشكل ارتجالى مع استخدام الحجارة القديمة .

أما فى المسافة من (ح) الى (ط) ، فان مداميك الأساس المكونة من الحجارة الضخمة سليمة ، وكذلك جزء كبير من الحائط الذى فوقها . وهناك آثار لرابطة من ألواح الخشب .

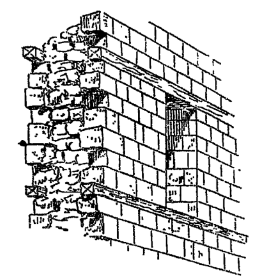
وقد بقيت المداميك الحجرية السفلية فى المسافة من (ط) الى (ك) وبعض المداميك التى فوقها .

وعند الركن (ط) بنيت أحجار أكبر حجماً بارتفاع سبعة مداميك كحجر للزاوية . ومن الواضح عند هذه النقطة أن المبانى المشادة بالحجـــارة الصغيرة قد ربطت بأحجار كبيرة تخص مبنى مصرياً قديماً .

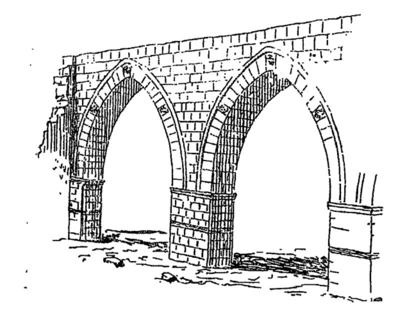
وهكذا نجد الأحجار مختلفة الأحجام وقد ربطت مع بعضها . ومع ذلك فإننا نجد القاعدة أكثر سمكاً من الحوائط التى فوقها بمقدار الضعف تقريباً .

---

(١) انظر اللوحة رقم ٢٠ .



شكل رقم ١٥ : قصر ابريم ـ الشباك والحائط



شكل رقم ١٦ : قصر ابريم ـ والعقدان

ويلاحظ أن ترتيب النوافذ فى الحائط (أ ب) يرتبط بمراكز العقود التى مازالت قائمة ؛ مما يجعلنا نفترض بناء على هذه الحقيقة والتشابه فى البناء الحجرى أنها تعود الى نفس تاريخ الحائط .

ويوجد فى الموقع (ل) عمود من الجرانيت الأحمر خشن الصنعة وقد رسم فوقه صليب بالنحت البارز . وقد استخدم عمود مشابه كقاعدة للباب فى منزل مجاور . وأشك فى أن هذا العمود لم ينقل من مكانـــه الأصلى ، ولم يكشف الحفر حوله عن قاعدة عمود أو حجر أساسى . والعمود منغرز فى الأرض والجزء الأسفل منه تحت مستوى الأرضية(١) .

وفى الشكل رقم ١٦ يظهر الممر الذى تعلوه البواكى ، والعقـــود المدببة قليلا تكاد تشكل عقوداً تامة أما الدعامة (ت) فهى لا تبرز نحـــو الغرب كعقد آخر ولكنها محمولة رأسياً . وقد أعيد بناء هذه القطعـــة من الدعامة . وحسب النوافذ نستنتج أن هناك عقدين آخرين . وقـــد بنيت رابطة من الواح الخشب فى الدعـــامتين (س) و (ع) فى منتصف الارتفاع وأيضاً تحت قرمة التاج . وهناك صلبان بالنقش البارز فـــوق حجر الزاوية عند اثنين من العقود . ويوجد اثنان آخران فى العقـــد الشرقى فى منتصف المسافة الى أعلى . أما فى العقود الأخرى مثل تلك التى فى الدعائم فقد وضعت هنا وهناك أحجار منقوشة لزخرفة الشريط او العقد ، من الواضح انها مأخوذة عن مبان أخرى قـــديمة . ومـــن الواضح أيضاً أن الصلبان قد خصصت للمواضع التى نراها فيها .

وهناك آثار نقوش محفورة على رابطة الألواح الخشبية تحت مخدة الدعامة الشرقية . كما نجد زخرفة مكونة من الدوائر والأزهار فـــوق قطعة أخرى من رابطة الألواح الخشبية .

وقد حولت الكنيسة الى مسجد ، ومازلنا نرى بقايا القبلة وبهـــا عقد مدبب وتظهر درجات المنبر على يمينها . أما الجزء العلوى مـــن سلم الشرفة فقد تهدم . ولا يوجد دليل يبين المكان الذى يقود اليه . ولو كانت هناك شرفة فى الكنيسة كما هو متوقع ، فلن تكون فوق الجناحين

(١) A Report on the Antiquities of Lower Nubia, 1906-7 : A.E.P. Weigall, Oxford 1907.

انظر اللوحة رقم ٦١ ، وقد أصدرته مصلحة الآثار بالقاهرة .

الجانبيين كما هى العادة ؛ لأنها لو وجدت بالفعل لشاهدنا دليــلا على الحائط الجنوبى بالقرب من النوافذ . وربما كانت موجودة فقط عبــر الطرف الغربى أو فوق الرواق .

وابريم ذات أهمية خاصة لأن بقايا التاثير المصرى القديم قد أزيلت، ولكن لا شكّ فى أن التحقيق سيظهر الكثير مما لا نراه حاليا . لقد وضع الرومان فى هذا المكان حامية مكونة من أربعمائة رجل بعد أن اجتاحــه بترونيوس . ووصف لنا أبو صالح الأرمنى هــذه الكنيسة (فى نهــاية القرن الثانى عشر أو بداية القرن الثالث عشر) بالعبارات التالية (١) :

. « توجد مدينة ابريم مقر اله الجبل فى أراضى النوبة . وينتمى جميع سكانها الى مقاطعة ماريس . وهى محاطة بسور . وتوجد هنا كنيسة كبيرة وجميلة ذات تخطيط رفيع ، وقد أطلق عليها اسم سيدتنا العذراء الطاهرة مريم ، وعليها قبة عالية يرتفع فوقها صليب كبير . وعندما قام شمس الدولة أخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الــكردى اخو شيركوه (الأخ الأكبر لصلاح الدين الذى مات سنة ١١٨٠ ميلادية) يدخول مصر العليا أثناء خلافة المستعضد العباسى ، بعد زوال الأسرة الفاطمية فى شهر جمادى الأولى سنة ٥٦٨ للهجرة (١١٧٣ ميلادية) تحت حكم الغزو الكردى (*) ، غزا هذه المقاطعة بجيوشه التى صاحبته وتلك التى اجتمعت اليه (أثناء تقدمه) وجمع القوارب من الشــلال . وكان فى هذه المدينة الكثير من المؤن والذخائر والأسلحة ، ودخلت الى هناك (قوات شمس الدولة) . وعندما هزموا النوبيين ، تركوا المدينة خربة بعد اندحارها ، وأخذوا النوبيين الذين كانوا فيها أسرى . وقيل ان عدد النوبيين كان يقدر بسبعمائة ألف من الرجال والنساء والأطفال، كما وجدوا هناك سبعمائة خنزير . وأمر شمس الدولة باحراق الصليب الذى كان فوق قبة الكنيسة وأن يؤذن المؤذن للصلاة من فوقها . وقد نهبت قواته كل ما كان فى هذه المقاطعة ، وقتلت الخنازير . ولما وجدوا أحد الأساقفة فى المدينة نكلوا به ؛ ولكنهم لم يجدوا لديه شيئاً يستطيع أن

---

(١) The Churches and Monasteries of Egypt, B.T.A. Evett & A.J. Butler, Oxford, Clarendon Press, 1895, p. 266.

(★) شيركوه هو عم صلاح الدين الأيوبى وليس شقيقه ، ويخطىء المؤلف حينما **يستخدم لفظ الغزو الكردى ، فصلاح الدين وان كان كرديا ، لكنه كان قائدا لجيش** السلطان نور الدين محمود ، وقد جاء لنجدة مصر من الغزو الصليبى ــ (المحرر) .

يعطيه لشمس الدولة الذى سجنه مع الباقين والقى به معهم فى القلعة التى كانت مشيدة على تل مرتفع وقوية للغاية » .

ويتضح لنا من النص الذى أوردناه — بصرف النظر عن المبالغة — اهمية المكان كجزء من المملكة النوبية أما رقم السبعمائة الف سجين نوبى الذى يعنى سكان مقاطعة كبيرة فانه يصعب تصديقه . أما السبعمائة خنزير فربما لم تكن موجودة فى أبريم نفسها ، ومن الطبيعى أن يقضى المسلمون على الخنازير . ومن المحتمل أن يكون وصف الكنيسة مبالغاً فيه . أما القبة العالية فلا بد أنها كانت من الخشب نظراً لعدم وجود دعائم أو بقايا دعائم ترتكز عليها القبة المبنية من الطوب ، كما أن المكان كما نشاهده الآن لا يساعد على انشاء مثل هذه القطع من المبانى.

لقد استغرق المسلمون زمناً طويلا فى اخضاع النوبيين الذين كانوا شعباً مسيحياً . وخرب البلد بضراوة وتحول الى صحراء بسبب الاهمال والعنف . واختتم العنف الذى اجتاح وادى النوبة بالدمار الذى اقترفه شمس الدولة (*) .

وعاد السكان إلى الثورة . وآخر ما سمعناه عن المكان هو ما أورده ج. ل. بوركاردت (١) وقد عدنا الى هذا المرجع من قبل .

وهناك تاج عمود منحوت من الجرانيت الأحمر ملقى بالقرب من البوابة التى فى شمال المدينة (انظر الشكل رقم ١٧) .

---

(١) Travels in Nubia, by the late John Lewis Burckhardt. Second ed. John Murray, 1822, p. 30.

(*) الحديث عن التخريب والتدمير الذى الحقته جيوش شمس الدولة يبدو مبالغة لا يمكن الوثوق بها فى ضوء ما أظهره صلاح الدين الأيوبى من نبل وتسامح فى معاملة أسرى الصليبيين والرعايا المسيحيين أشاد به مؤرخو وكتاب الحوليات الصليبيون أنفسهم . ولا يستبعد بطبيعة الحال فى خضم المعارك الحربية وعمليات الحصار أن يتعرض المدنيون للأذى وأن تخرب بعض المنشئات الدينية . وقد فعل الصليبيون أنفسهم هذا بالكنائس والأديرة الشرقية ، ولم يتورعوا أن يقتلوا المسيحيين داخل كنيسة أيا صوفيا ، أعظم كاتدرائيات العالم المسيحى آنذاك . والحقيقة التى يجب أن نؤكدها اليوم أن المسيحية براء من أى فعل يأتيه متعصب وأن الاسلام برىء من أى فعل يأتيه متعصب وأن المسيحى الذى يكره ليس جديرا بالانتماء لرسالة المسيح وأن المسلم الذى يتعدى على حرمة غيره ليس جديرا بالانتماء الى رسالة الاسلام — (المحرر) .

وتوجد عند المنخفض الذى فى جنوب المدينة (عندما نتحدث عن الأماكن التى على النيل فان الجنوب هو أعلى النهر والشمال هو أسفل النهر سواء أكان ذلك يتفق مع اتجاهات البوصلة أم لا) بقايا فاخورة وكميات من الفخار المكسور وبقايا آنية فخارية فاخرة ذات نقوش سوداء من العصر الرومانى المتأخر والقبطى .

والى الشمال قليلا من قصر ابريم توجد خرائب كنيسة صغيرة من الطراز (ب) (اللوحة رقم ١٩) . ونجد فى هذا النموذج أن القبة المركزية تلعب دوراً مهما بوصفها أحد المعالم الداخلية ، بالرغم من أنها تظهر خارجياً أعلى قليلا من القبو الأسطوانى للصحن . ويظهر الهيكل فى الرسم التخطيطى مربعاً ، ولكن القبو الذى فوقه أقيم بحيث يأخذ شكل ربع الدائرة المفضل وذلك عن طريق مثلثات الأركان . وقد غطى كل جزء من الكنيسة فيما عدا القبة بالأقباء الأسطوانية ، ولكن لا يوجد فيها الآن قبو واحد كاملا . وقد بقيت حوائط المبنى سليمة وعليها العديد من النقوش اليونانية والقبطية . وتقبع الكنيسة فوق طرف صغير على قارعة الطريق الذى يمر بينها وبين النهر . وما زال بعض الطمى الأصلى الصلب موجوداً فى الجناح الجنوبى وهو يلى انحناءة الصخرة التى اقيمت فوقها الكنيسة .



ـ شكل رقم ١٧ : تاج عمود من قصر ابريم

المضيق

(اللوحة رقم ٢٠ ، والشكل رقم ٢)

يقع هذا المكان شمال كورسكو . وقمت بقياسه فى أول فبراير سنة ١٨٩٩ . وهو يقع فى الجانب الغربى للنيل ، ويرتفع عنه بشكل ملحوظ . وبه كنيسة من الطراز (ب) لها قبة تمثل الصورة الظاهرة المركزية ــ وقد بنيت الحوائط من الحجر غير المصقول حتى ارتفاع ٣ أمتار ، أما ما يعلو ذلك فقد بنى بالطوب المجفف فى الشمس . وبنيت

الدعائم التى تحمل القبة من الحجر حتى بروز العقود . ولا توجد أية شرفات فى هذا المبنى ولذلك فاننا لا نجد السلالم المعتادة . ويظهر الطرف الشرقى فى الرسم التخطيطى مربع الشكل مع غياب الأبواب العادية التى تفسح سبيلا للوصول الى الحجرتين من الهيكل . ويعتبر مبنى الكنيسة اكثر روعة ودقة مما هو موجود فى غالبية النماذج . ويبلغ ارتفاع العقود التى فوق القبة حوالى ١٥ر٣ متراً ، أما الحوائط الجانبية فتبدو مناسبة لحمل قوة دفع الأقبية الأسطوانية التى تغطى معظم المبنى ، ولكن بالرغم من أن الجزء الأكبر من هذه الأقباء قد تساقط ، الا أن الحوائط لم تندفع فى اتجاه الخارج . وتوجد البلاطات عند المدخل فى (أ) قائمة فى الطرف . ومازال باقياً منها البلاطة الموضوعة عند القمة مكونة بروزاً للباب .

ويقع حوش الدفن فى شمال الكنيسة على مسافة تبلغ حوالى ٣٠٠ ياردة . ومن المعتاد أن يكون موقعه بالقرب من النهر على قمة صخرة منخفضة تشرف عليه . والصخرة التى من الحجر الجيرى تتكون من الطبقات الأفقية المعتادة وبها تصدعات رأسية قسمت الصخرة الى كتل مربعة ضخمة . وقد أزيلت الرمال والأحجار الصغيرة التى كانت موجودة فى الشقوق التى بين هذه الكتل ، ووضعت بدلا منها الجثث . ومع رص الجثث فى وضعها الطبيعى شرقاً وغرباً استخدمت الشقوق كمقابر . وقد سلبت القبور بلا رحمة . أما العظام فقد تناثرت فيه على شكل أكوام ، بيما نقل الطمى ليضاف الى الحقول عبر النهر ، ولا يوجد هنا الا القليل من الفخار . وعلى بعد خطوات شمالا ، غطى سطح الصخرة العارى بطبقة من الأحجار غير المصقولة وقطع الطوب اللبن يبلغ سمكها متراً تقريباً . وهذه هى بقايا المنازل التى بنيت فوق المقابر . وقد وضعت قوالب الطوب وقطع الأحجار فى أكوام للكشف عن المقابر التى تحتها وتفريغها لاستخدامها فى الأغراض التى ذكرناها .

ويقع المبنى الذى قدمنا رسما تخطيطياً له فى الشكل رقم ١ (اللوحة رقم ٢١) على بعد ياردات قليلة جنوب الكنيسة . ولا أستطيع تخمين ماهية هذا المبنى . وأجازف بوضعه ضمن الرسومات التخطيطية الأخرى على أمل أن تتيح لنا البحوث المستقبلية تقرير ما اذا كان مبنى ديرياً أم لا . وتبين الرسومات التخطيطية التى سأقدمها الآن مبانى

تختلف عن النوعيات الأوربية . ولأننا لا نعرف الا القليل عن المبانى الديرية فى مصر واقل القليل عن تلك التى فى النوبة ، فلا نستطيع الجزم بأنها مبان ديرية موجودة بوضعها الحالى قريباً من الكنيسة .

أما الحوائط فقد بنيت من الحجارة غير المصقولة مع المونة الطينية. واستخدمت الكتل الحجرية لوضع عتبات المداخل الصغيرة . أما المداخل الأكبر فقد استخدمت فيها عقود من الطوب . وتختلف ارتفاعات الجدران فوق الأرض بمقدار مترين أو ثلاثة أمتار . وليس هناك دليل على وجود دور علوى أو سلم (١) .

ماهندى

(اللوحة رقم ٢١ الشكل رقم ٢ واللوحة رقم ٢٢)

تعتبر ماهندى أفضل عينات المدن القديمة القائمة بين حلفا وأسوان ، وقد تكون كذلك بالنسبة لأى مكان على ضفتى النيل . ولا شك فى انها قديمة ولكن من الصعب تحديد تاريخ لها ككل وحوائطها مبنية من الحجر غير المصقول . وقد وضعت الأحجار فى الجزء الأكبر منها بدون تنسيق فيما عدا القلب المكون من الطوب فانه مرتب بشكل جيد . وأجازف بالقول بأن هذه الحوائط ذات أصل رومانى من حيث انتظام تخطيطها ، والأبراج المربعة التى تتقارب فى اتجاه القمة ، والبوابات المخططة بعناية .

ويقع مقابل البوابة الجنوبية جزء كبير من شكل للنسر الرومانى منحوتاً نحتاً جيداً . وتحمل بعض الأحجار المبنية فى برجى البوابة قطعاً من النحت المصرى الغائر . وأظن أن الكثير من قوالب الطوب تنتمى الى قدماء المصريين بالنظر الى حجمها وجودة شكلها . ومن الانصاف القول بأننا نقف هنا فى بقعة مصرية قديمة اغتصبها الرومان ، وفيما بعد سكنها المسيحيون المصريون . ويستمر الحائطان اللذان فى الشمال والجنوب متجهين الى أسفل المنحدر الحاد الذى يمتد من مستوى سطح المدينة الى جانب النهر . أما المدينة نفسها فتقع على قمة هذا التل المنخفض . ويقع خلفها الى الغرب واد له جوانب شديدة الانحدار ، يقوم بدور الخندق فى حماية جزء من الحائط المحيط به .

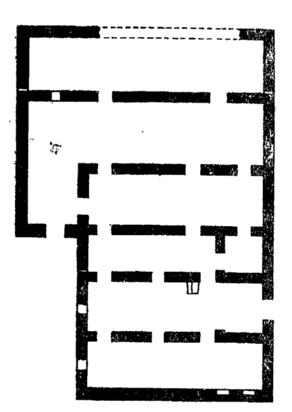
(١) انظر كتاب :
A Report on the Antiquities of Lower Nubia, A.E.F. Weigall, Oxford, 1907, p. 96.
أصدرته مصلحة الآثار بالقاهرة .

لـوحة رقم ٢١

المضيق

المبني المجاور للكنيسة

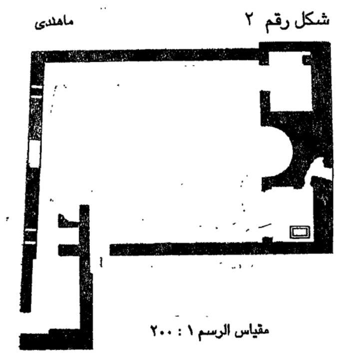
شكل رق: ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢

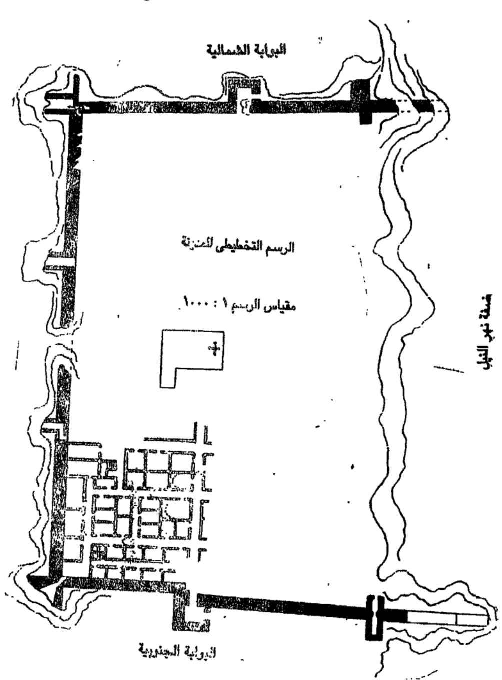
ماهندى



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لوحة رقم ٢٢

ماهندى



وفى داخل الحوائط مباشرة تقع بقايا العديد من المنازل المبنية من الطوب اللبن . وهناك رسم تخطيطى لمجمع المنازل فى الزاوية الجنوبية الغربية ، ومنه نعرف كيف كانت المبانى تتزاحم معاً . والشوارع شديدة الضيق بحيث لا يستطيع حمار يحمل سلتين أن يتحرك من خلالها . وهى مسقوفة بأقباء ؛ ولذلك فان المنازل تشكل كتلة متصلة فوق سطح الأرض . وتقودنا الملاحظات التى اجريناها على خرائب المدن الأخرى الى الاعتقاد بأن هذا هو الوضع المعتاد . ومثل هذا المكـان لا بد وأن يكون موطناً للأمراض من كافة الأنواع .

وقد بنيت كنيسة صغيرة فى وسط المدينة ، تحولت كلها الى أنقاض تقريباً ، ولكن بقى منها ما يكفى ليوضح لنا أنه كان هناك ممر ضيق خلف الهيكل كما هو الحال فى الأمثلة الأخرى التى قدمناها .

وتوجد خارج حوائط المدينة والى الجنوب منها خرائب كنيسة أخرى من الطراز (أ) سليمة الى حد ما (انظر اللوحة رقم ٢١ ، الشكل رقم ٢) .

جرف حسين

(اللوحة رقم ٢٣ الشكل رقم ١)

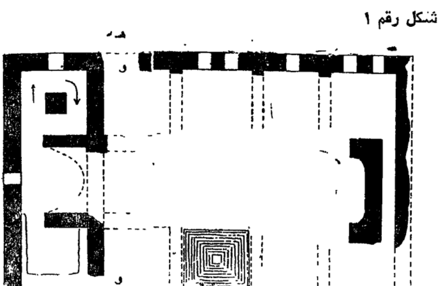
ليس من السهل تحديد طراز هذا المبنى ؛ لأنه مبنى كله بالطوب اللبن فيما عدا ثلاثة أو اربعة مداميك فى الطرف الشرقى الذى بنى كله من الحجارة غير المصقولة . وهو يقع على منحدر شديد الانحدار وقد قطع طرفه الغربى فى الصخر الذى يتشكل منه المنحدر . وتعتبر نوافذ الكنيسة اكمل الأجزاء من نواح عديدة وذلك بالنسبة لأى كنيسة أخرى من الكنائس التى وصفناها ، والجزء الأكبر منها سـليم حتى القمـة تقريباً . وبالرغم من عدم ضخامة المبنى ، فان مساحة الأجزاء المنفردة أكبر من المعتاد ، بينما تم تنفيذ البناء بانتظام اكبر من معظم النمـاذج التى قدمناها .

وتبين دراسة الحوائط الجانبية (انظر الشكل رقم ١٨) عدم وجود شرفات فوق الجناحين . ونرى ان الصحن والجناحين كانا من نفس الارتفاع . أما السلم الموجـود فى الركن الشمالى الغربى فكـان يقـود الى قمة الحوائط مباشرة ، كما يتضح لنا من الخرائب . ولم يزود بأبواب او فتحات فى منتصف المسافة الى اية شرفات ، ولسوء الحظ فاننا نواجه

لــوحة رقم ٢٣

جرف حسين

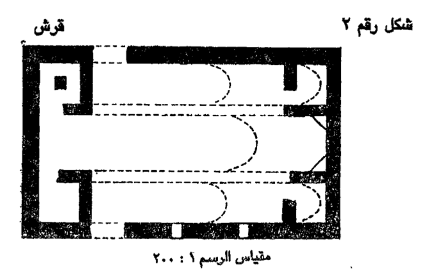
شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢

قرش



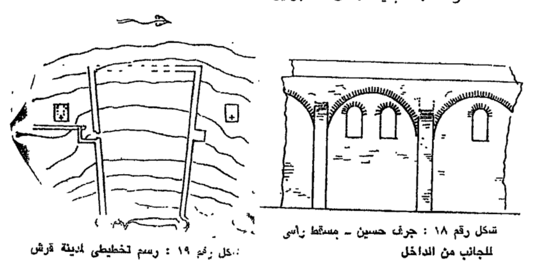
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

الشك حول كيفية دعم العقود التي بين الصحن والجناحين والتى كانت تحمل السقف المقبى المقام من الطوب . ان اختفاءها الكلى مع وجود الأجزاء الأخرى من الكنيسة سليمة ، يقودنا لافتراض وجود دعائم خفيفة من البناء الحجرى . وربما كانت أعمدة تستحق السرقة . ولو كانت هناك قبة فوق احد أجزاء الصحن ترتفع فوق بقية السقف ، لتوقعنا أن نجد اشارة لوجود بناء حجرى يدعمها ، ونفترض أنه كان أضخم من دعائم السقف بوجه عام ، ولكن لا توجد بقايا لمثل هذا البناء .

أما الهيكل فان تخطيطه غير عادى ، فلا هو مربع ولا هو نصف دائرى . وهناك ممر ضيق خلفه . انه حقاً يشبه الترتيب الذى اعتدنا عليه فى بطن الحجر .

أما الحوائط الجانبية للكنيسة (هـ هـ) (انظر الرسم التخطيطى) فهى كاملة حتى القمة . أما المنحنيات التى أوجدتها الأقباء عند ربطها بالحوائط فهى واضحة جيداً .

ان الفتحات التى فى (و) تبين أماكن الأبواب ولكن قوائم الأبواب مكسورة . وبقيت النوافذ سليمة وقد اقيمت فى تجمعات ثنائية وهى من المعالم غير العادية ؛ ولكننا نجد فى معظم الحالات أن هذه النوافذ الثنائية مجرد شقوق طولية ، أما فى هذه الحالة فانها فتحات نوافذ جيدة التكوين. وقد قمت بقياسها فى ٧ فبراير سنة ١٨٩٩ .



شكل رقم ١٨ : جرف حسين ـ مسقط رأسى للجانب من الداخل

شكل رقم ١٩ : رسم تخطيطى لمدينة قرش

قرش
(اللوحة رقم ٢٣ الشكل رقم ٢)

تقع مدينة قرش المخربة والمهجوره تماماً فى الوقت الحالى ، على الضفة الشرقية سى على منحدر صخرى شديد الانحدار ، وتخطيطها غير منتظم ويحيط بها من الجانبين الجنوبى الشرقى والشمالى حائط (انظر الرسم التخطيطى فى شكل رقم ١٩) .

ويمضى هذا الحائط مرتفعاً بطول المنحدر وهو مبنى من الحجارة المنحوتة المغمورة فى كمية قليلة من طمى النيل على طريقة المونة . وساترك هذا الموضوع للدارسين لتقرير التاريخ الذى بنيت فيه حوائط المدينة وأجازف بالقول بأنها ربما بنيت فى أواخر العصر الرومانى .

وهناك طريق يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب . وتقع الكنائس على هذا الطريق . وهناك بقايا منازل متفرقة بالقرب من كل كنيسة خارج الحوائط الواطئة . وتنتمى الكنيسة التى فى جنوب المدينة الى الطراز البازيليكى وطرفها الشرقى مربع . وتتولى مثلثات الأركان رفع القبو الذى ينتمى الى شكل القوقعة المعتاد . وقد زالت الدعائم التى تحمل العقود الجانبية وما زال فى الامكان تتبع آثار القبو الأسطوانى الذى فوق الجناحين ، وكذلك قبو الصحن . وقد زرتها فى ٧ فبراير سنة ١٨٩٩ .

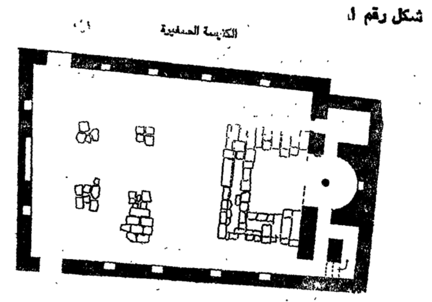
أما الكنيسة التى فى الجانب الشمالى للمدينة فهى متناهية فى الصغر، وتظهر حنية الهيكل فى الرسم التخطيطى مثل انحناءة مسطحة على مثال ذلك الموجود فى جرف حسين وماهندى . وهناك بقايا ممر ضيق خلف الحنية . وقد أحيط الصحن بثلاثة عقود صغيرة تنفتح على الجناحين . وهنا سلم فى الركن الشمالى الغربى يقود الى الشرفتين . وينتمى المبنى الى الطراز البازيليكى .

فيلة
(اللوحة رقم ٢٤)

عاش على هذه الجزيرة مجتمع مسيحى كبير . ومازال المعبد يحمل بعض الدلائل على انه قد استخدم ككنيسة ولا أجد افضل من أن احيل القارىء الى تقرير الكابتن هـ. ج. ليونز H. G. Lyons — وعنوانه :
A Report on the Islands and Temples of Philae.

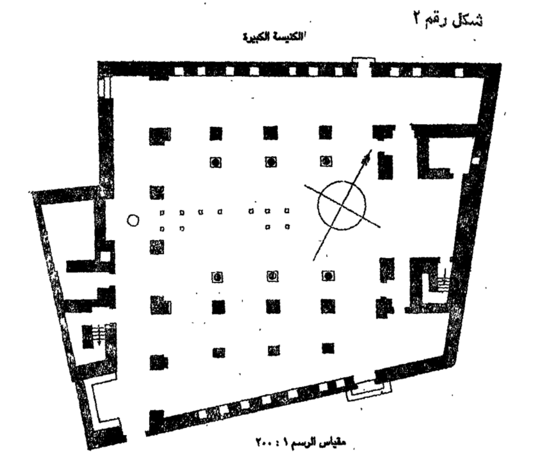
لـوحة رقم ٢٤

شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

وهو مطبوع بمعرفة مصلحة الأشغال العامة بمصر فى سنة ١٨٩٧ .

ونرى فى خريطة الجزيرة الملحقة بالتقرير أن هناك مبنيين مخصصين ككنيستين هما (ر) ، (ش) . ولا شك أن أصغرهما (الشكل رقم ١ من اللوحة رقم ٢٤) يمثل كنيســة من الطراز البازيليكى . ويتوجــه البناء نحو الشمال ، وذلك بحكم الشوارع والمبانى الموجودة فى المدينة .

ويوجد سلم صغير فى موضع غير عادى وهو بالتحديد فى الطرف الشرقى على يمين حنيه الهيكل مباشرة (١) وتظهر على الرسم التخطيطى بعض الأحجار المسطحة . وربما استخدم الموجود منها بالقرب مــن الحنية كمقاعد . وفى الامكان تتبع خط باهت يمر فوقها وهو موضح على الرسم . وربما كان الحجر الكبير هو احدى درجات السلم . أما مجموعة الأحجار التى فى الغرب فربما كانت هى القواعد الضعيفــة المجهــزة للأعمدة . وترتفع من الحوائط التى فى ثلاثة جــوانب من الكنيســة — الشمالى والغربى والجنوبى — أربعة مداميك من الحجارة المربعــة المأخوذة من المعابد المجاورة . وترتفع فوقها بقية الحوائط التى بنيت من الطوب اللبن . وما زال البناء الحجرى موجوداً فى الطرف الشرقى بارتفاع كبير . ولا أعتقد بأن العمود الذى يظهر قائماً فى حنية الهيكل ، قد وضع فى هذا المكان منذ عصر قديم ؛ ولكنه وضع هناك منذ عدة سنوات عند اخلاء المبنى جزئياً من الأنقاض .

أما المبنى الأكبر الممثل بالحرف ش على الرســم التخطيطى الذى رسمه كابتن ليونز والذى أوضحناه فى (الشــكل رقم ٢ من اللوحــة التى رسمتها) فلا بد أنه كان كنيسة لأن العديد من أجــزاء الأحجــار المنحوتة التى وجدت فيها ، كنت مزينة بالصلبان والتصميمات التى لا نجد شبيها لها فى بقايا المبانى الكنسية . ويدل الرسم التخطيطى على بناء من الطراز البازيليكى أو مكان للاجتماعات العامة . ولتسهيل الوصف نقول انه قائم على خط الشرق والغرب .

وهناك ترتيب شديد الغرابة فى الطرف الشرقى من المبنى . ذلك أن الحائط الشرقى ليس فقط مبنياً على زاوية خارج المحور الطولى ، بل تظهر ايضاً مداخل صغيرة فى مواضع غير مطروقة . ويقود أحدها

(١) انظر :
Plan of the Southern Church, Farras, Churches in Lower Nubia, Mileham and Mac Iver, Plate XVII.

الى سلم صغير لا يمكن الوصول اليه الا من هذا المدخل . أما السلم الذى نجده فى الكنيسة الأخرى (ر — أ) ، فانه يمكن الوصول اليه من اتجاهين ، وهؤلاء الذين يستخدمون السلم لا يدخلون بالضرورة الى الموضع المقدس (الهيكل) — حيث يقع المذبح خلف حجاب قريب . ونجد أيضاً سلماً فى الطرف الغربى للمبنى . ونفترض أن ذلك هو وسيلة الوصول الى الشرفتين اللتين تعتبران واسعتين بالقياس الى حجم المبنى . ولا أظن أن السلم الشرقى كان وسيلة لدخول العامة الى الشرفتين . وبالنظر الى عدم تناسق الحائط الشرقى ، فان هناك رسما تخطيطيا متناسقا داخل نطاق الحوائط غير المتناسقة . وهناك صف من الأعمدة على كلا جانبى المحور . وتوجد خلف الأعمدة دعائم مربعة الشكل ، ودعائم اصغر فى الناحية الجنوبية ، والمدخلان فى موضعين غير عاديين فكل منهما على عكس الآخر ، وينفتحان على الجانب الشرقى من الصحن ، ولا يوجد فى أية عينة من عينات المساقط الأفقية للكنائس البازيليكية التى وجدتها أية مداخل فى مثل هذا المكان . وهناك بابان اضافيان فى الطرف الغربى من الصحن . وبالرغم من أنهما غير طبيعيين فربما أملت الأحوال الخارجية مثل هذا الترتيب . وقد استدعت طريقة البناء الشديدة الاهمال التى تشبه طريقة بناء الكنيسة (ر — أ) ، وضع مثل هذا الترتيب وتصنيفه ضمن مبانى الكنائس .

وما زال جزء كبير من الأرضية المرصوفة رصفاً بدائياً فى مكانه الأصلى . ويوجد هنا صف من التجاويف المربعة كما لو كانت مجهزة لوضع أعمدة خشبية فيها أثناء ظروف معينة . فما الغرض منها ؟ ان الفراغ الذى بين الأعمدة الصغيرة لا يقل عن ٦٫٥٠ متراً . وهو فراغ لا يمكن تغطيته الا بسقف خشبى — وليست الأعمدة أو الدعائم قوية بما فيه الكفاية لحمل العقود المبنية من الطوب ، حتى مع افتراض أن البنائين كانوا قادرين على بناء مثل هذه العقود الكبيرة الاتساع . ولكن ليس هناك دليل يؤيد هذا الاستنتاج .

وقد بنيت المداميك السفلية من الحوائط بالحجارة المنحوتة المأخوذة من المعابد المجاورة ، أما ما يعلو ذلك فقد بنى بالطوب اللبن .

نموذج مسقط أفقى
(اللوحتان رقم ٢٥ ، ٢٦)

قبل دخولنا الى ذلك الجزء من النيل شمالى أســوان ، حيث سنلتقى بالرسوم التخطيطية للكنائس التى تختلف فى ترتيبها عن تلــك التى شاهدناها حتى الآن ، يجدر بنا أن نستعرض نموذج مسقط أفقى لمبنى كنيسة ، من العينات المختلفة التى درسناها . ومن السهل القيام بذلك لأنه من الطراز البازيليكى ، والرسم التخطيطى يتحدث عن نفسه (الشكل رقم ٣) ، فنجد الهيكل ملحقاً به غرفة فى الشمال وأخرى فى الجنوب ، وفى حوائط الهيكل ثلاث حنيات ترتفع فوق المقاعد . وقد أقيم المذبح بحيث يستطيع الكاهن الدوران حوله . ويظهر قوس النصر غرب المذبح وبه عمودان منعزلان فى العارضتين الرأسيتين ويبدو مــن المستحيل بالنسبة للكنائس التى من هذا الطراز المرسومة بمقياس رسم صغير — أن تزود بثلاثة مذابح ؛ لأن فراغ الحائط فى الطرف الشرقى لكل جناح صغير جداً (١) . ومن الناحية الأخرى ، فان الرسومات التخطيطية تدعونا الى الدهشة بالنسبة لكيفية استخدام المذبح خاصة اذا كان من الضرورى اخلاؤه ، وهى ليست بالرسومات القليلة العدد .

وقد أوضحنا مكان الحجاب الذى يطوق الهيكل . ومع تسليمنا بهذه المعالم فاننا سنلتقى حالا مع باب واحد — فى الوسط — وأحياناً بابين فى كل منهما نافذة صغيرة فى الوسط . ولا بد من ذكر أننى لم أجــد كنيسة واحدة من بين الكنائس التى قمت بقياسها فى السودان سليمــة بحيث تتضمن أثراً للحجاب . وان الحجاب المنفصل عن الجناحين بدعائم من الحجر غير المصقول ، مبنى من حجارة غير مصقولة التقطت مــن المنطقة المحيطة . ويبين المسقط الرأسى على الخط (أ — ب) مــدى صغر هذه الفتحات بحيث تظهر كحوائط أكثر منها مداخــل تعلوهــا طاقات . أما القسم الذى يطل على الناحية الغربية (الشكل رقم ٢) ، فيبين لنا الجناحين الصغيرين اللذين يغطيهما قبو أسطوانى فوقه شرفة أو دهليز به المزيد من الفتحات الصغيرة المطلة على الصحن وقد برز من خلال نتوء قبو الصحن .

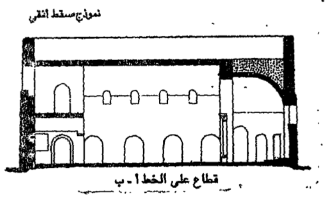
---

(١) ذكر البعض أنه من الضرورى وجود ثلاثة مذابح على الأقل فى كل كنيسة .

لــوحة رقم ٢٥

شكل رقم ١

نموذج مسقط أفقي



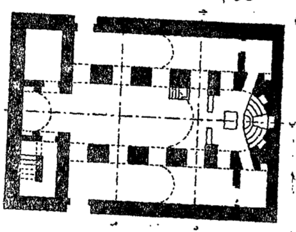
قطاع على الخط أ - ب

شكل رقم ٢



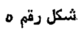
قطاع على الخط (هـ - و)

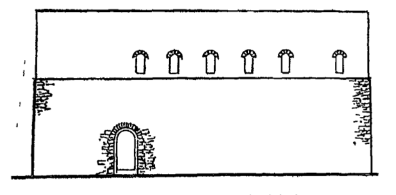
شكل رقم ٣





قطاع على الخط (جـ-د)





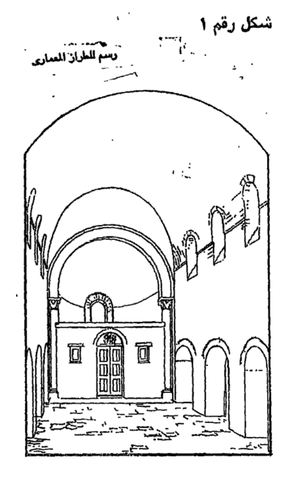
ارتفـاع الجانب الجنوبى

مقيـاس الرسم ١ : ٢٠٠

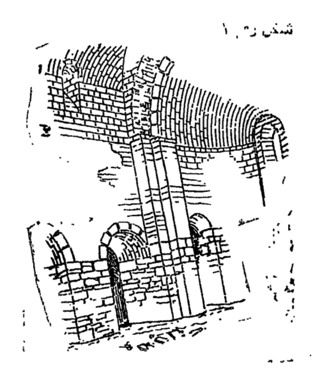
لــوحة رقم : ٢

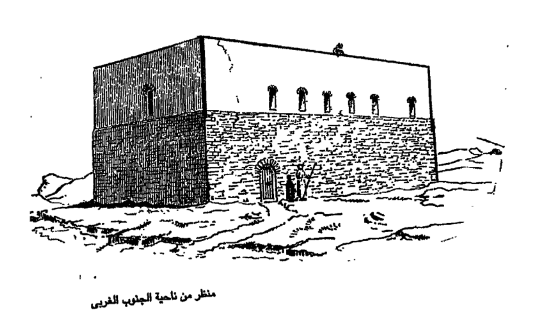
شكل رقم ١

رسم للطراز المعمارى



شكل رقم ١





منظر من ناحية الجنوب الغربى

ويبين هذا القسم أيضاً القنطرة التى عبر الطرف الغربى للصحن الذى يمكن الوصول عن طريقه الى الشرفة التى فى الجانب الشمالى بصعود السلم الذى فى الركن الجنوبى الغربى .

ويظهر الصحن فى هذا القسم ، مغطى بالقبو الأسطوانى . أما القبوان اللذان فوق الشرفتين فهما محمولان حتى نفس هذا الارتفاع ، بحيث يحملان سقف دهليز مسطحاً .

ولا بد أن مصدر النور الرئيسى داخل هذه الكنائس الصغيرة هو الشباك الذى فى الحائط الغربى ، وتوجد أيضا نوافذ متناهية فى الصغر ظاهرة فى الارتفاع الخارجى وفى القسمين ، وهى تعطى ضوءاً المردهة ، كما يدخل منها ضوء قليل الى الصحن . ولا بد أن نتذكر أن الفتحة المتناهية الصغر فى مصر تعطى وفرة من النور (١) .

ويظهر القبو الذى فوق الصحن مبنيا بنفس الطريقة التى بنيت بها الاقباء ، التى ما زالت موجودة بدير القديس سمعان فى أسوان (انظر الشكل رقم ٢ ـ اللوحة رقم ٣٠)،وهذا افتراض من عندى لأننى لم أصادف أنقاضا تحتفظ بقبو الصحن ولا يظهر الا آثار البروز والانحناءات . ويظهر البابان الخارجيان أحدهما الى الشمال والآخر الى الجنوب وينفتحان على الجزء الغربى من الجناحين .

وكان الجزء السفلى من الحوائط حتى منتصف ارتفاعها تقريبا مبنيا من الحجر غير المصقول المبنى بمونة من الطمى . وما يعلو ذلك كان بكامله من الطوب اللبن . ويعطينا المنظر الخارجى فكرة واضحة عن هذا البناء كما يظهر كاملا (انظر اللوحة رقم ٢٦ ، الشكل رقم ٣) .

وكانت السطوح الداخلية مغطاة بالجير ، وازدانت مرة أخرى برسومات بألوان التربة التى تنتمى الى الطراز البيزنطى الصارم . أما القطع القليلة المتروكة فانها تجعلنا نشعر بالأسف العميق لكثرة ما فقدناه . وتظهر العظمة القديمة والتقليدية فى بساطة الصنعة التى نشاهدها فى القطع الصغيرة المكسورة .

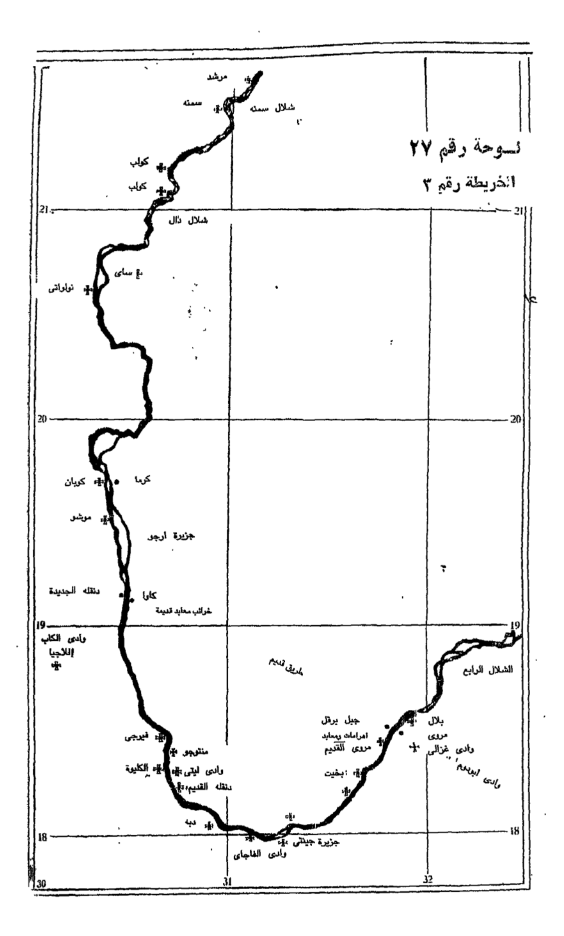
---

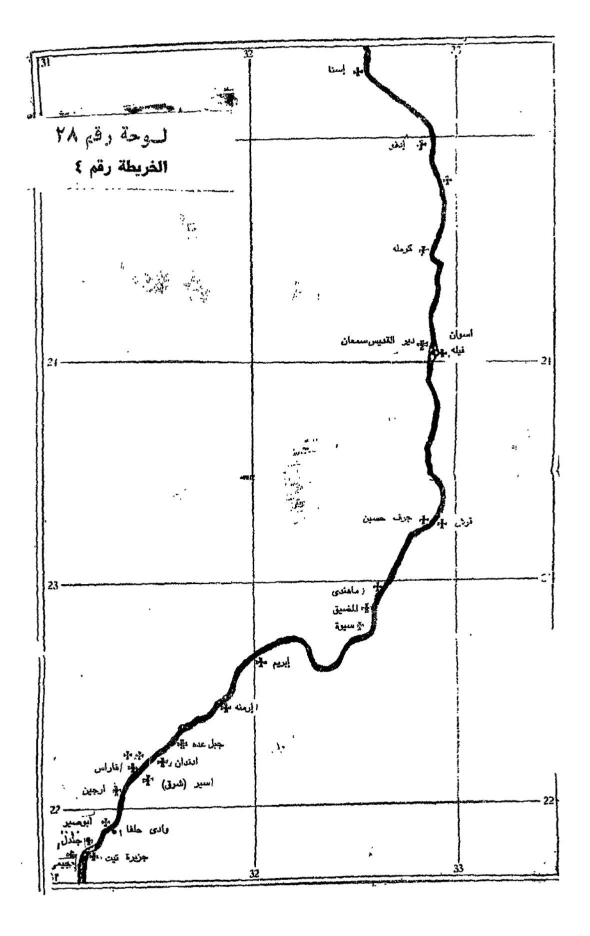
(١) انظر فى ذلك ، ص ١٦ من كتاب مايلهام . Churches in Lower Nubia

وهناك فى الشكل رقم (١) من اللوحة رقم ٢٦ ، منظر عام لداخل الكنيسة التى يمثلها هذا الطراز وهى تطل ناحية الشرق ، ويظهر الحجاب وفى وسطه الباب . وفى الشكل رقم (٢) من نفس اللوحة ، يظهر تخطيط لوسائل البناء المستخدمة . ويظهر البناء المقام من الطوب فى الحائط من (أ) الى (ب) معلقاً قليلا بحيث يقلل من اتساع السقف المقبى . وتظهر حلقات القبو المبنى من الطوب منحنية نحو الحائط الشرقى حسب الطريقة التى تظهر فى الشكل رقم (٤) فى الفصل الثانى من هذا الكتاب . وقد بنى قبو سقف الهيكل بنفس الطريقة . انظر ص ١٥ من كتاب مايلهام : Churches in Lower Nubia .

أما عن كنائس الطراز (ب) وبالذات تلك التى تغطيها قبة فتمثل اوضح معالم المدأخل ، وحسب ما افترضناه فانها المصدر الرئيسى للاضاءة فى الداخل ، ولا يفيدنا كثيراً عمل نموذج لاستعادة شكلها .

وتظهر فى دراسة الرسومات التخطيطية حقيقة أن هذا الجزء الرئيسى كان محمولا أحياناً بطريقة وأحياناً بطريقة أخرى . وهناك دعائم بنيت خصيصاً لهذا الغرض . ونجد أن القبة فى حالات أخرى تستقر فوق امتداد الحوائط الجانبية للصحن . ونشاهد فى بعض الحالات جهداً مباشراً لعمل تخطيط على شكل صليب . وفى حالات أخرى لا يوجد أى تخطيط .


لوحة رقم ٢٧
الخريطة رقم ٣
مرشد
سمنه
شلال سمنه
كولب
كولب
شلال دال
ساى
نولواتى
كرما
كوبان
موشو
جزيرة ارجو
دنقله الجديدة
كاوا
خرائب معابد قديمة
وادى الكاب
إللاجيا
طريق قديم
الشلال الرابع
جبل برقل
بلال
اهرامات ومعابد
مروى
مروى القديم
وادى غزالى
بخيت
فيرجى
منتوجو
وادى ليتى
الكليوة
دنقله القديم
دبه
جزيرة جينتى
وادى الفاجاى
21
20
19
18
30
31
32



لوحة رقم ٢٨
الخريطة رقم ٤
31
32
33
21
23
22
إسنا
إدفو
كرمله
أسوان
دير القديس سمعان
فيله
جرف حسين
ماهندى
المضيق
سيوة
إبريم
إرمنه
جبل عده
ابندان
فاراس
اسير (شرق)
ارجين
أبو صير
وادى حلفا
جندل
جزيرة تيت

الفصل الخامس

الكنائس التى بعد أسوان شمالا

مازلنا حتى اليوم ومع الأسف الشديد ، نجهل الفكرة التى تحكم الرسومات التخطيطية لبناء الأديرة فى مصر بشكل عام ، مع كثرة عدد هذه المبانى . ان بعضها وهو يشكل الأغلبية ، يقع فى أماكن منعزلة حيث تتيح التلال الصحراوية التى تحيط بوادى النيل ملاذاً هادئاً يسهل اقامتها فيه ، ولكن بعضها الآخر كان بعيداً عن الأرض المزروعة وبالتالى عن أماكن سكنى الناس .

وتبدو الأديرة دائما مسيجة بحائط مرتفع كوسيلة دفاعية (١) ومن الواضح أن مثل هذه الحماية كانت ضرورية لتلك الأديرة التى تقع فى الصحراء أو على حافتها ، لأن قبائل الصحراء كانت تمثل رفيقا لا يلتزم بالقانون . وعندما كانت المبانى قريبة من الأرض المزروعة كما هى الحال فى الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج ، أو دير الملاك ميخائيل فى نقادة ، فانه لم يحدث الاستغناء عن حائط السياج . ان ضرورات الخلوة الدينية جعلت مثل هذا الحائط ضرورة بصرف النظر عن الأسباب الأخرى .

---

(١) انظر الملحوظات التى فى الفصل الثالث من كتاب Ruins at Wadi Ghazali & near Abu Sir ، وانظر الملحوظات المأخوذة عن كتاب أبو صالح ،

دير الأنبا سمعان بأسوان
(اللوحات أرقام ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢)

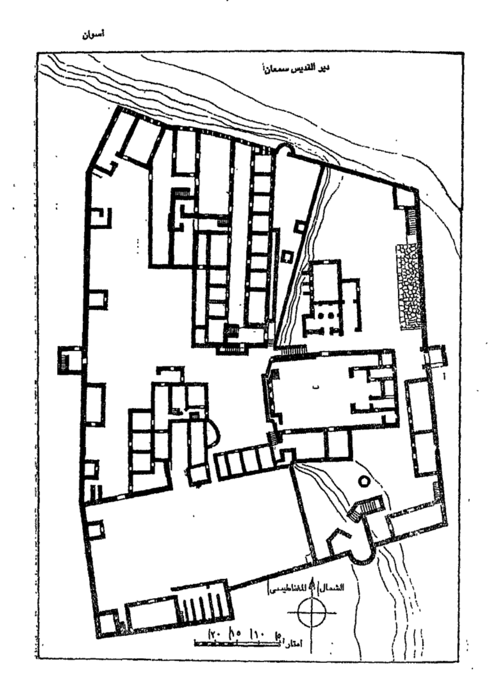
تقع هذه المجموعة من المبانى مقابل مدينة أسوان بعيدة فى واد على الضفة الغربية للنيل ، ولكن بالقرب من النهر . والمبنى له قيمة غير عادية لأننا نجد فيه ديراً ، خرباً فى حقيقته ولكن بقيت معالمــه الأساسية . ويقدم لنا مسيو دى مورجان رسما تخطيطياً للدير فى القائمة التى بدأ فى طبعها ، وقد خاطرت بنقل هذا الرسم عنها لأنه أفضل الرسومات الجاهزة للنشر ، ولكن تفاصيله أبعد ما تكون عن الدقة كما هو واضح فى الأجزاء المتعلقة بالبرج (القصر) والكنيسة وعند رسمه للمنظر وضع الشمال فى محل الجنوب . ولم يسمح لى الوقت بعمل رسم تخطيــطى محدد القياسات ، وخشيت أننى لو حاولت تحاشى بعض أخطاء مسيو دى مورجان أن أقع أنا نفسى فى أخطاء اخرى .

وليس من السهل بالنسبة للقارىء الذى لم يقم بزيارة احدى هذه الخرائب الجليلة أن يعرف مدى صعوبة اجراء عمليات القياس أو عمل الملاحظات الدقيقة داخل حوائطها ، مع عدم وجود حائطين متوازيين ، أو خطوط رأسية ، ومع اشتمال الجزء الأكبر منها على قلايات مظلمة لا تتحصل على الضوء الا من خلال شقوق فى السقوف المقوسة المبنية من الطوب اللبن . وقد امتلأت كل غرفة بالأنقاض حتى نصفها ، وأغرقت فى التراب الناعم . ومع درجة حرارة تتجاوز ٨٥ مئوية يخرج الدارس من احدى هذه القلايات فى حالة يرثى لها . ويستطيع فقط أن يرجو ألا يكون نهر النيل المبارك الذى سيغتسل فيه بعيداً .

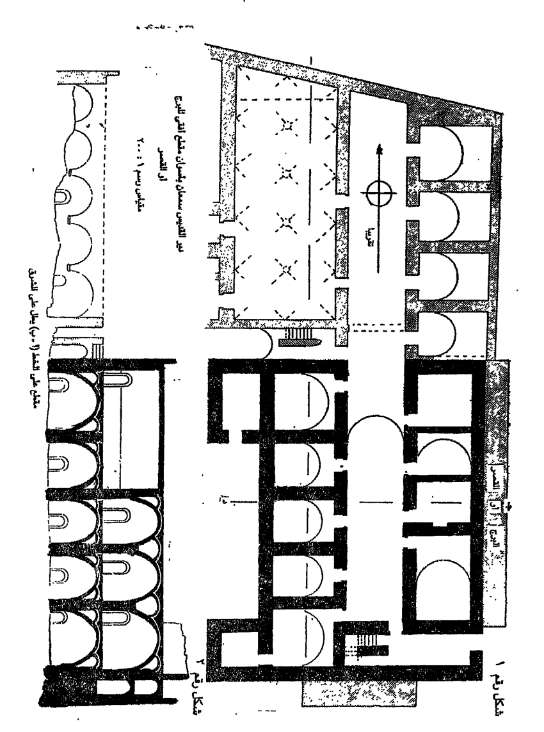
ويلاحظ أن المسقط الأفقى (اللوحة رقم ٢٩) على شكل مستطيل غير منتظم ومتفق مع تضاريس المكان . ويقع محوره الطولى متجهاً من الشمال الى الجنوب . وبعد أن نترك الضفة الغربية للنيل ، ندخل فى فم واد صغير ينحنى نحو اتجاه الشمال الغربى . ونرى على رأسه وعلى بعد نصف ميل من النهر ، المبنى الذى يشبه القلعة مطلا علينا وظاهراً من أماكن عديدة محيطة به ، ونشق طريقنا بصعوبة مصعدين فى منحدر رملى ، ونقترب الى الحائط الشرقى الذى يطوق المكان من بين الصخور المحطمة . ويقع المدخل بالقرب من وسط هذا الحائط (انظر (أ) على

لـوحة رقم ٢٩

أسوان



لوحة رقم ٣٠

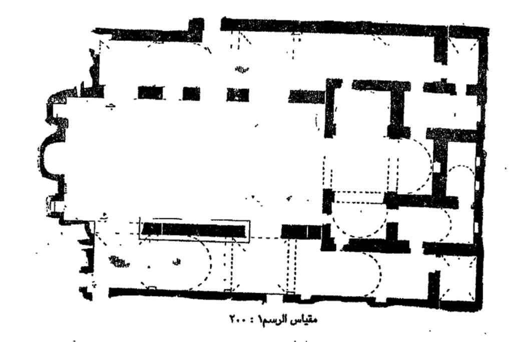


لــوحة رقم ٣١

شكل رقم ١

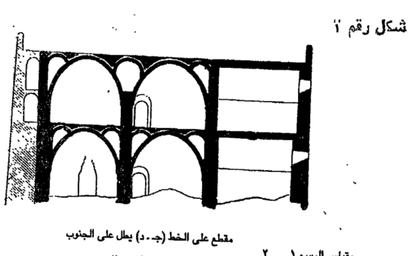
اسوان

مسقط أفقى للكنيسة التى فى دير القديس سمعان



مقياس الرسم١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢

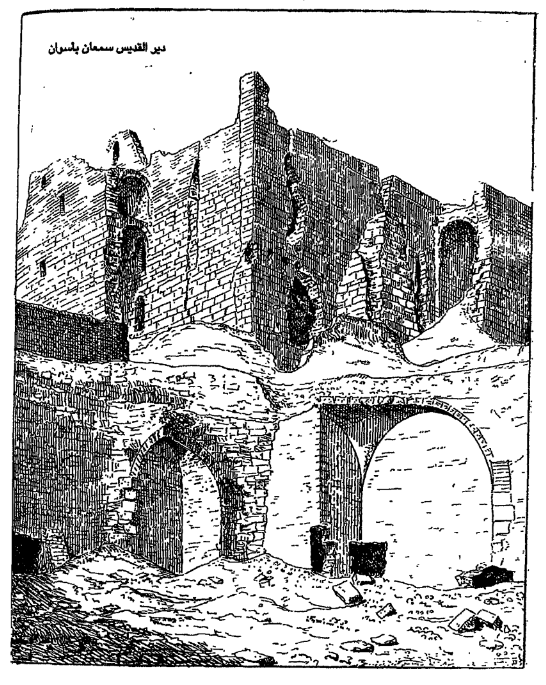


مقطع على الخط (جـ - د) يطل على الجنوب

مقياس الرسم ١ ٢

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لـوحة رقم ٣٢



دير القديس سمعان بأسوان

الرسم التخطيطى) ويشكل هذا برجا صغيراً ناتئاً . ويقع المدخل فى الجانب مشكلا زوايا قائمة مع المدخل الذى يعلوه طاق (عقد) فى الحائط الذى يطوق المكان .

وعند فتح الباب لا يستطيع الزوار رؤية فناء المدخل بشكل مباشر . ومثل هذا القطاع من المدخل يسهل الدفاع عنه بخلاف المدخل الذى يستطيع الأعداء أن يندفعوا منه الى الأمام . ونرى نفس المسقط الأفقى تقريبا فى مداخل جميع المدن الخربة فى النوبة ، كما نرى مثل هـذا الترتيب فى كافة المنازل الشرقية الأصيلة فى القاهرة أو غيرها من الأماكن فى الشرق .

وتنحدر الأرض سريعاً مع ارتفاعها فى المدرجـات من الشرق الى الغرب ولكن الحائط الذى يطوق المكان على خط الشمال ينحدر بشكل فجائى . ونرى فى داخل الطوق مجموعتين من المبانى ، وتقع الكنيسـة (ب) وملحقاتها عند المستوى المنخفض (الذى فى ناحية المدخـل) بينما يقع البرج أو القصر (ج) عند مستوى أعلى ، ويطل على الركن الشمالى الغربى للكنيسة فى طابقين مع صفين من القلايات ذات العقود .

أما الطرف الغربى للكنيسة فقد بنى مقابل دهليز من الصخر بـه بعض الحجرات التى يمكن الوصول اليها من الصحن . ويستمر هـذا الدهليز فى اتجاه الشمال ويعلوه حائط . وبهذه الطريقة ينقسم الفضاء المحيط الى قاعة علوية وقاعة سفلية . وحتى عندما تسقـط القاعـة السفلية فان القاعة العلوية التى بها الحصن (القصر) يمكن الدفـاع عنها فترة طويلة . أما المدخل الوحيد الظاهر الآن من القاعة السفلية إلى القاعة العلوية ، فإن الوصول اليه يتم عن طريق سلم يقع مقابل الحائط الشمالى للكنيسة . وقد بنيت المداميك السفلية للحوائط مـن أحجار الأنقاض المأخوذة من جانب التل والمستخدم فى بنائها طمى النيل حيث يمكن رؤية المونة . وقد بنى الجزء الأعلى من الحوائط بالطـوب اللبن . وطلى المبنى كله بطبقة من طمى النيل على شكل طبقة معمرة من الجص فى مناطق جنوب مصر الخالية من المطر . ولا بد أن المصدر الوحيد للمياه بالنسبة للدير هو نهر النيل . ونجد فى هذه الأديرة أن الورع والقذارة يتماسكان يداً بيد .

وعند دخول القاعة السفلية من المدخل الذى وصفناه من قبل ، نرى أمامنا وعلى بعد عدة أمتار حائطاً منخفضاً من الطوب اللبن هو الحـائط

الشرقى للكنيسة وقد اخترقته الآن عدة شقوق ويبدو أن المدخل الرئيسى للكنيسة كان فى مكان واحد فى الحائط الشمالى عند موطىء الدرجات الصاعدة الى الحصن (القصر) . وقد خرب هذا المبنى بشكل مريع أما المحاولات القليلة التى حدثت للحفر فقد تمت بطريقة عشوائية أدت الى المزيد من الارتباك .

وبالنظر الى المسقط الأفقى للكنيسة (اللوحة رقم ٣١ ، الشكل رقم ١) نلاحظ أن المبنى الممتد من الشرق الى الغرب يتكون من صحن به جناحان فى الشمال والجنوب ، وأن الطرف الشرقى بما فيه سقفه المقبى ، هو مسقط يصل الى عنفوان عظمته فى الديرين اللذين بالقرب من سوهاج (انظر اللوحتين رقم ٦٥ ، ٦٩) ويمكن ملاحظة الفارق الكبير بين المسقط الأفقى الذى قدمه دى مورجان للكنيسة ، وذلك الذى قمت بقياسه ، والسبب هو أن هذا المسقط رسم قبل القيام بأية حفريات فيما عدا قليلا من التنظيف فى الطرف الشرقى . وقد أخذت مقاييس دى مورجان سنة ١٨٩٣ ، أما المسقط الأفقى الذى طبعته الآن فقد قمت بقياسه فى يناير سنة ١٩٠١ ، وروجع فى مارس سنة ١٩٠٨ . وقد جرت التحقيقات التى اعتمدنا عليها فى الفترة الزمنية الواقعة بين التاريخين .

وقد أوضحت على المسقط الذى رسمته ، الروابط المستقيمة فى أماكن عديدة . ويلاحظ أن الحوائط التى تطوق الهيكل الثلاثى الحنيات منفصلة عن تلك الواقعة الى الغرب منها ، وأن الجانب الشمالى للصحن يكشف عن قواعد دعائم مستطيلة وضعت بدون نظام ، وأن الجانب الجنوبى من الصحن قد فصل بحائط طولى عن الصحن (ينقسم هو نفسه الى جزءين) ، ويقوم فوق مصطبة عريضة مبنية بالحجر ، ولا تعطى قوالب الطوب اللبن الموضوعة بدون عناية أية دلالات عن زمن بنائها . وربما مضت مئات عديدة من السنين بين اقامة قطعة من حائط وقطعة أخرى مجاورة لها . ولا توجد أية تفاصيل مصبوبة أو محفورة تمد لنا يد المساعدة، وكذلك فإن الجص الذى لا نشك فى أن كافة الحوائط كانت مطلية به فى ناحيتها الداخلية ، قد ضاع فيما عدا الطرف الشرقى .

وظلت الحوائط الخارجية باقية الى الآن حتى ارتفاع يصل الى خمسة أمتار . ويصل مستوى الأرض الطبيعية فى الطرف الغربى الى قمة هذه الحوائط . ويكشف لنا فحص الحائطين الخارجيين الشمالى والجنوبى عن كيفية عمل سقوف الجناحين على التوالى ، وتتقاطع فى الجناح الشمالى ثلاثة عقود . أما الجزء الذى فى أقصى الغرب والجزء الثانى من الغرب فانهما مسقوفان بقبوين أسطوانيين متقاطعين . وهى طريقة معروفة لعمل قبو المساحات المستطيلة والمبنية بدون مساعدة أى « مركز » من الخشب . أما الجزءان الثانى والرابع فهما مغطيان بقبوين أسطوانيين . والذى فى أقصى الشرق منهما طويل . ولا بد أن العقود التى تنفتح من الصحن الى الجزء الثانى غرباً كانت شديدة الانخفاض ، كما أن تيجانها كانت كذلك تحت مستوى بروز القبو . أما المسافة التى بين الدعائم فهى توحى بأنه كانت هناك تأثيرات غير معمارية عن طريق عقدين صغيرين بجوارهما عقدان آخران أكبر حجماً وأكبر ارتفاعاً .

وتبين لنا الدلائل التى على الحائط الجنوبى أن الأقباء التى فوق هذا الجناح هى نفسها التى فوق الجناح الشمالى . ولدينا أيضاً دليل على وجود عقدين أوسع ولكنهما لم يبقيا حتى نتبين منهما الترتيب الذى كان يعلو المنصة الحجرية .

ويبين لنا فحص الطرف الغربى انه كان يوجد هنا أيضاً بعض الاقباء ، التى تصل الى نفس ارتفاع الأقباء التى فوق الجناحين .

وقد بقيت فى الركنين الشمالى الغربى والجنوبى الغربى شظيات صغيرة وهى مبينة على الرسم التخطيطى بخطوط منقطة . وكانت هناك ابنية حجرية فى ركن الدعامة عند (د) ولكنها الآن محطمة ، وافترض انه ربما كانت هناك عبر الطرف الغربى شرفة ضيقة محمولة على أعمدة وهذه الأعمدة رسمتها بخطوط منقطة . ولا بد أن مثل هذه الشرفة التى تربط الأدوار العليا للجناحين الشمالى والجنوبى تتطابق مع الترتيب الذى رأيناه بوصفه ترتيباً شائعاً فى كنائس النوبة . ولكننى من جهة أخرى لا استطيع أن أجد أقل دليل على وجود مثل هذه الشرفات .

ويحسن بنا أن نصف الطرف الشرقي للكنيسة قبل النظر فى السؤال المتعلق بكيفية عمل سقف الصحن ، وفى الوقت الحالى بقيت القبة النصفية المبنية من الطوب ، التى تغطى الحنية التى فى أقصى الشرق ولا يتجاوز ارتفاع تاجها خمسة الى ستة أمتار فوق الأرضية . أما القباب النصفية الثلاث فانها تنفتح على حجرة مربعة ربما كانت مسقوفة بقبة من الطوب . وكانت هذه الحجرة متصلة بالصحن عن طريق عقد تحول الى أنقاض . ونلاحظ مدى ضيق هذا العقد بالمقارنة مع اتساع الصحن الذى يتراوح ما بين ٣٫٢٠ الى ٧٫٦٠ متراً . ويبين لنا فحص المسقطين الأفقيين للكنيستين اللتين فى سوهاج بالدير الأبيض والدير الأحمر أن هناك تشابها بين الثلاثة بالرغم من مقياس الرسم الكبير . وفى كل حالة نجد أن العقد الذى يقود الى الهيكل ضيق اذا قورن باتساع الصحن . واذا عدنا الى اللوحة رقم ٢٤،الشكل ٢ الذى يقدم لنا المسقط الأفقى لما تعودنا أن نطلق عليه اسم « الكنيسة الأكبر » بجزيرة فيلة ، فسنرى أنه ربما كان هناك تفسير آخر للرسم التخطيطى الذى بين أيدينا الآن . وفى فيلة نجد أنه بينما كان الجناحان الشمالى والجنوبى منفصلين عن الصحن بصف من الدعائم المستطيلة ، فقد كان هناك صفان داخليان من الأعمدة متوافقان تقريباً مع اتساع قوس النصر . ولو كانت هذه الأعمدة موجودة فى كنيسة القديس سمعان لاختفت صعوبة وضع سقف خشبى فوق الصحن . ولو لم توجد مثل هذه الأعمدة فقد كان على بناة الكنيسة مواجهة صعوبة أن مساحة ٢٤ قدماً لم تكن شيئاً هينا فى بلد خال من الواح الخشب . ولا شك فى عدم وجود وصلة تستطيع أن تسند أو تحمل سقفاً مقبياً يغطى هذه المساحة .

وبالعودة الى الطرف الشرقى للكنيسة فان الحنية التى فى أقصى الشرق وشكلها مربع على مستوى الأرضية ، تتجمع فوق الأركان وبذلك تكون مستعدة لاستقبال العقد على شكل قبة نصفية تغطيها . وما زالت الرسومات الملونة التى كانت تغطى هذا العقد واضحة . ويقدم لنا مسيو دى مورجان فى قائمته التى أشرنا اليها سابقاً ، لوحة ملونة تبين هذا العقد ولكنها لا تمثل عرضا جيداً ، وليست دقيقة تماما .

أما ترتيب الأبواب التى تقود من الجناحين إلى الحجرات الصغيرة المجاورة فهو غير عادى . وتبين الفتحة التي فى الجانب الشمالى للهيكل الشرقى علامات تدل على أنها قد شقت خلال الحائط ؛ ولكنها ربما كانت باباً أصلياً تم توسيعه .

وعند مبارحة الكنيسة عن طريق الباب الذى فى الجناح الشمالى نجد أنفسنا عند موطىء سلم ضيق ومنحدر يوصل الى المستوى الأعلى الذى أقيم فوقه الجزء الأكبر من المبانى الديرية . وسرعان ما تبهرنا كتلة المبانى المهيبة التى تشبه البرج والتى ترتفع الى أعلى (اللوحتان رقم ٣٠ ، ٣٢) أما المسقط الأفقى (انظر اللوحة رقم ٣٠) و الشكل رقم ١ من نفس اللوحة رقم ٣٠) الذى يبين أرضية هذا المبنى فإنه يوضح لنا أنه لم ينشأ كله فى وقت واحد وأن بعض الجوائط قد أقحمت عن طريق بناء من الطوب أقيم فى مقابلها .

لقد ذكرنا منذ قليل أن بعض الأديرة كانت مجهزة للدفاع ، ويمكن الحصول على دليل فى هذا الصدد بدراسة تاريخ « أبو صالح الأرمنى » الذى أوردناه من قبل . وهو يقول فى الصفحة ٢٣٧ عند وصفه الدير الذى فى أتريبيس (الدير الأبيض فى سوهاج) : « ويوجد فى هذا الدير حصن . ويحيط بالحصن والدير سور فى داخله حديقة مليئة بكافة أنواع الأشجار » .

ويقول عن الدير الذي فى سمالوط (ص ٢٤٧) : « وهناك بجوار الكنيسة حصن ضخم ومرتفع ، بارز فوق مستوى الجدران » .

وعن دير الغسل يقول (ص ٢٤٨) : « يحيط بكنيسة مارجرجس سور به حصنان وحديقة » . وفى مقدورنا تقديم اقتباسات أخرى ولكننا ننتهى باقتباس واحد يخص أسيوط (ص ٢٥٠) فيذكر أبو صالح : « وتوجد ستون كنيسة عند أسيوط على الضفة الغربية . كما توجد على الجبل كنائس منحوتة فى الصخر باستخدام المعول ، وفى كل منها حصن » .

وسنقدم فيما بعد (اللوحة رقم ٥٢) الرسوم التخطيطية لبعض الكنائس المنحوتة فى الصخر بالقرب من أسيوط . وعندما يتفحصها القارىء قد يسأل نفسه ، ما طبيعة الحصن الملحق بمثل هذا المكان ؛

بافتراض أن الحصن عبارة عن برج قوى ومسيطر ، وآخر نقطة المقاومة ، ومعقل حسب مفهومنا عنه من حيث ارتباطه بقلاع العصور الوسطى أو مواقع الدفاع ؟

وفى دير القديس سمعان نشاهد بوضوح وجود حصن ضخم كأحد المعالم المحيطة . أما فى حالة الكنائس المنحوتة فى الصخر فعلينا أن نتسلق ممراً منحدراً حتى نصل الى ارتفاع ٢٠٠ قدم فوق الوادى ثم نصل الى حفائر ممتدة بطول واجهة الصخرة ، ربما كانت قبراً أو محجراً قديماً . وترتفع الصخرة عمودياً الى مسافة ٢٠٠ قدم أخرى . فأين مكان الحصن أو البرج المسيطر ، أو على الأصح ضرورة وجوده ؟ واذا افترضنا أن الحصن « مكان منيع » فلا بد أنه كان برجاً فى بعض الحالات أو حنية محفورة فى قلب الصخرة فى حالات أخرى .

واذا عدنا الى الحصن الموجود بدير القديس سمعان فى أسوان فاننا سندخل عن طريق مدخل صغير (هـ) فى الحائط الشرقى عند طرفه الجنوبى . ويرتفع أمامنا سلم ضيق يقود الى الطابق العلوى ثم يمتد الى السطح المنبسط الذى يرتفع أمامنا . وهناك على اليمين مدخل صغير يقود الى ممر طويل مسقوف بقبو من الطوب ، وتنفتح الحجرات على كلا جانبيه . (اللوحة رقم ٣٠ ، الشكل رقم ١) وفيما عدا الطرف البعيد حيث تبرز بعض النوافذ الصغيرة من الحائط الشمالى ، يبدو أنه لم تكن هناك اية وسيلة لدخول الضوء الى هذا الممر . وبعض الحجرات التى على الجانب الغربى مزودة بنوافذ أو طاقات صغيرة فى أعلى الحائط . ولا بد أن بعض الأشعة المنعكسة كانت تشق طريقها بصعوبة من خلال مثل هذه الفتحات ، ولكن هذه أيضاً لا تستطيع الوصول الى الممر الا بالمرور من المداخل الصغيرة للحجرات . والممر مقبى ، وكذلك جميع الحجرات مسقوفة بما يشبه صدفة رقيقة من الطوب اللبن . وقد تمزقت هذه الصدفة الآن فى أماكن عديدة ، وبذلك تسرب الضوء الى كل مكان . ومن الصعب أن يتصور الانسان مدى الظلام الدامس الذى كان يلف المكان قبل أن يتحول الى خرائب .

ويبين لنا الرسم التخطيطى (اللوحة رقم ٣٠) هذه الحوائط المظللة بالنقط ، التى يبلغ ارتفاعها طابقين والتى يبدو أنها بنيت قبل الأجزاء

المتاخمة للشمال . وسنطلق على هذا الجزء اسم « الحصن » وقد تمت تقوية حائطيه الجنوبى والشرقى كما ذكرنا من قبل . والأجزاء السفلية من هذه الكتل المبنية بالحجارة صلبة ، ولكن الأجزاء العلوية تشقها ممرات ضيقـــة .

وهناك فرن كبير فى الحجرة الثانية التى على يمين الممر الأوسط ولكنه للأسف قد تحول الى انقاض ، ويبدو أنه قد برزت منه فى سمك الحائط مدخنة لخروج الهواء الساخن . ولو كان اعداد الطعام يتم فى هذه الحجرة المظلمة التى لا يتجدد هواؤها ، ومنفذها الوحيد هو الباب المطل على الممر ، فلا بد أن الرهبان كانوا يستمتعون برائحة الطبخ .

ونجد على الجانب الأيسر أو الغربى من الممر ، وفى اتجاه طرفـــه الشمالى ، بقايا حجرة كبيرة يستند قبوها ، المبنى بالطوب اللبن ، على صف من الأعمدة — فهل هو المطعمة ؟

واستميحكم العذر فى الخروج عن الموضوع بمحاولة تأكيد ماهيـــة الحجرات المعتادة فى الدير بقدر ما أستطيع :

من الأفضل العودة الى الحكايات المتضاربة قليلا التى تركهـــا لنا أبو صالح . وبهذه الطريقة قد نعرف على الأقل بعض الأشياء التى نبحث عنها عند استكشاف مثل هذا المبنى . لقد أوردنا من قبل هذا الاقتباس الخاص بالحصن . وسأضيف اقتباساً آخر أو اقتباسين . اننا نجد فى (ص ٢٤٧) اثناء وصف الدير الذى فى سمالوط انه لا يوجد فقط سور ، بل يوجد فى داخله أيضاً طاحونة (١) وفرن ومعصرة للزيوت .

وتوجد فى دير العسل الذى ذكرناه من قبل ، حديقة تقع فى جنوب الكنيسة ، وتحتوى على طاحونة وقلالى للرهبان . وهناك حديقة أخرى فى شمالى الكنيسة ، ومعصرة لزيت الزيتون .

ويصف لنا على صفحة ٢٥٠ ديراً أطلق عليه اسم القديس سفيروس وهو ظاهر على قمة الجبل وفيه حصن وصهريج للماء يسع ملء الف جرة من الماء ، ويمتلىء عن طريق نهر النيل المبارك ، وفيه طاحونة وأفران

---

(١) لا يمكن ان نخطئها فنظن أنها ساقية : وهى تدار بواسطة ثور أو حمار أو جمل .

عديدة ومعصرة لزيت الزيتون وبه ثلاثون راهباً . وتقع الحدائق فى الأرض المستوية التى تحته .

ويتحدث فى ص ٢٥٧ عن دير النور ، الذى به حصن من خمسة ادوار ، وقد بنى بمهارة فائقة ويحيط به سور احتضن فى داخله ٤٠٠ نخلة .

واعتماداً على هذه المذكرات والاقتباسات السابقة ، نستطيع تجميع بعض النقاط الاسترشادية فيما يتعلق بالدير . وسنجد انه كان مكتفياً بذاته ومسيجاً بحائط . وتبين لنا هذه البقايا المتروكة أن هذا المكان مربع الشكل تقريباً وبداخله على الأقل كنيسة واحدة . وسنرى أنه فى حالات كثيرة كانت هناك كنائس عديدة تحتوى كل منها على مذابح عديدة . وهناك الحصن : ويبدو أن قلالى الرهبان كانت فى داخل هذا الحصن بدير القديس سمعان فى اسوان . وكانت هناك أفران وطواحين ومعاصر للزيوت . واذا كان الموضع مناسباً تنشأ حديقة فيها أشجار النخيل والخضراوات ، ومازالت الآبار المبنية موجودة فى حالات معينة وهى محددة بالحجارة المنحوتة ، وكبيرة بما يكفى لهبوط وصعود سلسلة الأوانى المربوطة فى الساقية .

ويشكل نفس مبنى الكنيسة أو مجموعة الكنائس ، عنصراً واحداً فى المبانى المختلفة المحاطة بحائط السياج ، وعندما نعود الى ضرورة تخزين الحبوب واقامة الخدم ، وربما أيضا اعاشة الماشية كما يحدث اليوم فى الدوار الكبير او الصغير ، فاننا نرى بسهولة أنه كان لابد من وجود عدد كبير من الأكواخ والمبانى داخل حائط السياج . وعلى ذلك فان الدير الذى لا يفاخر بكثرة عدد الرهبان قد يغطى مساحة كبيرة .

وقد وجدت بناء على دراستى لمثل هذه الأديرة التى استطعت زيارتها او التى جمعت عنها المعلومات ، أنه من المستحيل رسم مسقط أفقى عمومى ينطبق على جميعها . وتقع الكنيسة أو الكنائس دائماً فى الشرق والغرب ، وهى فى الغالب تقع بطول الحائط الشرقى للسور . ويبدو

الباقى مشوشاً . ولا شك أن هذه الأديرة كانت بالنسبة للأماكن الغربية والبعيدة التى أقيمت فيها — تقع مقابل واجهة صخرة — مثل أعشاش الطيور أكثر منها منازل للناس ، وبذلك لا يمكن تطبيق نظام عام محدد للمسقط الأفقى . وفى حالات قليلة كانت الكنيسة تطل على المنطقة المحيطة بها بالطريقة العظيمة التى تعودنا عليها ، والحقيقة أن العظمة كانت قليلة أو معدومة .

وكما كان المعبد المصرى القديم منعزلا تماماً داخل سور من الطوب اللبن لا يسمح برؤية ما بداخله الا اذا استكمل بناء برج المدخل ، فكذلك كانت الأديرة . والاختلاف الوحيد هو أن المعبد كان بناء ضخماً محاطاً بحوائط صلبة ومستقيمة ، فى حين كانت مبانى الكنائس وملحقاتها فى معظمها متواضعة وغير متقنة ومختفية خلف حائط سياج متواضع وأعوج وحقير .

ويمكن القاء أضواء أخرى على موضوع الأديرة المصرية بدراسة كتاب : بستان الآباء القديسين The Paradise of the Holy Fathers الذى أشرنا اليه من قبل، فنجد فى الصفحة ١٤٤ تاريخ القديس باخوميوس ، وهو جدير بالاهتمام لأنه يبين مدى تحرر حياة الراهب من القوانين الصارمة فى العصور القديمة . وتتراوح الفترة التى تحدث عنها هذا الكتاب ما بين عامى ٢٥٠ ، ٤٠٠ ميلادية . وربما تبلورت الأمور بعد ذلك . وحينذاك قد نتساءل عن بقايا المبانى الديرية التى طبقت النموذج وطورت طرازاً ثابتاً . وعندما نفحص الأجزاء الباقية من المبانى الديرية التى مازالت موجودة نجد أن تلك التى تعود الى التاريخ الأقدم لا تختلف عنها اختلافاً جوهرياً ؛ لأنه من الصعب القول بوجود نظام محدد لتخطيط المبانى التى نشاهدها الآن . ويبدو أن الذين تحركوا لتطبيق حياة التكريس قبسل القديس باخوميوس لم يسكنوا معاً فى تجمعات ، ولكنهم سكنوا فى الغيران والصوامع . ولا بد أن نضع فى فكرنا أن انشاء التجمعات لم يضع نهاية لحياة النساك الذين مازالوا يعيشون أو على الأصح يتضورون جوعاً فى الصحارى فى أماكن بعيدة ، وبأعداد كبيرة .

ويذكر الكتاب فى الصفحة ١٤٤ ما يلى :

« كان يوجد فى مدينة طيبة والمقاطعة التى تحيط بها وهى التى تسمى تابنيسى (١) الرجل المبارك الذى يسمى باخوميوس . وقد عاش هذا الرجل حياة نسكية مثالية مكللا بمحبة الله والانسان . وعندما كان جالسا فى صومعته ظهر له ملاك وقال له : « حيث انك أكملت حياة التكريس فلا تلزمك الاقامة هنا ، ولكن اجمع حولك هؤلاء الشاردين ، وأقم معهم، واعد لهم القوانين التى ساعطيها لك » . وأعطاه الملاك كتاباً (أو ألواحاً) كتب فيه ما يلى :

١ ــ اسمح لكل فرد بأن يأكل ويشرب عندما يريد ، وافرض أداء الأعمال حسب قدرة هؤلاء الذين يأكلون ويشربون ، ولا تتحكم فى الأكل أو الصوم . واكثر من ذلك عليك أن تفرض أعمالا عديدة على أقوياء البنية ، بينما تفرض أعمالا خفيفة على ذوى القوة المحدودة والذين يمارسون الصوم .

٢ ــ وتبنى لهم صوامع ، ويسكن كل ثلاثة منهم فى صومعة واحدة .

٣ ــ ويشتركون معاً فى تناول الطعام فى غرفة واحدة (أو منزل) .

٤ ــ لا يقضون فترة النوم راقدين ولكن عليك أن تنشىء لهم مقاعد بحيث يستطيعون أن يسندوا رؤوسهم أثناء الجلوس .

٥ ــ وأثناء الليل يرتدون أردية بدون أكمام ويضعون مناطق على احقائهم واغطية على رؤوسهم .... الخ .. الخ .

٦ ــ وأن تجعل لهم أربعاً وعشرين رتبة .. الخ » .

ونعرف من هذه القوانين أن النظام الذى اتبعته هذه الجماعة الدينية عند نشأتها كان شيئاً أقل تفصيلا فى كافة نواحيه بالمقارنة مع القوانين التى وضعت فى الغرب . وهذا القانون الذى وضعه باخوميوس لم يتطلب مجموعة من المبانى المنظمة مثلما نجد فى أديرة أوروبا . ونحن نفترض أن فقر وعزلة الحياة النسكية قد أثرت فى القانون الذى وضعه القديس باخوميوس .

---

(١) تقع مقاطعة تابنيسى على الضفة اليمنى للنيل حيث يتحول النيل الى الغرب عند قنا ، وهى تمتد من قرب قنا الى قصر الصياد ، انظر اللوحة رقم ٤٣ ، الخريطة رقم ٥ .

وتزايد عدد الرهبان بسرعة :

« وعاش فى هذا الجبل حوالى سبعة آلاف أخ ، وكان فى الدير الذى عاش فيه القديس باخوميوس الف وثلاثمائة أخ . والى جانب هؤلاء أنشئت أديرة أخرى اقام فى كل منها ثلاثمائة أو مائتان أو مائة من الاخوة الذين عاشوا معا . وكانوا يعملون بأيديهم ويعيشون هناك . وكانوا يقدمون القليل الذى يمتلكونه لأديرة الراهبات التى أقيمت هناك . وكان هؤلاء الذين يتولون الخدمة الأسبوعية يستيقظون مبكرين ويؤدون أعمالهم ، بينما يقوم آخرون بالطهى ، وآخرون يعدون الموائد ويضعون فوقها الخبز والجبن وأوعية الخل والماء . وكان بعض الرهبان يأتون لتناول الطعام فى الساعة الثالثة من النهار ، والبعض الآخر فى الساعة السادسة وبعض آخر فى الساعة التاسعة ، وآخرون فى المساء ، والبعض يتناول وجبة واحدة يومياً ، وكان البعض منهم يتناول وجبة واحدة اسبوعيا ... ، وكان بعضهم يعمل فى الفردوس (أى البستان) ، والبعض فى الحدائق ، والبعض فى ورشة الحدادة ، والبعض فى المخبز ، والبعض فى ورشة النجارة والبعض فى ورشة الصباغة . وكان البعض يصنع السلال والحصير من سعف النخيل ، وكان احدهم يصنع الشباك، بينما يقوم راهب آخر بصنع الصنادل ، ويعمل راهب آخر بالكتابة . وكان جميع هؤلاء الرجال يعملون ويرددون المزامير وأسفار الكتاب المقدس بانتظام » .

وقد عرفنا ضخامة عدد الرهبان والأديرة من القصة التى وردت عن أوكسيرنكوس فى ص ٣٣٧ ، وهى كما يلى :

« وأتينا أيضا الى أوكسيرنكوس وهى مدينة عظيمة باقليم طيبة ، ولكننا عاجزون عن ذكر الأشياء العجيبة التى رأيناها هناك ؛ لأن المدينة مليئة بالسكان من الاخوة حتى اكتظت بهم جدرانها . لقد كان عدد الاخوة كبيراً . وهناك أديرة أخرى كثيرة حول هذه الجدران من الخارج ، مما جعلنا نظن أنها تشكل مدينة أخرى . وقد امتلأت هياكل المدينة ومعابدها والفضاء الذى حولها بالرهبان . والى جانب هذه الأديرة كانت هناك ثلاث عشرة كنيسة يجتمع فيها الناس لأن المدينة كانت كبيرة . وكان

فى كل دير مكان مخصص للرهبان لكى يصلوا فيه ؛ مما جعلنا نظن أن عدد الرهبان لم يكن أقل من عدد سكان المدينة لأنهم كانوا كثيرين ؛ حتى انهم ملئوا المبانى فى مداخل المدينة . وعاش بعض الرهبان فى الأبراج التى بجانب البوابات ، وذكر الناس أن عدد الرهبان الذين عاشوا فى داخلها بلغ خمسة آلاف . وأن هناك خمسة آلاف آخرين عاشوا حولها ... ، والآن فاننا نعرف من الأسقف المبارك الذى كان هناك أنه يشرف على عشرة آلاف راهب وعشرين ألف عذراء » .

وقد ورد ذكر تجمع آخر من الرهبان بالقرب من أنتنوى . وحتى اليوم فاننا نرى هنا بقعة تسمى المدينة ، تحتوى على خرائب مجموعة ضخمة من المبانى ، والعديد من الكنائس ولكنها تحتاج الى تحقيق دقيق .

لقد خاطرت بذكر الاقتباسات السابقة لأنها تلقى قدراً كبيراً من الضوء على موضوعنا ، ونجد أن عدد الرهبان كان كبيراً فى العديد من الحالات ، حتى أن مدينة أصيلة مكونة من القلالى الصغيرة والأكواخ المبنية بالطوب اللبن قد تجمعت حول الكنيسة أو الكنائس التى تشكلت منها النواة . ولا بد أنها تكدست جميعها مثلما تتكدس المنازل فى قرية حديثة . ويمكن لمثل هذا التجمع من المبانى غير المرتبة كما هو الحال فى القرى اليوم ، اذا هجرت ، أن تختفى سريعاً تحت تأثير مياه فيضان النيل التى تتغلغل فى الأرض ، والتجريف لصنع الطوب الذى يستخدم فى مناطق اخرى ، ومثل هذه المجموعات من المنازل المهجورة التى بقيت سليمة تقع دائماً فوق تربة صخرية أو رملية جافة .

ولا شك أن العديد من الأديرة كان يقع فى وسط الحدائق والمزروعات، ونتيجة لذلك اختفت آثارها . ولو كان هناك نظام ثابت للتخطيط ، مع صلابة المبانى ، وطول الحوائط ، لبقى ذلك موجوداً ليحكي الحكاية لأنه لم يكن من السهل تدميرها مثل حوائط الأكواخ . وترى حول كنائس الدير الأبيض والدير الأحمر (انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٤٩) المجاورين للأرض المزروعة وليس فوقها ، آثار المبانى المبنية بالطوب اللبن ، والحوائط التى تحيط بها ، ولكن حتى هنا أو فى انتنوى (المدينة) فقد أزال النهب الجزء الأكبر من الطوب ولم يتبق لنا اى أثر يدل على نظام شاملة للتخطيط .

وهناك سبب آخر لوجود القليل من الآثار ، نعرفه من تاريخ القديس باخوميوس وكنيسته الصغيرة فهى لم تكن مبنى قويا أو جيـد التنفيذ ، ولذلك فانها سقطت بسهولة عند جرها بالحبال . وقد اختلفت قليلا عن معظم المبانى التى بقيت لدينا : لأن تلك المبانى التى بها اعمدة ، كانت رديئة الانشاء، واقيمت بطريقة مهملة ، حتى اننا نعجب لاستمرار وجودها . لقد ادت روح النسك المتأججة ، والتورع عن اتباع الهوى حتى فى اقل جهد يبذل لاضفاء لمسة جمال ، والرغبة الصادقة فى التضحـية ، الى نشوب الحرب ضد المبانى الفخمة التى حاول الرجال أن يبذلوا فى بنائها اقصى جهدهم لمجد الله . ومع وجود الاف الرهبان فقد كان فى مقـدور القادرين على العمل ، اقامة كنائس فخمة لو حسبوا ذلك عملا صحيحا .

وقد نجد فى مجموعة الأديرة التى مازالت قائمة على جبل آثوس ، شيئا لم ينقل من الأديرة القديمة التى وصفناها . وقد تعودنا أن نجد فى كل مكان برجاً مرتفعاً يشبه الحصن (القصر) . والكنائس الموجودة داخل حوائط السياج صغيرة وعديدة ؛ ولكننا لا نجد تخطيطاً منهجيا للبناء كما هو الحال فى الغرب (١) .

وبالعودة الى دير القديس سمعان نجد أن الكنيسة لا تتصل بالطرف الشرقى مقابل حائط السياج ، أما الحصن (القصر) ذو الحجرات العديدة التى نظن أنها كانت قلالى للرهبان ، فانه يحتل موقعاً مركزياً . وتوجد على أرضية بعض هذه الحجرات أجزاء مسيجة مثل الأحواض ، فهل هذه هى أسرة النوم ؟ وهناك حجرة كبيرة تقع فى الشمال وهى كما يبدو ليست جزءاً من المبنى الأول فربما كانت هى المطعمة ، وتوجد سلسلة من الأقسام فى الركن الجنوبى الغربى من المبنى ربما استخدمت كاسطبلات أو مخازن . وتوجد آثار الطاحونة فوق أرضية حجرة أخرى . أما بقية المبانى فمن الصعب تحديد استخدامات الحجرات العديدة التى فيها وقد أصبحـت الآن بدون سقوف . وقد تتيح لنا الحفائر الدقيقة الحصول على معلومات حول المواد التى نقلت من كل موقع . ويلاحظ فى مواقع عديدة وجـود درجات سلالم تقود الى قمة الحائط او الأبراج المحيطة .

---

(١) Athos, or the Mountain of the Monks, by Athelstan Riley, London. Longmans, 1887.

ولما كنا قد بذلنا أقصى جهدنا لاكتشاف بعض هذه الاشياء المتوقعة فى تخطيط الأديرة ، ومع فشلنا فى الاهتداء الى أى نظام عام ، فمن الأفضل أن نتساءل عن تلك الأشياء التى يجب أن نبحث عنها فى تخطيط الكنيسة، والتى ربما لا توضع دائماً فى نفس المواقع بالنسبة لبعضها البعض كما سيظهر لنا من التجربة .

وبعد أن نعبر شمال الشلال الأول وندخل مصر، سنجد أنفسنا — كما ذكرنا من قبل — فى مواجهة تخطيط كنيسة وطراز من المبانى لم نلتق به فى الجنوب . ان الكنائس فى الجنوب تصنف تحت طرازين اطلقت عليهما الطراز (أ) والطراز (ب) للملاءمة . وسنتقابل الآن مع الطراز (ج) وهو يختلف عن الطرازين الآخرين فى نواح عديدة — أن ارتفاعه لا يصل الى طابقين ، اى أنه لا توجد شرفات أو دهاليز فوق الجناحين . اضف الى ذلك ان كنائس الطراز (ج) لا يحيط بها شىء من التخطيط البازيليكى لأنها بنيت كلها ومنذ البداية بالحجارة غير المصقولة والطوب . وهى مسقوفة بقباب صغيرة ، لم يدخل الخشب فى بنائها . والقبة نصف دائرية محمولة فوق حجرة صغيرة مربعة ، وتحدها أربعة جدران . وعند تجميع عدد من هذه القباب مع بعضها ، كانت تستند الى أربعة عقود مع انفتاح كل حجرة صغيرة على الحجرة الأخرى . وعندما تتقابل العقود فانها تقف على عمود أو دعامة . ولما كانت القباب والحجرات الصغيرة ذات حجم موحد فاننا نصل الى الداخل البديع المنظر ، وهو منخفض وبه العديد من الأعمدة ويدخله الضوء من أعلى . والمبنى قابل للاتساع فى كل اتجاه بلا حدود . وفى معظم الحالات نجد أن هذا الاتساع لم يستغل لتوسعة المبنى فى أى بعد فيما عدا العرض . ويصل ذلك الى ذروته فى المسقط الأفقى الموضح على اللوحة رقم ٣٥ ، دير القديس باخوميوس فى ميداموذ حيث نجد اربع حجرات من الشرق الى الغرب ، وعدد لا يقل عن ثمانية من الشمال الى الجنوب . ومن الواضح أن التصميم المعمارى من الطراز (ج) ناتج عن فقر الخامات التى اضطر الصناع الى استخدامها . وربما استطعنا مساعدة القارىء بالمضى فى وصف الترتيبات وقطع الأثاث التى توجد فى الكنائس القبطية بوجه عام(١) .

---

(١) ربما يعترض البعض على ان هذا الوصف يأتى متأخرا زمنيا . اما بالنسبة للكاتب فقد ظهر له عدم وصف الأثاث والترتيبات الطقسية ، لأن المبانى الجارى =

وقد روعى اتجاه المبنى بدقة مع انه ليس دقيقا بالضرورة . وبقدر علمى لم يحدث أن وجدنا الاتجاه خاطئاً فى أى مبنى قائم ، وقد تحول فى جزء أو آخر من أجزائه للاستخدام ككنيسة ، اللهم الا فى حالات قليلة .

ويوجد فى المبانى التى سنصفها مذابح عديدة مقامــة فى صف من الحجرات الشرقية الصغيرة ، ولكن كل مبنى يتضمن مذبحاً يفوق بقيـــة المذابح فى الأهمية . وينشأ المذبح فى حجرة مجهزة تسمى الهيكل ، وحيثما يوجد العديد من المذابح فهناك أيضاً العديد من الهياكل . ويختلف عـــدد المذابح : فبعض الكنائس ليس بها الا مذبح واحد . والبعض الآخر به عدد كبير . ولكن العدد ثلاثة هو الشائع . ويقول البعض ان هذا العدد يشير الى الثالوث المقدس ، بينما يقول البعض الآخر أن المذبح الأول يشير الى مذبح البخور ، والثانى هو مذبح القربان ، والثالث هو مائدة تابوت العهد حسب ترتيب خيمة الاجتماع فى العهد القديم . والمؤكد هو أن ضرورة وجود أكثر من مذبح تعود الى أسباب طقسية ؛ لأنه لا يمكن تحت اى ظرف أن يستخدم المذبح اكثر من مرة فى اليوم الواحد ، ويكرس المذبح الرئيسى دائماً باسم القديس شفيع الكنيسة . ولكن دراستنا للرسومات التخطيطية ستبين صعوبة تحديد المذبح الرئيسى . والكنيسة لا تقسام بخط محورى واضح .

والمذبح غير متصل بالحائط الشرقى حتى يستطيع الكاهن أن يدور حوله . وهو مبنى بالأحجار المغطاة بالملاط ، وبه حنية فى الجانب الشرقى، ويوجد فى قمته غاطس توضع فيه المائدة المقدسة (١) ويطوق المذبـــح حجاب سميك يطلق عليه اسم : حامل الأيقونات . وبفحص الرسومات التخطيطية نلاحظ أن الحجاب به باب رئيسى ، وعلى كل من جانبيـــه شباك صغير . ويوجد أحياناً بابان بينهما شباك صغير . ولا أستطيع أن اقدم سبباً لتفضيل اى من الأسلوبين على الأسلوب الآخر .

= وصفها قد تحولت جميعا الى خرائب حتى مستوى الأرضية تقريبا . وليست بينها كنيسة واحدة صالحة للاستعمال . اما الكنائس التى نصفها الآن فان بعضها يستخدم عاديا .

(١) انظر كتاب بتلر : الكنائس القبطية القديمة ـ الجزء الثانى ـ الفصل الأول .

ويصنع الحجاب من الخشب والطوب أو الأحجار وليس له ارتفاع محدد . ولكن ارتفاعه يتجاوز ارتفاع قامة الانسان . وهو يختلف حسب ابعاد الكنيسة ومقدار الثراء ، ففى الكنائس التى بالقاهرة ونقوم بزيارتها كثيراً ، نجد أن الحجاب مصنوع من الخشب وبه زخارف عديدة، اما فى الكنائس الريفية حيث تقل الأموال ، فان الحجاب يبنى من الطوب والأحجار .

وبالمرور من خلال الحجاب (بعد أن نخلع أحذيتنا) ندخل الى الهيكل ، وهو يتضمن كل الجزء من المبنى الذى يقع شرق الحجاب . وقد ينتهى بحنية أو يتخذ شكلا مربعاً . ويوجد فى بعض الكنائس مظلة أو قبة فوق المذبح مصنوعة من الخشب وقائمة اما على أربعة اعمدة صغيرة او على عارضتين خشبيتين أفقيتين تمتدان من الشرق الى الغرب من حائط الى الحائط الآخر وذلك عندما تكون المساحة محدودة . ولا يمكن مشاهدة المذبح الا اذا كان باب الحجاب مفتوحاً . ولكن حتى عندما يكون الباب مفتوحاً فلا يظهر الا القليل .

وفى بعض الحالات عندما تكون الكنيسة من الطراز (أ) البازيليكى ، يوجد باب صغير فى شمال الهيكل ، وآخر فى جنوبه ، يقود كل منهما الى الحجرة المجاورة . ويوجد فى النوبة وبطن الحجر ممر يربط بين الحجرتين خلف الهيكل .

وعلينا أن نتذكر دائماً قول مستر بتلر انه لم يقم بزيارة أية كنائس سوى تلك التى فى القاهرة أو حولها أو فى وادى النطرون . ويحكى لنا بين حين وآخر عن بعض الاختلافات ولكنه كلما اتيحت له الفرصة لفحص اكثر من نموذج كان يمتنع عن مثل هذه العبارات المحددة ولا يستطيع شىء أن يقلل من اهمية وقيمة كتابه الذى رجعت اليه عدة مرات كما سأعود اليه مرات أخرى عديدة .

وكما يذكر هؤلاء الذين درسوا كتاب بتلر ، فان كنائس القاهرة يتكون جناحاها من طابقين، الطابق العلوى للجناح أو الدهليز(اذا أسميناه كذلك) ويطل منه فتحات على داخل الكنيسة ، وهنا تجتمع النساء . والعديد من الكنائس التى وصفناها فى هذا الكتاب لها جناحان من طابقين

ولكن الفتحات التى تطل على الصحن صغيرة . أما الكنيسة التى تخص الرهبان فلا تحتاج الى دهليز للنساء نظراً لاستبعاد الاناث من الكنيسة والديـــر .

ونجد فى الكنائس التى من الطراز (ح) أن جسم الكنيسة ينقسم الى اقسام باستخدام الأحجبة الخشبية أو جدران ساترة . وتوجد المعمودية فى أحد هذه الأقسام . وفى قسم آخر يوجد مكان للنساء ، وهـــكذا . والسبب فى ذلك هو تقلص عدد السكان فى القاهرة القديمة كما يذكـــر مستر بتلر . ان الشرفات العلوية فى كنائس القاهرة قد هجرتها النســـاء المتعبدات وكذلك الصحن الذى تم تقسيمه حسب الطريقة المذكورة حيث يجلس جميع الحاضرين على الأرض . وستبين الرسومات التالية أن تلك الاقسام الفرعية ليست دائما فى نفس مواقعها النسبية . والهيكل هـــو المكان الوحيد الثابت ، أما المعمودية على سبيل المثال فانها تبنى فى أماكن مختلفة ، ولكنها غالباً تقام فى احدى الحجرات الصغيرة المجاورة للهيكل . ولكنها قد تقام أحياناً فى القسم الغربى من الكنيسة كما هو الحال فى كنيسة الملاك ميخائيل فى ادفو (١) او فى ركن قاص كما هو الحال فى الميدامود (٢) . ولا بد من ملاحظة ما اذا كانت المعمودية فى العديد مـــن الحالات لا تمثل شيئا اقحم منذ عهد قريب . واذا كان المبنى يمثل كنيسة لأحد الاديرة فان الأمر لا يتطلب استخدام معمودية . وقد مضى زمن طويل على نهب الأديرة وقد اجهز على العديد منها. ونحن متأكدون من ذلـــك كما هو الحال فى الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج لأنها الآن تعادل كنائس ابروشية . وقد بنيت المنازل فى حرم الكنائس المخربـــة لتعيش فيها عائلات تطالب بالعماد وغيره من الطقوس الكنسية . وقد ازيلت هذه المنازل . وينتشر الفقر والقذارة فى كل جزء من أجزاء المبـــانى القديمة . وفى خلال الاثنى عشر او الأربعة عشر عاماً الأخيرة ، تحسنت الأحوال فى القاهرة والمناطق المجاورة لها ، ولكن التغييـــر فى الريـــف طفيف . وبعد أن نترك اسوان ستكون أول كنيسة نقدم وصفاً لها هى :

---

(١) انظر اللوحة رقم ٣٣ .

(٢) انظر اللوحة رقم ٣٥ .

دير المـلاك ميخـائيل فى ادفـو
(اللوحـة رقم ٣٣ ــ الشكل رقم ١)

يقوم هذا البناء فى غرب ادفو على حافة الصحراء ، ولم أجد له ذكراً فى كتاب « أبو صالح » . وقد عملت الرسم التخطيطى له فى ٢٣ يناير سنة ١٩٠١ .

وتتصل الكنيسة بحوائط من الطوب اللبن عبارة عن أجزاء مبان أقدم من الكنيسة نفسها وقد أبلغنى الكاهن أن الكنيسة التى نراها الآن بنيت منذ سبعين أو ثمانين عاما . ومن المدهش أن نرى أنه حتى ذلك الوقت لم يحدث تغيير فى طراز المبنى عن ذلك الذى استخدم على مدى قرون عديدة ، والكنيسة القبطية التى تقام اليوم تمثل خليطاً من الأشياء هى الأناقة والاعتدال والبهرجة . وقد هجرت الأسطح ذات القباب ، وحلت محلها كمرات غير مصقولة وهى ما قيل عنها انها كمرات مختفية وراء سقف مغطى بالجص الأبيض . ونرى فيها نوافذ كبيرة امتلأت بمربعات من الزجاج الأصفر والأحمر والأزرق اللامع . وليست هناك مهـارة فى اقامة البناء أو جمال فى المحصلة النهائية . واليوم يتم إستـيراد الواح الخشب بكميات كبيرة بحيث يستطيع أى انسان مبتدىء أن يقيم حائطين من الطوب ويضع فوقهما بعض قطع الأخشاب .

ودير الملاك ميخائيل هو أول نموذج أقدمه من الطراز(ج)الذى يختلف عن النموذج البازيليكى ، فالعقود التى تحمل القباب مدببة أما الساحـة التى تتكون من أربعة عقود فقد تجمعت فى شكل مثمن الأضلاع فى الأركان. وارتفعت فوق المثمن حوائط منخفضة مكونة ما يشبه رقبة القبة ، وقـد أقيمت فوقها نوافذ صغيرة . وترتكز القبة نصف الدائرية على رقبـة القبة . واقيمت فيها أيضا فتحات صغيرة (١) . ولا توجد فتحات بهـا زجاج وبذلك فان كمية الضوء الداخلة كافية ، بينما يظهر جمال توزيعها من أعلى . أما المذابح فقد كرست كما يلى :

(أ) الملاك ميخائيل .

(ب) العذراء ، المذبح الرئيسى .

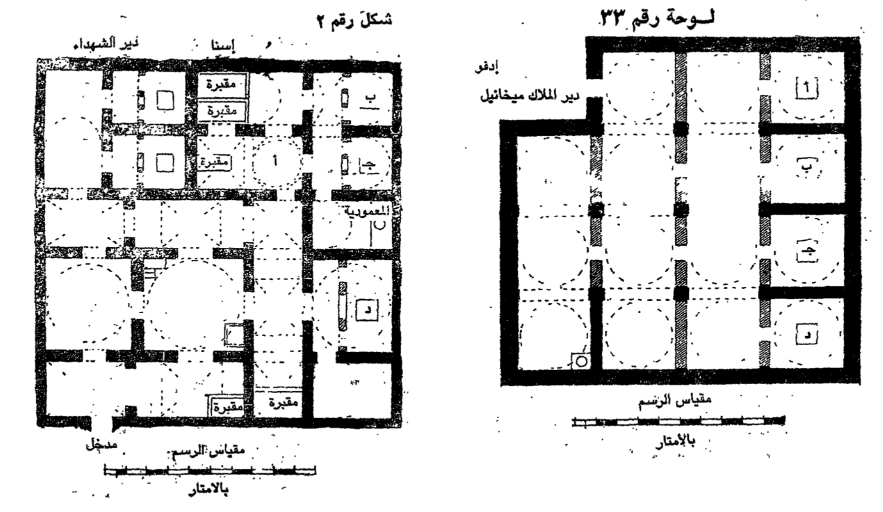
(جـ) القديس باخـوم .

(د) القديس يوحنا . والمعمودية بعيدة عن المذابح فى القسم الذى فى أقصى الغرب من الكنيسة . أما جدران الحجاب التى ترتفـع حتى مستوى بروز العقود فهى صلبة وتشقها المداخل الصغيرة .

---

(١) انظر الشكل رقم ٥ من هذا الكتاب .

لوحة رقم ٣٣



شكل رقم ١
إدفو
دير الملاك ميخائيل
أ
ب
جـ
د
مقياس الرسم
بالأمتار
شكل رقم ٢
دير الشهداء
إسنا
مقبرة
مقبرة
مقبرة
أ
ب
جـ
المعمودية
د
مقبرة
مقبرة
مدخل
مقياس الرسم
بالامتار

واظن ان المكان المخصص للسيدات هو القسم الذى فى اقصى الغرب حسب ترتيب كنائس القاهرة اما القسم الثانى نحو الشرق فقد يكـون مخصصاً للرجال . والقسم الذى يليه فى اتجاه الشرق مخصص للشمامسة واحتفالات الكنيسة . اما ما لا يقدر أن يراه المصلون فى العديد من هـذه المبانى فهو محدود لأنهم يقومون بالمشاركة . والتأثير الداخلى للكنيسة التى تنتمى الى هذا الطراز يبعث بالسعادة ، ويدخل الضوء المنتشر بشكل مفرح من خلال النوافذ العلوية الصغيرة . اما العقود العديدة التى تحمل القباب ، فإنها تعطى احساساً بالضخامة وكذلك الارتفاع الذى يتجاوز المقاييس المجردة للمبنى .

دير مناوس (١) والشهداء فى إسنا
اللوحة رقم ٣٣ ، الشكل رقم ٢

اقامت الامبراطورة هيلانة هذه الكنيسة حسب ما ورد فى التقليد الكنسى واخشى أن تكون هذه الحكاية فى طبيعتها مجرد أمنية من النـاس الأتقياء أكثر منها حقيقة يمكن التثبت منها ، لأن تأسيسها على يد الامبراطورة هيلانة يمثل امتيازاً لكنيستهم ويسعد المسئولين عنها . وكما نرى فان المبنى لا يمكن أن يعود الى ذلك التاريخ وهو يقع الى الجنوب الغربى من اسنا على حافة الأرض المزروعة .

وقد ورد ذكر تكريس كنيسة الشهداء بإسنا فى السنكسار الاثيوبى تحت اليوم التاسع عشر من طوبة ويحتفل بعيدهم فى اليوم التاسع عشر من شهر أبيب .

والحوائط مبنية من الطوب الأحمر . وتقوم الكنيسة فى داخل سياج يبدو فى الرسم التخطيطى مربع الشكل ، وهى ملحقة بالجانب الشرقى من الفناء المسيج ، الذى يوجد داخله خرائب العديد من المبانى التى كانت مبنية بالطوب والتى يبدو أنها بقايا مبان ديرية . وسأقدم وصفاً لها بكلمات فلاديمير دى بوك (٢) :

---

(١) القديس أمونيوس هو أسقف شهيد استشهد فى عصر دقلديانوس ويقال انه دفن فى قرية الشيخ عبادة ، وهى القرية المجاورة لموقع انتنوى .

(٢) 'L'intérieur du rectangle, formé par les murs d'enceinte du couvent et mesurant à peu près 150 pas sur change côté, présente, comme tous les couvents coptes un dédale de petites constructions voûtées en berceau ou surmintées de couples et entourant l'église et un baptisère. Toutes ces cimstructionss dont une partie a dû servir d'habitations et de communs, remplissent le coté ouest du rectangle. Le côté est occupé par une cour dans laquelle se trouve une *saquieh*, =

ويستمر مستر دى بوك فى وصف الزخارف العديدة التى بقيت على الجدران ولكنها مشوهة بشكل يؤسف له . وقد وجد تاريخ احداهـــا مدونا فوقها وهى تعود الى سنة ٥٠٢ للشهداء اى سنة ٧٨٦ ميلادية . اما المسقط الافقى للكنيسة فهو يختلف عن الكنائس التى فى ادفو . وهو يندرج تحت الطراز (ب) ولكن بحجم كبير . ويبدو أن حجمه قد زاد بمقدار الضعف . والمبنى الأول هو الواقع فى الجنوب الشرقى ويرتبط به المذبح الرئيسى ، والمبنى الثانى الذى به مذبحان ، ملاصق للشمال الشرقى . اما المبنى الثالث الذى به مذبحان فانه يقع غرب الثانى . واخيراً فـــان التعديلات قد جمعت الثلاثة فى رسم تخطيطى مختلط ووضعوا فى داخل مستطيل .

• وندخل فى الجنوب الغربى ونجد انفسنا فى داخل الجناح الجنوبى . وهناك فراغان تغطيهما قبتان شمال ذلك الجناح ، وعلى الخط المحورى الرئيسى . والمبنى الثانى الذى به مذبحان ، ملاصق للشمال الشرقى . المحـــور تخرج منه الهياكل .

وهناك ثلاث حجرات تنفتح من الدهليز المستعرض للكنيسة الأصلية الرئيسية على اتجاه الشرق ويقع الهيكل فى الوسط وبداخله المذبح وهو مفتوح فى الجانب الغربى نحو الدهليز عن طريق عقد واسع ، ولكـــن الحجرات التى فى الشمال والجنوب لا تظهر منها أية فتحات نحو الغرب كما هو متوقع وقد بنيت المعمودية فى الحجرة الشمالية . ونلاحظ أن العقود التى على خط المحور وجميع الحجرات الأخرى تقريبا صغيرة الحجم ، وهى الآن اكبر من الداخل . والحوائط غير سميكة فى كل مكان ، واشك فى

= fournissant l'eau au couvent, et un long couloir vouté près de la port d'entrée.

'Le baptistère, separt de l'église par un long passage à récouvert, est formé par une assez grande chambre carrée avec un grand font de baptême destiné aux personnes adultes. La couple qui recouvrait le baptistère s'est effondrée. Deux rangée de cellules séparées par un couloir voûté sont accolées aux murs ouest du baptistère. Au bout ouest du passage qui sépare l'église du baptistère et des cellules, le mur d'enceinte a une grande porte actuellement murée, bien visible dehors Le long du mur sud du couvent s'étend une longue construction avec voute en berceau. Une construction semblable se rencontre près des murs est ouest de l'église.'

Wladimir de Buck, Matériaux pour servir à l'archéologie de l'Egypte Chértienne, St. Petersbourg, 1901, p. 72.

أنها كانت قادرة على حمل ثقل القباب عند بنائها مع اتساع عقودها وهى متناهية فى الصغر بهذا الشكل .

وبعد عبور الدهليز المستعرض فى اتجاه الشمال ندخل الى ما جازفت بأن أطلق عليه اسم الكنيسة الثانية . وهنا نجد قطعة العمارة الوحيدة المزخرفة فى هذا المكان . وهى عبارة عن القبة الصغيرة المبينة بالرمز (أ) على الرسم . اما الشكل المثمن الأضلاع والزوايا الذى ترتكز عليه القبة فهو محمول على مثلثات ركنية مزينة بمقرنصات ، وجميع عقودها مسطحة الجوانب ، وهى تفاصيل تمثل خصائص العصر الفاطمى . ونجد هنـــا مقبرتين على شكل مبنيين كبيرين من الطوب .

والمذابح مكرسة على اسم : (ب) مارجرجس ، (ج) الست مريم ، (د) الشهداء .

ويلاحظ أن الأحجبة التى تستر الهياكل تنتمى جميعها الى طراز واحد ، ولكل منها مدخلان بينهما فتحة صغيرة . وهذه هى المرة الأولى التى نلتقى فيها بمثل هذا الترتيب ، ولكن القارىء سيتعرف فيما بعد الى نماذج اخرى من نفس الطراز .

والعقود الأصلية التى تحمل القباب جميعها مدببة وهى مكونة مـــن قطع الدائرة . والعديد من العقود التى فى أحجبة المذابح لها عقود مستقيمة الجوانب كما هو موضح بالخطوط المنقطة على الرسم وهذا التكوين من خصائص العصر الفاطمى (انظر الشكل رقم ٢٠) .

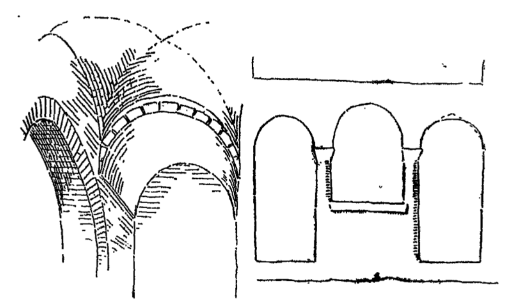
واعتذر لعدم تأكدى من تكريس المذبحين اللذين بالكنيســـة التى فى الشمال الغربى ، حيث يوجد فى الركـــن الشمالى الغربى وتحت القبة المركزية للكنيسة تكوين من الطوب اللبن والجص هو المنبر .

وربما أثارت الطريقة البارعة التى قسمت بها السقوف المقببة فى شمال وشرق وجنوب القبة المركزية الانتباه من حيث وجهة النظر المعمارية . وقد بنيت جميع العقود والقباب من الطوب اللبن واقيمت بدون استخدام السقالات التى نظن أنها ضرورية . ومن السهل بناء قبو أسطـــوانى أو تغطية فضاء مربع ، سواء باقامة قبة أو قبو متقاطع ولكن الصعوبة ظهرت

فى هذه الكنيسة فقد ارتفعت العقود التى ارتكزت عليها القبة المركزية عالية بالنسبة لمرور تيجانها أسفل بروز القبو المستمر فوق الدهاليز التى فى الشمال والشرق والجنوب . وقد تغلب البناءون على هذه الصعوبة عندما بدأوا باقامة قبو أسطوانى عند كلا طرفى الدهليز ، واختصار الفضاء الذى بين العقدين الى مربع ، وبعد ذلك بدأوا فى اقامة العقد المتقاطع ذى القاعدة المربعة ، وبذلك تغلبوا على المشكلة (الشكل رقم ٢١) . وفى حالات قليلة نرى القباب فى الرسم التخطيطى بيضوية الشكل تقريباً ، حيث يتجاوز طول المحور الأطول طول المحور الأقصر بمقدار مرة ونصف المرة ، ولذلك فان النظر اليهما غير مريح بالاضافة الى صعوبة بنائهما ، لأن الطريقة السهلة المثلة فى استخدام الخيط والعقدة التى وصفناها فى الفصل الثانى لم تستخدم هنا .

وأود أن ألفت الانتباه الى التشابه الموجود بين الكنيسة الأولى (كما اسميها) فى هذه المجموعة التى فى إسنا والمسقط الأفقى (اللوحة رقم ٢٠ ، الشكل رقم ٢) للكنيسة التى فى المضيق بالنوبة . وفى مدينة إسنا بالقرب من مكتب البريد توجد كنيسة قيل لى انها حديثة البناء ، وربما كان ذلك صحيحاً بالنظر الى مظهرها المتواضع .

واننى أقدم وصفاً لها لأنها عينة لما حدث نتيجة اهتزاز التأثير الأوربى القوى ، والقدرة على الحصول على الالواح الخشبية التى حملتها السفن من البحر الأسود والأماكن الأخرى . ويغطى البناء حوالى نفس المنطقة التى تغطيها الكنيسة التى وصفناها فى ادفو . وفى الداخل ثلاثة حوائط تمتد من الشمال الى الجنوب على مسافات تبلغ كل منها اربعة امتار بين الحائط والآخر ، وتبرز من كل حائط ثلاثة عقود . أما الفراغ الذى تنفتح عليه العقود التى فى أقصى الشرق فينقسم عن طريق استخدام الحوائط الى كنائس صغيرة بكل منها حجاب من الخشب الغليظ يتوسطه المدخل . وقد أقيم القسمان اللذان يخصان النساء والرجال بواسطة حواجز من الخشب . والمبنى غير مقبى ، ولكن الفراغات التى بين العقود مغطاة بجذوع النخيل التى تحمل طبقة من البوص فوقها طبقة من الطوب اللبن وطمى النيل . وقد تركت ثقوب هنا وهناك لادخال الضوء .



شكل رقم ٢٠ : حجاب الهيكل فى اسنا شكل رقم ٢١ سقف مقبى فى اسـنا .

دير الشهيد تادرس المحارب بمدينة هابو
لوحة رقم ٣٤ ، الشكلان ١ ، ٢

تقع هذه الكنيسة منفردة فى الصحراء الى الجنوب قليلا من معبد مدينة هابو (١) ، وتبتعد قليلا عن الأرض الزراعية التى تقع فى شرقها .

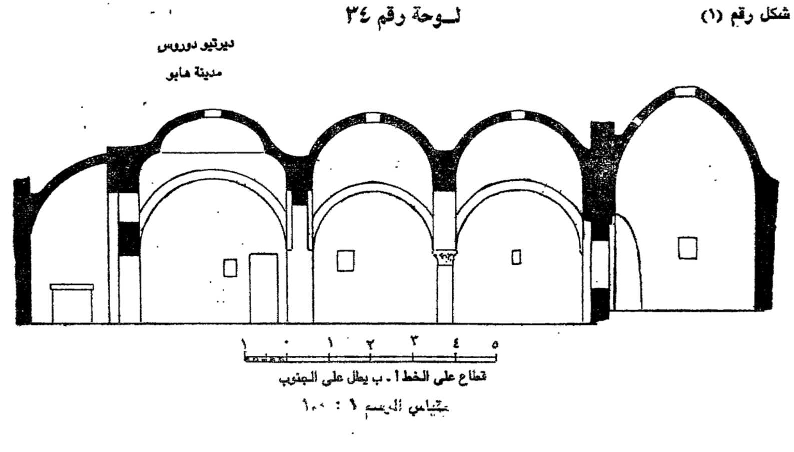
وقد تم اجراء مقاسات المسقط الأفقى فى ١٩ مارس سنة ١٩٠١ وهو يمثل نموذجاً جيداً للطراز (ج) ويتكون من نواة مستطيلة الشكل ربما كانت هى المبنى الأول وقد اضيفت اليه حجرة فى الجنوب الشرقى وجناح فى الغرب . اما طبقة الجص الأبيض الذى على الجدران ، فإن حالتها جيدة جداً سواء من الداخل او الخارج . وقد اكتشفت — بسبب الزيارات العديدة التى قمت بها — بعض الروابط المستقيمة ، واذا كنت مصيباً فلا بد أنها تمتد مع وصلات القطع القديمة والجديدة فى البناء .

ويتكون السقف من سلسلة من القباب تستند فى معظمها على عقود تبرز من مستوى منخفض لا يزيد على ١٫٧٥ متراً من الأرضية . ويلاحظ أن هناك اربعة هياكل فى ناحية الشرق وهى بالرغم من انها مستطيلة

(١) نقول لفائدة هؤلاء الذين لم يزوروا اطلال طيبة ، ان معبد مدينة هابو الذى بناه رمسيس الثالث يقع على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة الاقصر ، ويمثل واحدا من مجموعة المعابد والمقابر التى أعطت الشهرة لهذا المكان .

شكل رقم (١)

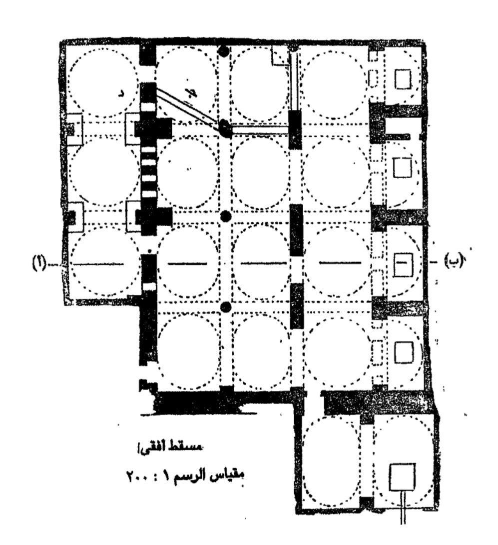
لـوحة رقم ٣٤



قطاع على الخط أ - ب يطل على الجنوب

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل رقم (٢)



فى الرسم التخطيطى الا انها مسقوفة بانصاف قباب ، وان الاحجبــة ليست كلها متشابهة فان اثنين منها لكل منهما باب فى الوسط ، بينما نجد بابين فى كل من الحجابين الآخرين . ويتكون كل حجاب من حائط ويدون فاصل او حاجز خشبى . والسلسلة الأولى من القباب التى تقع غــرب المذبح مباشرة بها عقود حاملة ، ترتكز ليس على دعامات أو اعمدة بل على ما يشبه قطعاً من الجدران ، تبرز منها عقود تنفتح مباشرة عــلى الأجنحة التى فى الغرب ، وترتكز قباب هذا الجزء من الكنيسة وعقودها الحاملة على اعمدة من الحجر الصلب لها تيجان مشكلة بطريقة بدائية على شكل اوراق الشجر . وقد علمت أن الجناح الغربى قد أضيــف مؤخراً كمكان للنساء حيث تبرز الفتحات من الحائط الغربى الأصــلى للكنيســـة .

ولا بد ان الحجاب (ج) المبنى من الطوب ، الذى يمثل الجزء العلوى من البناء المفتوح قد اقيم مائلا وبذلك اصبح المنظر الذى يبدو من الفتحة فى اتجاه الهياكل غير متقطع . ويلاحظ أن المعمودية موضوعة فى الحيز الذى يشكله هذا الحجاب . والأحجبة مبنية كلها من الحجارة والعديد من الاحجار تحمل صلباناً بالنقش الغائر البدائى .

ويتم الوصول الى المبنى المقبى فى الجنوب الشرقى من خــلال الكنيسة وحدها . وفى داخله خزان غاطس فى الأرضية يملأ من الخارج. وينحصر الحائطان الشرقى والشمالى داخل جدران تحيط بمنطقة مربعة الشكل بها حجرات متفرقة وحجرات أخرى صغيرة ذات طابع شخصى، وهى كلها متربة وخربة ومهجورة .

ويلاحظ أن بعض القباب التى تغطى هذه الكنيسة غير مستديرة ؛ ولكنها ذات محور اطول من المحور الآخر . والمبنى مضــاء من خــلال الفتحات التى فى القباب . وهو يعطى احساساً بديعاً ، وبالرغم مــن عدم وجود شىء يفوق بساطة الداخل المطلى بالجير المائى ، الا أن العديد من المبانى الطموحة لا تصل الى نصف هذه الروعة .

والمذابح مكرسة على اسماء : العذراء ، واقلاديوس (ابن أخت تادرس) والملاك ميخائيل .

دير القديس باخوم ــ الميدامود
اللوحة رقم ٣٥ شكل (١ ، ٢)

تقع هذه الكنيسة شمال شرق خرائب معبد الكرنك العظيم ، وهى تنتمى الى الطراز (جـ) وتعتبر من أكثر نماذج هذا الطراز غرابة ؛ لأن بها ما لا يقل عن خمسة مذابح فى صف واحد ، ويبدو أن المبنى كان بهـذا الترتيب منذ البداية . أما التأثير الداخلى فهو واضح من الشكل رقم ٢٢ . وهناك فى (جـ) مدخل السيدات ويحدد مكانهن حاجز من أشغال الخشب وبذلك يبتعدن عن المذبح الرئيسى وهو الأوسط من بين المذابح الخمسة . وتقع المعمودية فى القسم الخاص بهن من الكنيسة . وهناك احتياج كبير للتنظيم والتطابق بين الجناحين اللذين فى اقصى الغـربـ والجناح الذى ينفتح عليه الهيكل . ويرتفع الحائط الذى تبـرز منـه الفتحات وبعض المنافذ ، بقدر الارتفاع الذى تنطلق عنده العقـود ، ونتيجة لذلك ؛ فإن الكنيسة لا تبدو للعين منقسمة الى قسـمين كما هو ظاهر فى الرسم التخطيطى .

وقد بنيت الأجحبة جميعها من الحجارة وأبوابها فى الوسط . وقد أقيم البناء من الطوب الأحمر المخلوط بالمونة الطينية . وقد طلى جـزء صغير من الحوائط الداخلية بالجص فيما عدا القباب . وقد بنيت فى الحوائط هنا وهناك بعض الأحجار التى نقشت عليها الصلبان . ويدخل الضوء من أعلى عن طريق نوافذ صغيرة أو فتحات فى القباب .

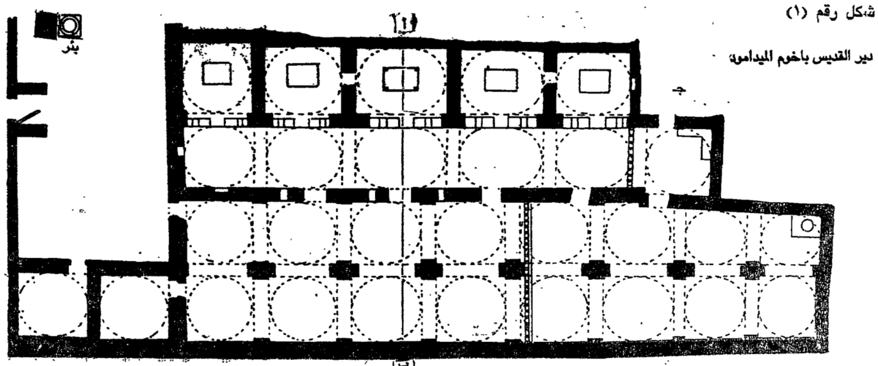


شكل رقم ٢٢ : دير باخوم فى الميدامود

لـوحة رقم ٣٥

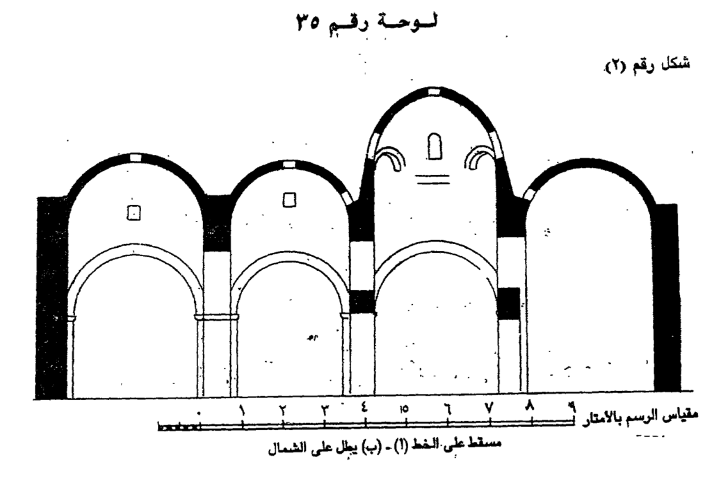
شكل رقم (١)

دير القديس باخوم الميدامود



لوحة رقم ٣٥

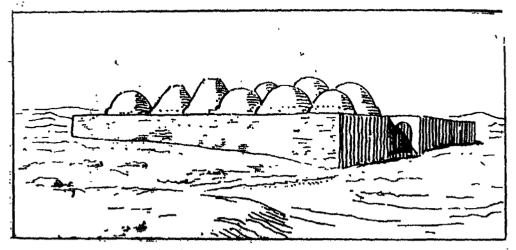
شكل رقم (٢)



مسقط على الخط (أ) - (ب) يطل على الشمال

وتوجد فوق المذبح الذى فى الهيكل الرئيسى قبة أو مظلة من الخشب، على قاعدة مربعة . اما الأعمدة التى ترتكز عليها فانها قائمة بجوار المذبح مباشرة . ومن الصعب المرور بين المذبح ودعامات المظلة . وهى تنتهى فى أعلاها على شكل مثمن الأضلاع والزوايا . ويبدو من طرازها وطريقة عملها أنها اقيمت حديثاً . وقد وضعت فى قمة الأعمدة الأربعة وعلى الامتداد بينها قطعة من النسيج على شكل مظلة ثانية للمذبح أسفل المظلة الأولى — حسب ما رأيته عند زيارتى للكنيسة ، وكان المذبح مستخدماً عند كتابتى لهذه البيانات . ولست متأكداً مما اذا كانت هذه المظلة التى من القماش قد وضعت أثناء القداس فقط ام لا .

ويتصل بالكنيسة فناء مستطيل الشكل ومناسب من حيث الحجم . وقد قمت بقياسه فى ١٩ مارس سنة ١٩٠١ .



شكل رقم ٢٣ : دير الملاك ميخائيل فى قامولا

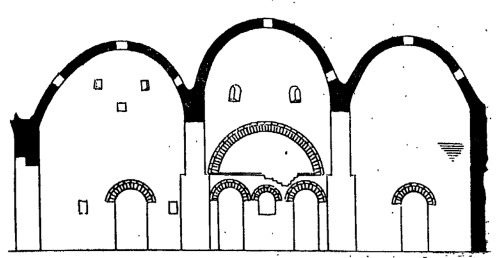
دير الملاك ميخائيل في قامولا
اللوحة رقم ٣٦

تقع هذه الكنيسة على الضفة الغربية للنيل . ويبلغ عرض الأرض المزروعة التى بين ضفة النيل والدير مسافة ملحوظة . وتنتهى الزراعات كما تحدث دائماً ، بشكل فجائى مقابل حافة الصحراء التى ترتفع عدة أمتار ، ونتيجة لذلك تصبح خارج متناول امكانات الرى . وعندما نتقدم قليلا فى الصحراء باتجاه الغرب ، نشاهد أمامنا حوائط السياج المنخفضة المبنية من الطوب اللبن والمخربة بشكل محزن ، وتظهر قباب الكنائس المتواضعة مثل فناجين مقلوبة ، موضوعة فوقها . وتجد منظراً عاماً لها فى الشكل رقم ٢٣ . ويوجد بالقرب من الدير بئر عليها ساقية —

لـوحة رقم ٣٦

شكل رقم (١)

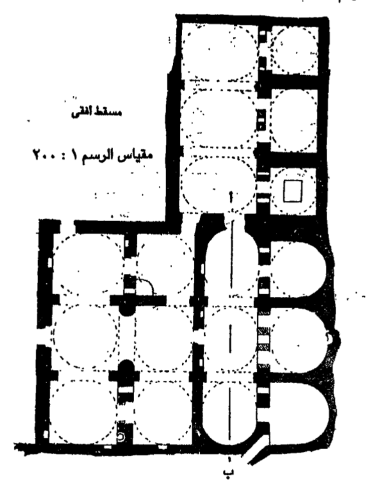
دير الملاك ميخائيل قامولا



قطاع على الخط ا ـ ب

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل رقم (٢)



وتظهر قبور عديدة بالقرب من الناحيتين الجنوبية والشرقية . وهناك كنيستان متجاورتان تقع الكبرى منهما فى الجنوب . وهما مبنيتان من الطوب اللبن وبعض الطوب الأحمر . وتظهر شظيات قليلة من الحجر عليها كتابات هيروغليفية وقد أخذت من بعض المعابد القديمة . وقمت بقياسها فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠١ .

ويلاحظ أن الكنيستين متصلتان عن طريق فجوة فى الحائط . وقد أغلقت هذه الفجوة فى الجانب الشمالى بواسطة عقد ، ولا يوجد فى الجنوب شىء يكشف عن وجود مدخل . والطريق الذى يستخدم فى المرور عبارة عن ثغرة . وكل ذلك يقود الانسان للقول بأن المبنيين لم يتم انشاؤهما فى نفس الفترة الزمنية . وربما كانت الكنيسة الشمالية هى الأحدث . وأسطح الحوائط التى بداخلها غير مطلية بالجص فيما عدا القباب التى من المؤكد انه جرى تجديدها اذ لا يظهر شكلها الأصلى. اما المقطع الأفقى للكنيسة الجنوبية فلم نلتق بمثله من قبل . والحنيات الشرقية الثلاث لا تظهر على الرسم التخطيطى مجوفة وحدها ، بل ايضاً نهايات القسم الثانى من المبانى مجوفة الى الشمال والى الجنوب ، ولا نستطيع ان ننظر اليها مثل نظرتنا الى دير اسوان أو الديرين اللذين فى سوهاج . والأحجبة التى تحيط بالمذابح غير متشابهة . والحجاب الأوسط له بابان بينهما نافذة صغيرة ، وهذا الحجاب لا يرتفع اعلى من مستوى بروز العقد الذى فوقه . اما الهيكلان الجانبيان فهما منفصلان بواسطة حائط ينفذ منه مدخل فى الوسط ، وعلى جانبيه نوافذ صغيرة . وعند زيارتى لم تكن هناك مذابح فى أى من تلك الحنيات . ويلاحظ أن هناك ممراً صغيراً من الهيكل الجنوبى يخرج الى الجنوب الغربى . وقد انتهى الآن فى شكل كومة من الأنقاض .

ويوجد فى الجزء الغربى من الكنيسة الجنوبية مدخل يوصل الى الكنيسة الشمالية وهو مجرد فتحة فى الحائط ، وبعد المرور من خلاله يسهل تقييم حقيقة أن هذه المبانى قد بنيت فى عصور مختلفة ، وربما استطعنا اعتماداً على الطريقة التى فصل بها الجزء الغربى من المبنى عن الجزء الذى يليه شرقاً ، أن نقرر أن تلك الأجزاء من المبنى ربما كانت

هى قسم النساء . وهناك العديد من المعالم فى هذا الجزء من الكنيسة لا أستطيع أن أقدم عنها تفسيراً . وعندما زرت المكان كان يبدو مهجوراً تماماً ، ولكن هناك قاعدة عامة وهى أنه اذا وجدنا الكاهن فى أى مكان بعيد (مثل هذا المكان) فلن يكون سوى فلاح فقير — أى مخلوق متواضع ، متسخ الملابس ، وجاهل ، ولا يعرف شيئاً أو يهتم بشىء ونتيجة لذلك فاننا لا نستطيع ان نحصل منه على معلومات ذات قيمة .

ونجد فى الكنيسة الشمالية أن الحجاب الملاصق للهيكل (الأوسط) قد أقيم داخل عقد وبه بابان بينهما نافذة . أما الهيكلان الشمالى والجنوبى فهما موصدان بالحوائط التى تفصل بينهما فيما عدا المداخل التى فى الوسط . وبجوارهما منافذ جانبية . وهناك مذبح فى الهيكل الجنوبى . وقد وضعت فى الحجاب الأوسط قطعتان مزخرفتان من الحجر يمثل احداهما الشكل رقم ٢٤ .

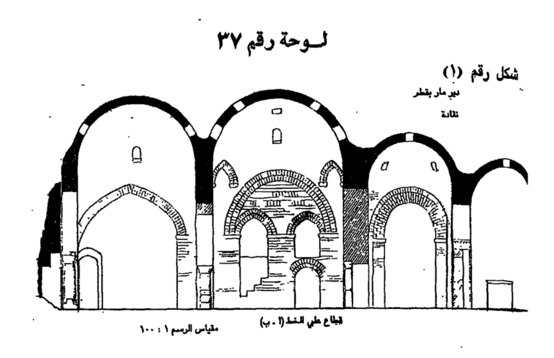
واتذكر أنه كان هناك حجر مزخرف فوق النافذة الصغيرة التى تقع بين البابين وقد نقل منذ حوالى خمس سنوات بمعرفة مدير مصلحة الآثار ، وهو موجود الآن بالمتحف فى القاهرة ، ولكننا لا نتذكر شيئاً عنه لأن هذا المتحف لا يحتوى على بطاقات توصيف للأشياء المعروضة . وقد أبلغنى أحد الرجال النبلاء وكان قد زار هاتين الكنيستين وغيرهما من الكنائس المجاورة سنة ١٨٩٤ واعطانى بعض المعلومات — أن المذابح مكرسة على أسماء القديسين حسب الترتيب التالى : الكنيسة الأولى : الهيكل على اسم الملاك ميخائيل . والمذبح الشمالى على اسم القديس صرابامون ، والمذبح الجنوبى على اسم القديس باخوميوس . والكنيسة الثانية : الهيكل على اسم العذراء . والمذبح الشمالى على اسم مارجرجس . والمذبح الجنوبى على اسم : الأمير تادرس . ولكنه لم يذكر أى الكنيستين هى الأولى وأيهما هى الثانية .

دير مار بقطر
اللوحة رقم ٣٧

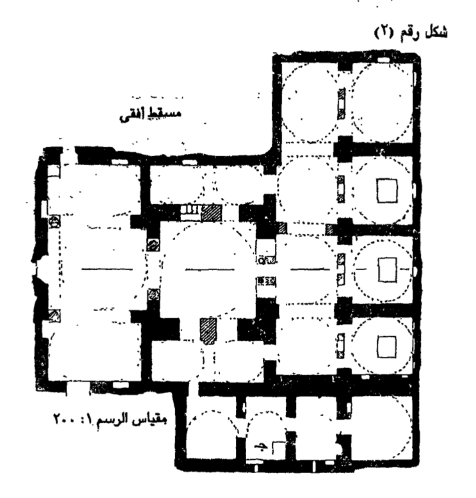
بنيت هذه الكنيسة على مساحة كبيرة بالنسبة للكنيسة الأخيرة ، ويمكن تصنيفها ضمن الطراز (ب) . وقد أقيمت هذه الكنيسة التى تشرف على منظر جميل من وادى النيل فوق حافة بارزة من التلال الصحراوية داخلة فى الأرض الزراعية وترتفع فوقها بحوالى عشرين

لــوحة رقم ٣٧

شكل رقم (١)



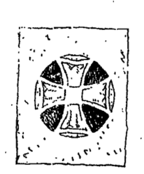
شكل رقم (٢)



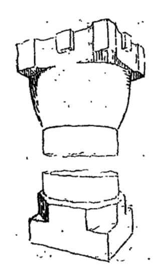
قدماً . وقد بنيت الكنيسة داخل فضاء واسع على شكل مستطيل يحوطه حائط سياج . أما الحوائط والمباني التي في داخله فقد بنيت جميعها من قوالب الطوب اللبن الصغيرة الحجم التي رصت بجانب بعضها البعض مع وضع القليل منها على الحافة . وكلما كانت المباني حديثة ، تأكد الانسان من أن صفوف الطوب المستعرضة قد وضعت مسطحة ، وان الصفوف المستطيلة قد وضعت على حافتها ، وكذلك كلما كانت قوالب الطوب مصنوعة باهمال ، شعرنا بوجود دلائل على وجود آثار قديمة في المبنى . وقد قمت بقياسها في مارس سنة ١٩٠١ .

وعند بناء الكنيسة نفسها اتخذ اجراء احتياطي باستخدام الطوب الأحمر لبناء المداميك الملاصقة للأرض ، التي ترتفع الى مسافة متر تقريباً . ولو لم يتخذ هذا الاجراء لتعرض المبنى لخطر يتمثل في أن الأملاح التي تتشبع بها الأرض قد تحيل قوالب الطوب اللبن الى مسحوق . حقاً ، ليس من المعتاد أن نرى الحجر وربما أيضاً الجرانيت يتفكك تماماً بفعل الأمـــلاح .

وعندما ندخل غرباً سنجد أنفسنا في حجرة ، مربعة على المسقط الأفقي ، ولها جناحان شمالي وجنوبي تنفتح عليهما بواسطـــة عقود . وهذه العقود مدببة (انظر القسم الذي على الخط ا ــ ب) والبروز الغربي لهذه العقود يستند على عمود غير مصقول به تاج مصنوع من الحجر الجيري (انظر الشكل رقم ٢٥) وهذه الأعمدة منفصلة عـــن الحائط . وهناك عقد محمول في وضع مستعرض مقابل الحائط الغربي ويرتكز على الأعمدة . ويوحي مظهر الأشياء بأن النية كانت تتجه الى توسيع الكنيسة في اتجاه الغرب . ومن جهة أخرى ، فان بناء هـــذا الحائط باستخدام قوالب الطوب يجعله حائطاً متراجعاً . أما العارضة الرأسية الشرقية للعقد التي تظهر في هذا القسم ، فقد أعيد بناؤهـــا في وقت ما ، ورفعت القاعدة التي يخرج منها العقد أعلى من مستواها القديم وهي تتساوى الآن مع القواعد التي في القسم الثاني نحو الشرق . ولم ينفذ العقد الخاص بالقسم الأول بهذا الشكل المشوه . ويلاحظ أن هناك عدداً غير عادي من المداخل وليس مدخلا واحداً فقط في الطـــرف الغربي ، بل هناك أيضاً مدخل آخر في كل من الحائطين الشمالي والجنوبي للجناحين ، ومن غير المعتاد وجود باب في الطرف الغربي .



الشكل رقم ٢٤ : حجر مزخرف من دير الملاك ميخائيل فى قامولا



الشكل رقم ٢٥ : تاج عمود مزخرف من دير مار بقطر

اما القباب التى تغطى القسم الغربى وجناحيه فانها لا ترتكز علـى عقود مائلة كما هو الحال فى القبة المركزية .

وقـد برزت قوالب الطوب التى فى الأركان صفا صفا دون الالتزام بخطوط معينة وبذلك اصبح الفضاء المستطيل تحتها جاهزاً لوضع القبة، وهو يظهر على الرسم التخطيطى مستديراً تقريباً .

ويبين الرسم التخطيطى بوضوح إن القبة التى فوق القسم الأوسط تقف على اربع دعائم متينة . والقبة الآن لا تعلو عن القباب المجـاورة لها فى الغرب ولكن من غير المعقول افتراض انها كانت قائمة فوق رقبة قبة فى وقت من الأوقات وأن ثقل البناء الأعلى هو السبب فى وضع الدعائم والجدران التى تسند العقود الأربعة .

وتوجد فى العقد الغربى أعمدة تحمل العقد المبنى فى داخل العقـد الأصلى . وتم سد العقدين الشمالى والجنوبى بدعامة مركزية تحمـل عقوداً فرعية (انظر الرسم) . والعقد الشرقى مسدود بنفس الطريقة

بفتحات طويلة تشبه النوافذ مثل هذين اللذين فى الشمال والجنوب . وهناك أيضاً مدخل يشكل حجاباً مع الفتحات الجانبية . ومن المفروض أن القبة الجانبية قد سقطت بالرغم من هذه الاحتياطات . وبعد ذلك بنيت القبة التى نراها الآن . أما ملء الفتحات لتقوية العقود الذى تم باستخدام قوالب الطوب المستعرضة على حافتها ، فهو يعنى انها تنتمى الى تاريخ لاحق لبناء المبانى الأولى .

وعند العبور فى اتجاه الشرق ندخل الى الفضاء الثالث المقبى ـــ وهنا نجد أن العقد الشمالى فقط هو الذى تمت تقويته بوضع قوالب الطوب . وينفتح الجناح الشرقى بالعقود على ثلاثة هياكل صغيرة ، وقد بنى حجاب كل هيكل بالطوب ، وأضيف اليه بابان فى وسطهما نافذة . ووضعت المعمودية فى حجرة صغيرة فى الجنوب (ج) . وهناك هيكل رابع الى شمال الهياكل الثلاثة التى ذكرناها ، أضيف اليه حجاب من نفس طراز الهياكل الأخرى . وقد لا يعتبر ذلك اضبافة الى المبنى الأول . ونلاحظ فى الرسم وجود عقد حامل تحت القبة الرئيسية ، امتلأ أسفله بعدد من درجات سلم . ومن المحتمل أن تؤدى هذه الدرجات الى المنبر ولكننا لا نرى أثراً لهذه القطعة من الأثاث . وتوجد على الدعامة الجنوبية الغربية تحت القبة بقايا متناثرة لرسوم جصية . ويمكن تتبع أثر رسم لشخصين تحيط بكل منهما هالة وبعض الحروف اليونانية التى تتكون منها كلمة (قدوس) .

والمذابح الموجودة فى هذه الكنيسة مكرسة علي أسماء القديسين بهذا الترتيب : الهيكل باسم القديس مار بقطر ـــ الملاك ميخائيل ـــ العذراء ـــ مارمينا .

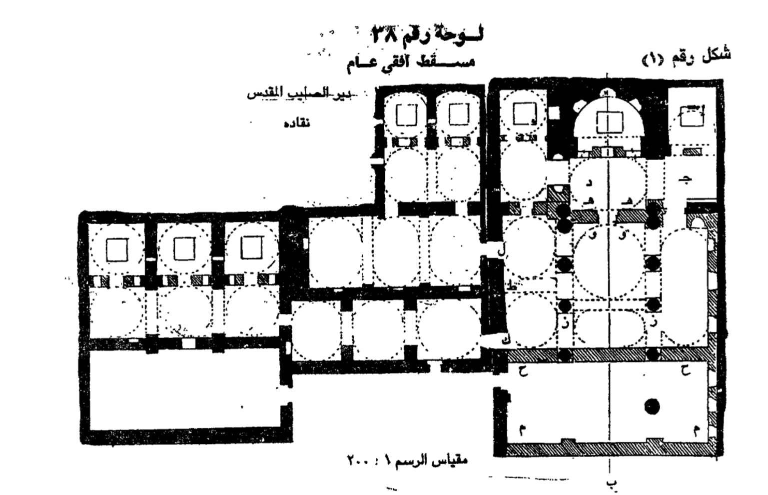
دير الصليب المقدس
(اللوحة رقم ٣٨)

بعد أن ركبنا الدواب لمدة ساعة فى خط مباشر من النيل عند العرابة، وصلنا الى حافة الصحراء التى ترتفع قليلا عن سطح الأرض المزروعة التى كنا نعبرها . واتجهنا نحو مجموعة من الكنائس . وهناك حائط سياج مستطيل الشكل تقريباً يضم أربعاً منها . وقد بنيت اثنتان مقابل الحائط الشرقى للسياج ، وبنيت واحدة أخرى مقابل هاتين الاثنتين .

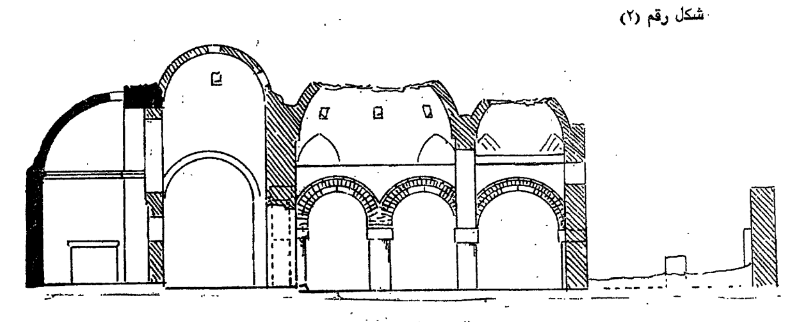
لوحة رقم ٣٨

مسقط أفقي عام

شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



قطاع على الخط (أ - ب)
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

اما الرابعة التى أعيد بناؤها حديثاً فانها تتلامس مع الحائطين الغربى والجنوبى . وكان الكاهن والحارس غائبين ولذلك قمنا بتسلق الحائط . ولم يستطع أحد أن يدلنا على أسماء الكنائس فيما عدا رجلا عجوزاً أكد لنا أن الكنيستين الغربيتين هما كنيسة الصليب والأنبا شنودة . وقمت بقياسهما فى مارس سنة ١٩٠١ .

وتقع مجموعة أخرى من الكنائس قريبة من الحائط الشرقى وتسمى « دير أبو الليف » . ويتضمن الرسم التخطيطى لدير الصليب ثلاث كنائس فى صف واحد ، أهمها تلك الموجودة فى الجنوب . وهى تختلف عن تلك التى ذكرناها فى الرسومات التخطيطية التى وصفناها مؤخراً .

وهنا نجد كنيسة من الطراز (أ) البازيليكى ، ولكن اجريت عليها تغييرات تالية للبناء الأول والغرض من هذه التغييرات هو احلال القباب المبنية من الطوب محل السقف الخشبى الأصلى . ويتكون البناء المقام بالطوب اللبن من هيكل ذى حنية بجواره آخران مربعان الى الشمال والى الجنوب منه . وينفتح الهيكل الرئيسى نحو الغرب عن طريق عقد ، ما زال جانباه البارزان عند ارتفاع ٧٥ر. متراً موجودين ، وما زالت على أسطحهما المطلية أشكال أشخاص ملونة من القدمين حتى مستوى الكتفين . وقد اغلق هذا الهيكل الآن بحائط من الطوب الأحمر اقيم لكى يحمل القبة . وفى أسفله بابان بينهما نافذة . وهناك شرقية مشوهة لا تصل الى الأرضية خلف المذبح ، وايضاً جنيتان رديئتا الصنع على كلا الجانبين .

والهيكل الجنوبى الصغير شديد الانخفاض ، ومغطى بقبو اسطوانى . أما الهيكل الشمالى الصغير فليس بمثل هذا الانخفاض وقد سقطت قبته فى داخله . وهذان الهيكلان الصغيران بهما حجابان من الطوب تنفذ الأبواب من كل منهما . أما الفضاء الذى يقع فى غرب الهيكل فقد أغلق الآن من ناحية الصحن بحائط ينفذ منه مدخل . ويظهر هذا الحائط مع الحوائط الاضافية الاخرى على الرسم التخطيطى باستخدام تظليل مختلف عن الحوائط الأصلية المبينة باللون الأسود الثقيل . وتحمل

الدعامة المبنية بالطوب فى الطرف الشرقى من مجموعة الأعمدة المزدوجه الجنوبية ، عقداً اضافياً يبلغ سمكه ضعفى سمك العقد الأصلى الذى مازال ظاهراً فوقه . وتتناسب القبة فى النقطة (جـ) مع العقد الأحدث . أما الجدران التى فى شرق وغرب وجنوب الهيكل الصغير (جـ) فمازالت تحمل آثارا قليلة من الزخرفة فوق طبقة من الجص الأبيض . وتظهـر هنا هالة نورانية وبعض الحروف المتناثرة ، وبطنية العقد مزخرفـة بنقوش معاصرة لتلك التى على جدران الفضاء (جـ) . أما العقد المفروض أنه كان موجوداً على الجانب الشمالى للمساحة الخالية (د) فهو غير ظاهر . ونرى الآن فقط الحائط الاضافى وينفذ منه مدخل . أما الأعمدة (هـ) فان كلا منها يتكون من حجرين ، ويبلغ ارتفاعها حـوالى ٢٫٢٠ متراً ، تحيط بها كتلة مربعة يبلغ ارتفاعها ٣٥ر. متراً . وهى مبنيـة بالحجر الرملى ، والجزء السفلى منها محاط بكمية من بقايا قوالب الطوب المكسورة . . وهذه الأعمدة وهى الأطول من سـائر الأعمـدة التى فى الكنيسة ، تحمل قوس النصر الذى يظهر منه بعض قوالب الطـوب البارزة . وقد أفسح العقد مكاناً للحائط (و) .

وبالمرور من المدخل الذى فى الحائط الاضافى الى الجانب الغربى ، ندخل الى الصحن الذى يتكون الآن من ثلاث فسحات طولياً . وربما كانت فيما مضى خمس فسحات أو اكثر . وهو ينفصل عن الجناحين بواسطة ممر تعلوه البواكى ، يتكون من عقود تامة ترتكز على أعمـدة أسطوانية من الحجر الرملى تم تشكيلها بطريقة فظة . وتحيط بها كتل مربعة غير مصقولة ، حيث انها طبقة حجرية فوق الأعمدة تركب فيها العقود التى تظهر فوق البناء الحجرى . والمساحات الفضاء بين الأعمدة غير منتظمة . وقد وضع الآن عقد مدبب معتمد على الأعمدة (ز — ز) عبر الصحن ليحمل القبة . وهناك قبة ثانية تظهر فى المسقط الأفقـى مستطيلة الشكل وقد بنيت فوق المساحة الفضاء التالية فى اتجاه الغرب، وهى ترتكز فى جانبها الغربى على الحائط (ح) الذى أغلق به طـرف الكنيسة . وقد نقص طوله بسبب المساحتين الفضاء .

وكان الجناح الجنوبى مسقوفاً فى الأصل بقبو أسطوانى طويل . وحل محله فى تاريخ لاحق سقف به أنصاف قباب فى الطرفين الشرقى

والغربى ، وقبو اسطوانى فى الوسط . وكما يظهر من الرسم التخطيطى فقد وضع البناء الذى اقيم بقوالب الطوب فى شكل واجهة داخلية فى مواجهة الحائط الجنوبى الأصلى لهذا الجناح . اما الجناح الشمالى فانه مغطى بعقد مدبب (ط ـ ط) يساعد فى حمل قبتين .

وربما كان المدخل الذى فى (ك) اصليا . وهو الآن اكبر من ان يكون مجرد ثغرة . ولا شك أن الفتحة التى فى (ل) تبدو اصلية . اما الحائط (م ـ م) فهو مبنى بقوالب الطوب الصغيرة بطريقة سيئة ، ويبدو انه اقيم حديثاً وهو مجهز لوضع عقود الممر الذى تعلوه البواكى والذى تحول الآن الى انقاض . ونظراً لأنه قليل السمك فلا يمكن ان يقاوم ضغط العقود .

وقد جازفت بالدخول فى التفاصيل التى ارجو الا تكون بالغة الاسهاب فيما يتعلق بالطريقة التى تم بها تغيير سقف هذا المبنى ؛ لأنه أول نموذج نلتقى به من تلك النماذج التى تميزت بها هذه الكنيسة وغيرها من الكنائس فى وادى النيل ، ومن السهل تقدير ذلك . ومع صغر هذا المبنى ، فان السقف المصنوع من الواح الخشب المربوطة ببعضها بشكل جيد قد لا يحتمل الا القليل ولكنه لا يمثل ضغطاً على الجدران . ان السقف المكون من القباب المبنية بالطوب والتى تستند على العقود ، يتطلب تغييراً كبيراً فى البناء الحامل ، اما العقود الثقيلة فى حد ذاتها التى تمثل ضغطاً شديداً ، فهى محمولة على دعائم مما يعطى مقاومة للضغط الى حد ما . وعندما نصف الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج (١) ودير (ابو حنس) (٢) بالقرب من الشيخ عبادة (انتنوى) سنزداد معرفة فيما يتعلق بالتغييرات الجذرية التى كان من الضرورى تنفيذها لحمل السقوف المقببة . وقد تم التعامل مع بعض كنائس مصر القديمة بنفس هذه الطريقة ، ومنها على سبيل المثال كنيسة (ابو سيفين) حيث نجد ان الدعائم الحجرية الثقيلة قد اقيمت لحمل القباب التى لم يتم بناؤها بعد ، وكنيسة القديسة بربارة حيث اقيمت

---

(١) انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٥١ .

(٢) انظر اللوحتين رقم ٥٤ ، ٥٦ .

قبة من الخشب المطلى بالجص منذ حوالى ثلاثين عاماً مضت . لقد أطبقت الأعمدة أو الدعائم الصغيرة المقامة من الطوب على كتل كبيرة من الأحجار ، بينما نرى التأثير العلوى مختلفاً تماماً لأن السقف الخشبى قد أخلى مكانا لسلسلة من القباب . ويقدم لنا أبو صالح تفاصيل متفرقة عن تدمير السقوف الخشبية واحلال القباب والعقود المقببة محلها . واليك بعض الأمثلة : ص ١٠٦ : دير وكنيسة القديس مينا : « فى شهر جمادى الأولى سنة ٥٥٩ عندما حضر الكرد والغز مع صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وطلبت مساعدة ملك الفرنجة لمواجهتهم ، أحرق هذا الدير وهذه الكنيسة حتى مستوى الأرضية فيما عدا الشرقية والجانبين الشمالى والجنوبى من الهيكل فقد بقيت سليمة بالتمام ، ثم أعيد بناؤها وأعيد بناء القباب والعقود والدعائم (أقيمت) بدلا من الأعمدة الرخامية » .

ص ١٨٦ : دير ناهية : « دمر السوس أخشاب هذا الدير والكنيسة ولذلك تم تنكيسهما على نفقة ذلك السيد الذى بنى سقفاً مقبباً بدلا من السقف الخشبى ، وأقام الأعمدة داخل الدعائم (من الحجارة) ، ولم يبق منها ظاهراً الا عمودان قديمان من الجرانيت امام صورة السيدة العذراء الطاهرة » .

ص ٢٣٤ : قوص : « كانت هناك فى مقاطعة مارا العربية ، كنيسة باسم القديس العظيم الشهيد مارجرجس ، وفى هذه الكنيسة التى فى مارا حل سقف جديد محل السقف المصنوع من الالواح الخشبية » . وهكذا نرى أن الكنائس لم تخش العنف والحريق وحدهما بل أيضاً هجمات السوس ، وكذلك النمل الأبيض الذى اثبت فى بعض الأماكن وتحت ظروف معينة قدرته على احداث دمار شديد . ولا بد وأن تكون لهذه الكنيسة قيمة أثرية كبيرة حيث ان النقوش الهيروغليفية التى تظهر على الأعمدة تبين أنها لم تنشأ الا بعد السماح بتخريب المعابد . ولكن يتضح لنا من جهة أخرى أنها قد واجهت تخريباً فعلياً ، حيث نجد على السطح الذى طلى حديثا فوق الطلاء القديم ، نقوشاً تنتمى الى طراز موغل فى القدم .

ونجد فى مقابل البناء الذى وصفناه مؤخراً وفى الجانب الشمالى منه كنيسة ثانية ، لا يمكن الدخول اليها الا عن طريق الكنيسة الأولى . وهناك حجرتان صغيرتان فى الجانب الشرقى لهما طرفان مستويان ، وفى كل منهما مذبح يحميه حجاب له باب فى الوسط ونافذتان احداهما على اليمين والأخرى على اليسار . أما السقوف المقببة فقد سقطت تقريباً أو انها على وشك السقوط . والمكان مهجور بشكل يؤسف له ، ومن المستحيل أن يعود البناء الى نفس الفترة الزمنية التى تنتسب اليها الكنيسة الجنوبية حيث ان بناء تلك الكنيسة أقل جودة .

وترى فى غرب الكنيسة التى وصفناها مؤخراً ممراً ينفتح من الجناح الشمالى للكنيسة التى وصفناها أولا ويقود الى كنيسة ثالثة فى ناحية الشمال . وهنا نجد حجرة مستطيلة تحدها عقود مدببة وهى ضيقة وذات جوانب مسطحة (مبان فاطمية ؟) والعقود تحمل القباب التى سقطت جزئياً . وتنفتح على الجانب الشرقى من هذه الحجرة ثلاث حجرات صغيرة مربعة بكل منها مذبح ، وقد بنى الحجاب فى كل منها بالطوب مع وجود باب فى الوسط . وهناك باب فى الحائط الغربى يقود الى غرفة أخرى محطمة .

وقد قيل لى ان المذابح مكرسة حسب الأسماء الآتية : الكنيسة الجنوبية ابتداء من الجنوب على أسماء القديس كلوديوس ، ومارجرجس ، ورئيس الملائكة جبرائيل . والكنيسة الشمالية على اسم القديس يوحنا ، واسم رئيس الملائكة ميخائيل . أما الصديق الذى أعطانى قائمة هذه الأسماء فى دير الملاك ميخائيل (انظر ما ذكرناه عن دير الملاك ميخائيل) فقد أعطانى أيضاً قائمة تكريس المذابح فى دير الصليب التى حصل عليها بمعرفته . وهى تختلف جذرياً عن القائمة التى عندى . واتخذت هذه القائمة للاسترشاد لأنها جديرة بالاعتبار مثل قائمتى ، ولذلك نشرت قائمته حيث اننى لا أهدف الى تأكيد أقوالى هنا أو فى أى مكان آخر بوصفها صحيحة ولكن لامداد قرائى بكافة المعلومات التى استطيع تجميعها . وهذه هى القائمة :

(أ) كنيسة الصليب المقدس (فى الطرف الجنوبى) : الهيكل الشمالى لمارجرجس ، والأوسط للصليب المقدس ، والجنوبى للرسل .

(ب) الكنيسة الثانية الى الشمال كرست كما يلى : المذبح الشمالى لرئيس الملائكة جبرائيل .

(جـ) شمالا كنيسة القديس يوحنا المعمدان : المذبح الشمالى لرئيس الملائكة ميخائيل والأوسط للقديس يوحنا المعمدان والجنوبى للقديس أوريل .

دير المجمع
(اللوحتان ٣٩ ، ٤٠)

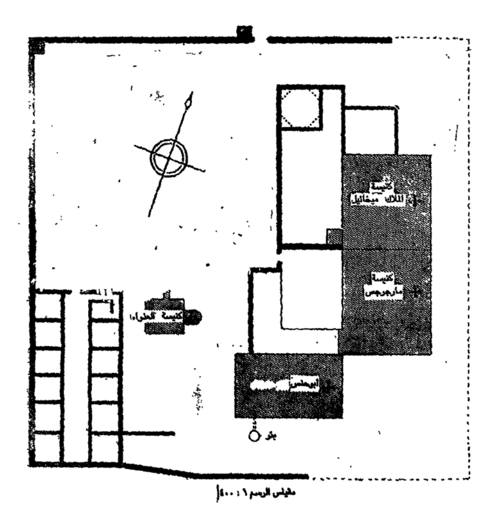
يتكون هذا الدير من مجموعة تشمل أربع كنائس ، ثلاث منها متصلة ببعضها البعض ، والرابعة منفصلة وحدها فى الغرب من الكنائس الثلاث الأخرى ، وهى مدفونة فى أنقاض المبانى المحيطة بها . ويحيط بالمجموعة حائط يبدو مربع الشكل فى الرسم التخطيطى ، وقد بنى بعناية تفوق ما هو معهود فى مثل هذه الحالة . وقد تهدم الحائط فى الجانب الشرقي ، ولكن من السهل تتبع أثره عن طريق خط صغير من بقايا قوالب الطوب . ويقع المدخل فى الشمال . وقد بقيت دعامة صغيرة مبنية بالطوب فى الجانب الغربى ربما كانت قاعدة لبرج صغير لحماية المدخل . وهناك دعامة مشابهة فى الركن الشمالى الغربى للحائط . وقد بنى الحائط بقوالب صغيرة من الطوب اللبن موضوعة بطريقة جيدة .

ويقع الدير على ارتفاع حوالى ستة أمتار فوق سطح الأرض المزروعة على حافة صغيرة من الصخر الجيرى تمتلىء بالعديد من المقابر القديمة . وقد أزيلت الأرض الزراعية عن الدير لمسافة تبلغ عدة مئات من الياردات . ويلاحظ (انظر المقطع الأفقى — اللوحة رقم ٣٩)أن هذا الدير يختلف عن دير الصليب ، فهو ليس مجموعة من الكنائس ، ولكنه تجمع من الكنائس والمبانى مثل تلك التى وصفناها فى دير القديس سمعان بأسوان الا أنها أقل زخرفة . وسنجد مجموعات مشابهة فى الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج ، وكذلك خرائب دير آخر نجده مرسوماً فى اللوحة رقم ٨ . وفى جميع الحالات فان الكنائس غير متصلة بالحائط الشرقى للسور .

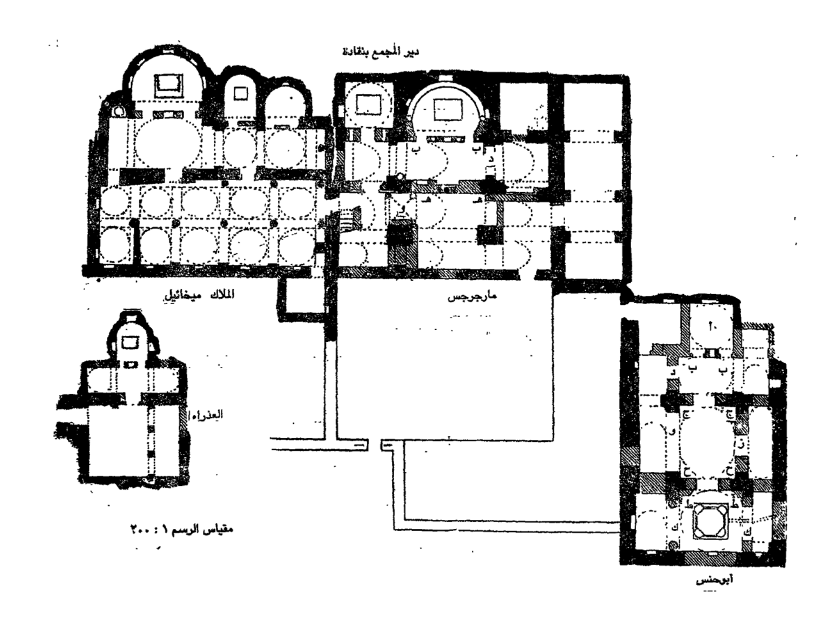
وهناك منطقة محصورة صغيرة يصعب اطلاق اسم (وادى) عليها، تقع مقابل الحائط الجنوبى وهى سبب الميل القليل الذي نراه حيث

ديــر المجمــع

المسقط الأفقى للديــر



مقياس الرسم ١ : ٤٠٠


دير المجمع بنقادة
الملاك ميخائيل
مارجرجس
العذراء
أبوحنس
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

توجد مجموعة الحجرات التى سنقدم وصفاً لها . ونجد هنا بهوا مستطيلاً ممتداً فى الاتجاهين الشمالى والجنوبى وتنفتح منه حجرات على كلا الجانبين ، والجميع مسقوف بعقود من الطوب اللبن (أصبحت الآن خربة) ومبنية من نفس المادة . وكان المدخل موجوداً فى الشمال كما كان هناك سلم الى الشرق من المدخل مباشرة . وسواء ادى هذا السلم الى سقف منبسط فوق القاعات التى تحته ، أو الى طابق أعلى فاننى لن أحاول تخمين هذا أو ذاك ، والرسم التخطيطى لهذه المجموعة المكونة من البهو والحجرات يتفق تماماً مع الرسم التخطيطى للحصن فى دير القديس سمعان بأسوان ، (انظر اللوحة رقم ٣٠) وعلى كل حال فإن الانسان لا يستطيع افتراض أن هذا يشكل جزءاً من (حصن). ان الحوائط غير سميكة ، ولم أستطع اقناع نفسى بوجود طابق علوى. واخيراً ، فإن المبنى لا يحتل الموقع المهيمن على الأرض المحيطة . وتوجد بقايا نافذتين بكل حجرة فى أعلى الحائط . ويلاحظ أن الكنائس فيما عدا الكنيسة الصغرى التى على اسم العذراء ، لها مدخل يغلقه حائط . ونجد أن الكنيسة التى فى الداخل تقترب فى طبيعتها من تلك التى فى الدير .

أما الكنائس الثلاث المتجاورة ، فقد كرست كما يلى : الكنيسة الشمالية على اسم الملاك ميخائيل ، والثانية التى فى الجنوب على اسم مارجرجس ، والثالثة على اسم ابو حنس (القديس يوحنا) . وهناك دلائل قوية على أن الكنائس الثلاث لم تبن فى فترة زمنية واحدة . وقد بنيت كنيسة الملاك ميخائيل مقابل كنيسة مارجرجس . ويختلف الجزء الشرقى من كنيسة الملاك ميخائيل عن الغربى من حيث التشييد . ومرة اخرى ، فإن كنيسة أبو حنس مميزة عن كنيسة مارجرجس .

كنيســة المــلاك ميخــائيل

سنبدأ بكنيسة الملاك ميخائيل وهى مبنية من الطوب اللبن ، وليس لها باب خارجى ولكن يتم الدخول اليها من خلال فتحة فى الحائط الشمالى للصحن بالكنيسة المجاورة وهى كنيسة مارجرجس ، وتقودنا هذه الفتحة الى داخل ممر أو حجرة صغيرة غربية من المحتمل أنها لم تبن على الحائط الغربى لكنيسة الملاك ميخائيل لاغلاق مداخلها . ومن الخطورة تحت مثل هذه الظروف أن نصف المسقط الأفقى لهذه الكنيسة كما نراه

الآن وكأنه فتحة أو تصميم كامل فى حد ذاته ، بينما نستطيع أن نصل فى أمان الى اعتبار المسقط الأفقى لكنيسة مارجرجس كبناء كامل فى حد ذاته .

ونجد فى كنيسة الملاك ميخائيل ممراً شرقياً ممتداً من الشمال الى الجنوب مكوناً من ثلاثة أقسام غير متساوية ، مغطاة بالقباب التى تحملها عقود متقاطعة — والقسم الثانى هو أكبر الأقسام الثلاثة ، وينفتح فى الناحية الشرقية عن طريق عقد على هيكل يظهر فى الرسم التخطيطى أكبر من نصف دائرة . وتتكون حوائطه من خمس حنيات عميقة لا تصل الى مستوى الأرضية ، ويبدو أنها كانت مخصصة فقط للكتب ، وليس لها أى تأثير معمارى . ويوجد بابان فى الحجاب المبنى من الحجارة ونجد فى جنوب هذا الهيكل ، هيكلين آخرين أحدهما مغلق بحجاب من الطوب ، وبه باب فى الوسط ، والآخر بحائط أو حجاب به بابان .

ويوجد فى غرب هذا الجزء من الكنيسة بناء يتكون من قسمين فى الاتجاه الشرقى الغربى وخمسة أقسام فى الاتجاه الشمالى الجنوبى . وتمر بالمركز سلسلة من الأعمدة التى تحمل السقف المقبى . وقد بنى العمود الشمالى من الطوب ، أما بقية الأعمدة المبنية من الحجر فلا يوجد بينها اثنان متشابهان سواء فى الارتفاع أو البعد القطرى ، وتعلوها تيجان ذات أشكال لا تنتمى الى طراز محدد تتراوح أشكالها ما بين المستدير والمربع . وهذه التشكيلة غير المتناسقة من الأعمدة يختلف ارتفاعها ما بين ١,٥ متر الى ٢,١٠ متراً . وتبرز عقود غير سميكة من القرم أو الوسادات الحجرية التى فوق التيجان . وهذه العقود تسند الأقباء التى لا تعتبر قباباً ذات مقطع دائرى حقيقى ، بل تقترب من الشكل المربع .

والجزء الذى وصفناه من الكنيسة غير منفصل تماماً عن الجزء الذى يقع فى الجانب الشرقى ؛ لأن الحائط الفاصل تخرج منه ثلاثة مداخل . أما فى القسم الجنوبى فان هذا الحائط فقط يملأ العقد الذى يحمل السقف المقبى . ويلاحظ انه لا يوجد اتفاق فى مواضع الحمل الواقعة بين المبنيين

الشرقى والغربى ، والسقف المقبى فى المبنى الشرقى أيضاً أكثر ارتفاعاً من السقف المقبى فى المبنى الغربى .

كنيسة مارجرجس

بعد أن نعبر الى الناحية الجنوبية ندخل الى كنيسة مارجرجس من خلال الفتحة السابق ذكرها ، والتى تمتد بين حائطى المبنيين وتصل بنا الى أسفل السلم الشديد الانحدار الذى يقود الى المنبر الذى سنصفه فيما بعد .

ويختلف المسقط الأفقى لهذه الكنيسة تماماً عن ذلك الخاص بكنيسة الملاك ميخائيل الذى وصفناه الآن ، حيث نجد الصحن بجناحيه الشمالى والجنوبى ، ومحرابا ، وغرفة مربعة على كلا الجانبين ، وهى تنتمى الى الطراز البازيليكى .

والبناء مبنى فى معظمه من الطوب اللبن ، بينما بنيت العقود والدعامات من الطوب الأحمر . وقد أسىء استخدام المكان واعيد اصلاحه وتقويته بالدعامات ولكن بطريقة بدائية . وهو الآن خرابة مهجورة . وينتهى الصحن فى الناحية الشرقية بالهيكل الذى يتضمن حنية جيدة التكوين ، واتساعها يتجاوز نصف الدائرة . وهناك قاعدة مربعة منخفضة فوق مستوى الأرضية مباشرة ، مبنية من الطوب ويحتمل أنها كانت مصطبة . ويبين الرسم التخطيطى أن هذه المصطبة لا تسير مع خط حوائط الحنية فى الطرفين الغربيين اللذين يقتربان من بعضهما وبذلك تظهر أرضية الحنية فى الرسم التخطيطى على شكل ثلاثة أرباع دائرة . ويرتكز على هذه المصطبة الآن عمودان (ب ، ب) ولكننى اشك فيما اذا كانا يحتلان موقعهما الأصلى من عدمه . ويبدو انهما يشكلان جزءاً من الحجاب الذى يحيط به . وتوجد شرقية غير عميقة فى الطرف الشرقى للهيكل ولكنها لا تصل الى مستوى المصطبة .

وما زالت اسطح حائط الهيكل تحتفظ بالجص فى بعض الأماكن مع بقايا طلاء جاف . ويستطيع الإنسان أن يميز اشكال بعض الأشخاص الواقفين عن طريق الهالات النورانية . ويظهر ايضاً فوق توقعة حنية

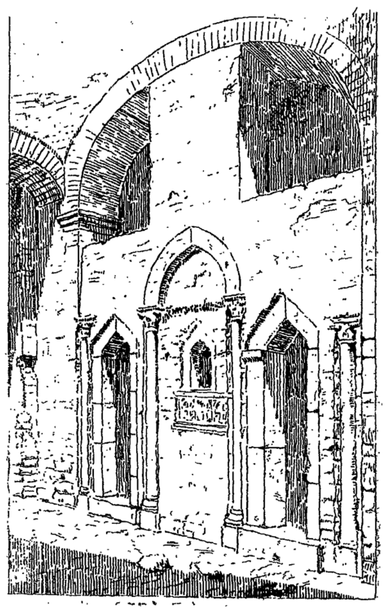
الهيكل نفسها طلاء يبدو أنه يعود الى تاريخ سابق ، ونرى فى داخل دائرة كبيرة منظر السيد المسيح على العرش وقد وضع الكتاب فوق ركبته اليسرى . ونجد أن اليد اليمنى قد تحطمت مع الجزء العلوى من الصورة . وهناك أشخاص على كلا الجانبين ولكنها محطمة بحيث لا يمكن التعرف عليهم . والحجاب ممتاز وينتمى الى الطراز الذى يتكون من بابين بينهما نافذة (انظر الشكلين رقم ٢٦ ، ٢٨) .

وقد بنيت فى الحائط أربعة أعمدة من الحجر الجيرى غير متساوية الطول ، ولها تيجان وقواعد غير مصقولة . ولا أجد دليلا على أن هذه الأعمدة الأربعة قد ارتبطت بأى نوع من الأعتاب ، ويبدو أنها قد استخدمت فقط كدعائم لتقوية الحائط ، وأيضاً للزينة ، وهى مدفونة تقريباً كما يظهر فى الرسم . وقد بنيت مداخل صغيرة فى الأعمدة الجانبية ، بينما غاص عقد مدبب فى واجهة الحائط محيطاً بالنافذة الصغيرة التى تبرز من خلال العمود الأوسط .

وينقسم صحن الكنيسة فى الجهة الغربية من الهيكل الى ثلاثة أقسام تنفتح بالعقود على الجناحين الشمالى والجنوبى . والقسم الذى فى أقصى الشرق أكثر اتساعاً من الشرق الى الغرب عن القسمين اللذين فى غربه . والعقدان الشمالى والجنوبى مسطحان ونتيجة لذلك فانهما يضغطان على دعامات وعقود القسمين المجاورين نحو الغرب . وتظهر الدعامات مستطيلة ومشوهة فى الرسم التخطيطى . وقد بنى سقف الصحن بطريقة لم ألتق بمثلها فى أى مكان آخر (الشكل رقم ٢٧) ، وقد تناثرت العقود عبر الصحن من الشمال الى الجنوب . وبنيت أقباء أسطوانية فوق هذه الدعائم فى الاتجاهين الشمالى والجنوبى . وفتحت نوافذ صغيرة فى الجدران التى تسند هذه الأقباء لتشكل الجزء العلوى من حائط الكنيسة فوق سطح المبنى والذى ينفتح نحو الجناحين . وتمت تغطية كل قسم من أقسام الجناح بقبو أسطوانى . وفكرة هذا البناء مبتكرة وقوية ولكنها فشلت نتيجة للوصلة الناقصة التى فى الطرف الغربى للممر الذى تعلوه البواكى . ولم تنجح التقوية فى اصلاح عيوب التصميم الأصلية . أما العقد الغربى نصف الدائرى فهو مشوه ، وأما العقد الذى ينفتح على الهيكل فهو اهليليجى ، أى بيضى الشكل وشديد

الإتساع وهو الآن مسنود بدعامة بنيت فوق الحجاب (انظر الشكل ٢٦) .

وتظهر الدعامات المختلفة الموضوعة مع الحوائط على الرسم التخطيطى بخطوط مختلفة . وقد طليت الأجزاء المضافة الى الدعامة (د) مع الدعامة نفسها بأشكال مختلفة . وتم اقحام الحاجز (هـ ـ هـ) الذى



(شكل رقم ٢٦ : دير مار جرجس ـ الحجاب)

بنى الجانب الشرقى منه بالطوب وهو غير مطلى . أما الجانب الغربى فهو مغطى بالجص الأبيض الفاخر . ويتميز المدخل الذى يبرز منه والمبنى بالطوب ، بمجموعة من الزخارف فوق العقد المدبب . وهذه الزخارف ملونة باللون الأحمر . وهناك آثار نقوش مع صلبان ملونة فوق سطح الحائط .

وهناك فى الجانب الشمالى من الصحن . وفى القسم الأوسط منه توجد منصة قائمة على أعمدة صغيرة لا شك فى أنها هى المنبر (١) . وتقع أرضيته أعلى من مستوى الرأس ، ويتمشى الانسان تحتها ؛ لكى يعبر شمالا للدخول فى كنيسة مارجرجس . ويوجد أسفلها عمودان بدون تيجان أو قواعد ، وقد بنيت أرضية هذه المنصة من الطوب وهى مسطحة . ويتم الوصول الى المنبر عن طريق سلم فى الجناح الشمالى.

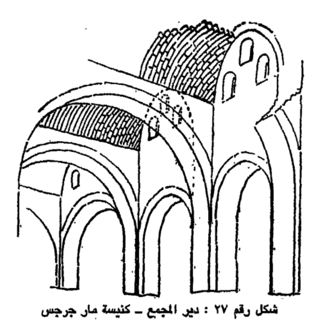
والجناحان الشمالى والجنوبى مزودان فى اتجاه الشرق بحاجزين من الطوب يبرز من كل منهما مدخل مقوس صغير . والجنوبى منهما مسدود تماماً مثل الحاجز الذى فى الشمال ويخفيه المنبر ، والوجه الغربى للحاجز الشمالى مغطى بصفائح عريضة من الحجر الرملى مصفوفة على طرفها . ويكمل المدخل افريز جانبى متصل وعقد مستدير فى أعلاه ومنفصل من كتلة واحدة .

والحائط الغربى للكنيسة غير سميك وغير مزود بأية دعامات أو تحصينات جانبية لمقاومة ضغط العقود فى الشرق وتبرز منه ثلاثة مداخل منها اثنان مغلقان حالياً بالطوب . وتتضمن ملاحظاتى التى دونتها فى هذا الموقع ان : « المبنى قد عدل وتشوه شكله وطمست معالمه حتى انه لا يستحق عمل قطاع أو مسقط رأسى ! فما الأصلى منه ، وما الذى جرى اصلاحه ؟ » .

وهناك شقة مجاورة للكنيسة فى الناحية الجنوبية ، يؤدى اليها مدخل فى القسم الأوسط من الجناح الجنوبى . ولا استطيع القول بأنها اضافة الى الكنيسة أم انها جزء من المبنى الأصلى .

---

(١) انظر (و) على الرسم التوضيحى فى اللوحة رقم ٤٠ .



شكل رقم ٢٧ : دير المجمع ـ كنيسة مار جرجس

كنيسة القديس يوحنا (أبو حنس)

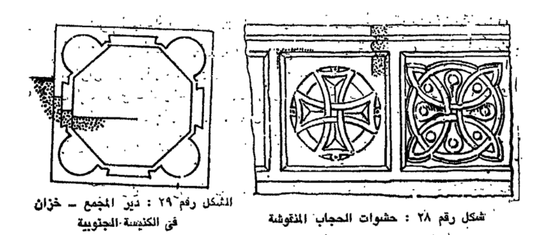
تقوم كنيسة القديس يوحنا فى جنوب المبنى السابق وصفه وتتلامس معه فقط فى الركن الجنوبى الغربى وهذا المبنى قريب الى حد ما من الطراز (ب) ونجد ما يوازى ذلك فى كنيسة مار بقطر التى تحدثنا عنها سابقاً . وقد تعرضت لتعديل جذرى : ذلك أن القسم الشرقى (أ) وهو الهيكل ، والحجاب (ب ب) والعقود التى فوق هذين الجزءين قد أعيد بناؤها جميعاً وربما حدث ذلك منذ عهد قريب .

ويتكون المقطع الأفقى من قسم مركزى يزيد طوله عن عرضه وينفتح على الجوانب الأربعة عن طريق عقود . ويقع الى غربه قسم مربع كما يظهر فى الرسم التخطيطى . ويقع الجناحان شمال وجنوب هذه الأقسام . ولا نستطيع معرفة الموجود فى الشرق ولكنه لا يشبه ذلك الذى أعيد بناؤه حسب الخطوط القديمة ؛ لأنه من المؤكد أن الحائط الشرقى جزء من البناء الأصلى .

ونبدأ بوصف الخطوط الرئيسية للكنيسة . العقد (ج ج) الذى فى القسم الأول مدبب . أما العقد الذى فى (ح ح) فهو تام ، والعقدان (ك ك) مدببان . ويلاحظ أن المبنى يحوى خليطاً من العقود المدببة

والمستديرة يبدو أنها قد استخدمت بالتبادل ، ولكن الانطباع العام الذى يقدمه لنا المبنى والذى ظهر فيما بعد مختلفاً عن الكنائس المجاورة هو أنه كان من الأفضل لو بنى بعناية فائقة . ومن سوء الحظ انه قد استخدم فى اقامته القليل من العلم لأنه تداعى فى جميع الجهات ، وجرى تدعيمه فى كافة الأجزاء بأعمدة ودعامات من الطوب كما تمت تقوية الحائط الغربى بما يكفى لمقاومة ضغط العقود التى فى الداخل .

والحجاب مبنى من الطوب الأحمر وهو من الطراز الذى فيه بابان وبينهما نافذة . وقد أغلق العقد (جـ جـ) بحاجز فى وسطه باب . وهذا الحاجز ليس جزءاً من البناء الحجرى الأصلى للدعائم . وكان العقد الذى فوق الحاجز مفتوحا ، بينما نجد العقد التام الذى فى (د) يمثل بناء متينا . أما العقد الذى فى (ز) الذى يتشابه مع ذلك الذى فى (و) ، فهو بناء متين فى وسطه باب .



شكل رقم ٢٨ : حشوات الحجاب المنقوشة

الشكل رقم ٢٩ : دير المجمع ـ خزان فى الكنيسة الجنوبية

وقد أغلق العقد (ح) مع ترك فتحة مستديرة النهاية فى الوسط ، بينما تكومت كتل ضخمة من الحجارة عند الأركان (ط ط) لمساندة الدعامات التى يبرز منها هذا العقد ، والعقدان (ك ك) يسندهما عقدان مبنيان فى داخلهما . ويرتكز العقد المضاف فى الشمال على الوسادات الحجرية القصيرة التى فوق الأعمدة ، والتى نحتت على التيجان بزخارف نباتية تنتمى الى الطراز البيزنطى . وفى الجنوب ، يرتكز العقد الحامل على دعامات من الطوب . أما التيجان العلوية التى تنتمى الى

الطراز البيزنطى ، فانها لا تدل على تاريخ العقد الذى تدعمه ، ولكنها كانت قريبة المنال واصبحت ذات فائدة .

ويوجد فى وسط القسم الغربى خزان تحت مستوى الأرضية يبلغ عمقه ٢٠ر١ متراً (الشكل رقم ٢٩) ، ويملأ الخزان عن طريق قناة تغذيها المياه من الخارج .

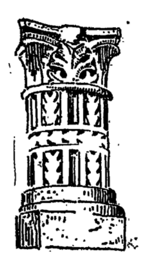
وهناك قطعة كبيرة مبنية بقوالب الطوب تسد الجناح الشمالى تماماً . وكذلك فان الجناح الجنوبى مسدود أيضاً بحوائط متقاطعة . وهناك ثغرة كبيرة فى الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى ولكنها مسدودة حالياً ، وتمر من خلالها قناة المياه التى تغذى الخزان . وهناك ما يدل على وجود ثغرة اكبر فى الحائط الغربى مسدودة ايضاً ، ولا يوجد فى خارجها ما يدل على أن الكنيسة قد امتدت الى أى من هذين الاتجاهين . ونلاحظ وجود فتحة مسدودة فى القسم الأول للجناح الشمالى ، ولكن أكثر المداخل اهمية حسب الطريقة التى أقيم بها هو ذلك الموجود فى الطرف الشرقى البعيد لهذا الجناح .

ولا توجد فى المبنى أية تفاصيل معمارية تساعدنا على تحديد تاريخ له اللهم الا شكل عقود معينة مع تفاصيل المدخل الحالى . وهناك عينة ممتازة لبناء من الطوب الأملس متصل به تماماً ، تطبيقاً لطريقة موجودة عادة فى القاهرة أو المدن الكبرى الأخرى . وقد صنع العقد الذى بالمدخل من الطوب الأملس . وبنى الحائط الجنوبى للكنيسة مقابل حائط آخر من الطوب فيه شباك ذو عقد مبنى بالطوب الجيد . وتبين علامة مقوسة أعلى الشباك موضع عقد قديم . ومن الممكن أن تكون الكنيسة الحالية قد بنيت مكان كنيسة اقدم منها . وهناك على بعد امتار قليلة جنوب الكنيسة بئر كبيرة مجهزة بساقية أو سلسلة من الدلاء يمكن عن طريقها توصيل الماء الى الخزان السابق ذكره .

كنيسة العذراء

توجد داخل سور الدير وبين كنيسة مارجرجس ومجموعة القلايات ، بقايا كنيسة صغيرة مكرسة على اسم العذراء . وهذا المبنى الصغير

متناسق وينتمى الى الطراز (أ) البازيليكى . وينتهى الهيكل بحنية . أما المذبح فهو مختف تحت النفايات . وبالرغم من أنه صغير فى حد ذاته الا أنه يملأ الهيكل الصغير تقريباً . وينتمى الحجاب إلى الطراز الذى به بابان . ويوجد الى الغرب من ذلك جناح ينفتح عن طريق عقد على صحن يتكون من ثلاثة عقود ترتكز على أعمدة صغيرة ، وتوجد فى الحائط الشرقى للجناح آثار بابين مسدودين حالياً بالطوب . وقد تمت تقوية العقد الذى يمتد من الجناح الى الصحن رغم صغر مساحته من حيث دعاماته .



شكل رقم ٣٠ : دير الملاك ـ كنيسة العذراء

ويقع مدخل الكنيسة فى القسم الشرقى من الممر الشمالى . وتوجد فى مقابله آثار فتحة مسدودة بالطوب . وهناك ثغرة فى الحائط الغربى ولكنها أصغر من أن تكون مدخلا حتى بالنسبة لمثل هذه الكنيسة الصغيرة . وعند دخولنا نمر خلال ما لا يقل عن ثلاثة حوائط مبنية بالطوب ، كل منها مقابل الآخر ، وللأسف فان المبنى متهدم . ولا بد انه كان صغيراً فلم يتجاوز ارتفاع أعلى جزء من حوائطه خمسة أمتار . وهو الآن بدون سقف ، بينما تراكمت الأنقاض وقوالب الطوب المكسورة حوله لدرجة أننا نهبط عدة درجات لكى نصل الى مستوى الأرضية ، وتلك أيضاً تكتنفها أكوام من الطوب المتساقط .

وقد وجدنا فى هذه الكنيسة تاج عمود مزخــرفا ، وعموداً آخــر قدمنا له رسماً تخطيطياً (انظر الشكل رقم ٣٠) وقد نقلناه بمعرفتنا ووضعناه فى كنيسة مارجرجس من باب تأمين السلامة .

وتوجد فى الطرف الشمالى لحائط السور الذى به أبواب الكنائس الثلاث بقايا مبنى مربع الشكل فى المسقط الأفقى . ونرى فى الأركان دلائل على وجود عقود مائلة كانت معدة لاستقبال مبنى مثمن الأضلاع لا شك فى أنه كان يحمل قبة . أما الحــوائط الباقية فهى غير سميكــة حتى اننا نشك فى اقامة القبة على اية حال . أما اذا كانت قد أقيمت بالفعل فلا بد وأنها عجزت عن البقاء لسنوات عديدة ، وقد قمت بقياسها فى مارس سنة ١٩٠١ .

كنيسة دندرة
(اللوحة رقم ٤١ ، الشكل رقم ١)

أقيم بناء هذه الكنيسة غير العادية بالحجارة التى لا نشك فى أنها اخذت من الماميزى (بيت الولادة) مع الجدران التى تتوازى وتتجاور مع جدرانها . وقد ربطت كتل الأحجار فى العديد من الحالات عن طريــق تعشيق الخشب (غنفرة) بالطريقة القديمة محاكاة لمبــانى المعبــد المجاور . وكذلك رصت كتل الحجارة بنفس الطريقــة المستخدمة فى المعبد . وعندما كان الحائط سميكاً بما يكفى لوضع حجرين جنباً الى جنب ، لم تستخدم الأحجار الرابطة للربط بينها . أما السمك المتوازى الذى بنى به الحائط فانه يسهل فصل الواحد عن الآخر بدون عوائق . أما التفاصيل المحفورة ــ ولا بد أن الكثير منها كان موجوداً ــ فانهــا تتطابق تماماً مع تلك التى نجدها فى الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج وسنقدم وصفها فيما بعد . وينتمى الرسم التخطيطى للمبنى الى الطراز (أ) البازيليكى . وقد قمت بقياسه فى ديسمبر سنة ١٩٠٠ .

نجع الدير
(اللوحة رقم ٤١ ــ الشكل رقم ٢)

اقيمت هذه الكنيسة على الضفة الشرقية للنيل فى مواجهة جرجسا تقريباً . وينتمى مسقطها الأفقى الى الطراز (د) وهى تمثل من الداخل عينة تسر الناظرين . ولم يكن المبنى كما نراه الآن مبنياً فى فترة زمنيــة واحدة فقد أضيف اليه القسمان الشماليان . وتظهر الهياكــل الثلاثة الخاصة بالمبنى الأقدم على الرسم التخطيطى غير دائرية ولا مستطيلة

لوحة رقم ٤١

شكل رقم ١

شمال

دندره

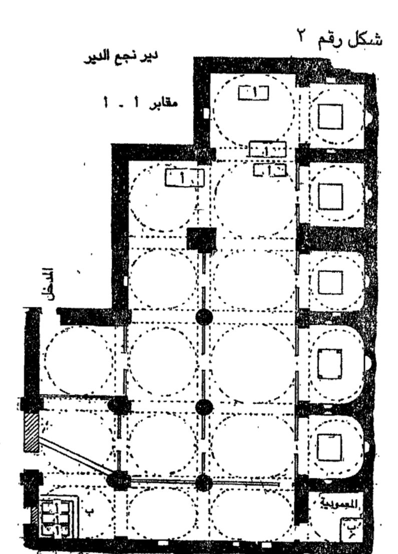
باب

مسقط أفقي للكنيسة

اتجاه الشرق

مقياس الرسم ١: ٢٠٠

شكل رقم ٢



بل متوسطة بين الاثنين . ويغطى كل هيكل منها قبة وتظلل مذبح الهيكل الأوسط مظلة خشبية تقف الأعمدة الأربعة التى تحملها ملاصقة للمذبح كما هو الحال فى الميدامود . وقد ربطت الأعمدة بعقود ، وتمت زخرفة السقف الذى فوقها بأشكال هندسية ، وزود باطار من الخشب بأشغال الزخرفة بالتخريم ، ولونت جميعها حسب الطراز العربى الحديث . وهى ليست قديمة ولكنها نموذج جيد لتلك النوعية . وينتشر فى أرجاء الكنيسة جو غير عادى من اللياقة والنظافة . والأغطية التى فوق المذبح نظيفة وجديدة . وهناك منجلية صغيرة خارج الهيكل وشمعدان خشبى. وقد صنع الحجاب المجاور للهياكل من الخشب . وفى وسط كل منها باب عادى لا يستحق أن نتعرض له بالحديث . ونجد فى غرب الهيكل الترتيب المعتاد للقباب المحمولة فوق العقود . ويبلغ ارتفاع الأعمدة التى تنطلق منها العقود ٤٠ر٢ متراً ، بينما يصل ارتفاعها حتى تويجات العقود ٣٠ر٤ متراً . ونستطيع بناء على هذه الأبعاد أن نعرف مدى تواضع حجم المبنى ، ولكن القبة التى فى غرب الهيكل الأوسط مباشرة أكثر دقة من حيث التصميم بالنسبة لبقية القباب ، وهى محمولة على مثلثات ركنية سيئة الصنع تتخذ شكل قرص العسل .

وقد بنيت الأعمدة والعقود جميعها من الطوب الأحمر ، بينما بنيت بقية المبنى بالطوب اللبن وطلى داخله بالجير الأبيض . ونرى فى هذه الكنيسة أسلوب بناء شائع فى القاهرة . وتوجد كتل من الخشب داخلة فى مبانى تيجان الأعمدة بدلا من عمل وصلات لمقاومة دفع العقود ؛ ولكى توضع فوقها الواح الربط الموصلة بين هاماتها . وتستخدم النساء الجزء من الكنيسة المنفصل بحاجز فى الجنوب . وفى الطرف الشرقى منه توجد المعمودية (ب) ويمكن الوصول الى هذا الجزء من الكنيسة عن طريق « المندرة » أو غرفة الاستقبال التى تقع خارجاً فى اتجاه الغرب « والمندرة » ملحق شائع فى الكنائس .

وبالإضافة إلى الكنيسة بنى خزان فى جانبها الشمالى يغوص فى الأرضية بمساحة مترين مربعين ، وقاعه على شكل مثمن الأضلاع . ويظهر هذا الخزان فى التصميم العام مشابهاً للخزان الذى وصفناه فى دير المجمع وفى كنيسة أبو حنس .

وهناك مقابر عديدة فى الكنيسة موضحة على الرسم التخطيطى بالرمز (أ) ، بينما نجد ثلاث مقابر متجاورة فى الجنوب الغربى ، يحوطها حائط منخفض الارتفاع ليس به مدخل . وقد أحيط احد القبور التى فى الجزء الشمالى من الكنيسة بالكثير من التوقير ، وغطى بقطعة من الدمقس ، ويقال انه مقبرة لأحد الكهنة .

ولسوء الحظ ، فإن كاهن الكنيسة لم يكن موجوداً عند زيارتنا ، وكان الرجل المسئول جاهلاً ولم يعرف أو انه لم يرغب فى ابلاغنا اية معلومات ، وقال ان المذبح الأوسط مكرس على اسم الملاك ، والجنوبى مكرس على اسم الأنبا شنودة والشمالى على اسم الست دميانة . وانا اقدم هذه المعلومات بتحفظ .

دير مار جرجس بالقرب من اخميم
(اللوحة رقم ٤٢ ، الشكل رقم ١)

يوجد على الضفة الشرقية للنيل ، مقابل المنشاة تقريباً ، دير يرتفع فوق سفح تل متقدم من سلسلة التلال التى تحيط بالنيل فى هذا الجانب . ويقع المبنى على مسافة قصيرة من ضفة النهر . ويلاحظ الانسان عندما يمر بجواره ، حائط السياج المستطيل وقد ارتفعت فوقه قبة منخفضة، ويلاحظ أيضاً برجاً للحمام خارج مدخل السياج يشكل مع برجى الدير نسخة مصغرة من بوابة معبد فرعونى قديم . ومن الواضح أن هذه البقعة ذات اهمية اثرية ، ولكن ربما كانت الكنيسة الموجودة غير موغلة فى القدم . ومن حيث المسقط الأفقى فانها تنتمى الى الطراز (ج) . وقمت بقياسها فى ديسمبر سنة ١٨٩٢ .

وعند الدخول الى ساحة الدير ، نرى العديد من المنازل الصغيرة والأكواخ المنخفضة ذات الطابق الواحد المسطحة السقف ، التى يخرج من أبوابها ليس أصحابها فقط بل أيضاً الدجاج والخراف والماعز .. الخ كما هو معهود فى كافة القرى المصرية .

وتقف الكنيسة مقابل الحائط الشرقى للسياج المستقيم ، ولم أجد فى هذا المكان أو فى غيره من الأماكن التى زرتها حنيات الهياكل بارزة الى الخارج .

لوحة رقم ٤٢

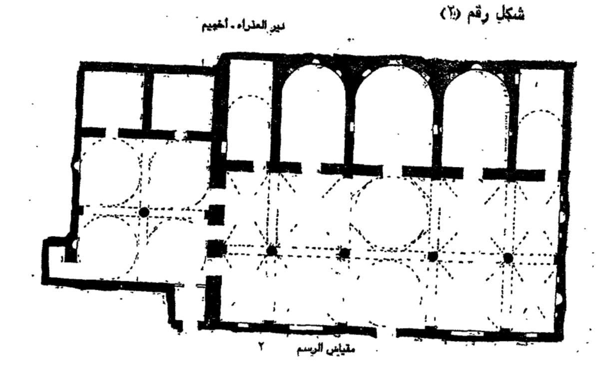
شكل رقم (١)

دير مار جرجس بالقرب من اخميم

رسم تخطيطي بمقياس رسم ١: ١٠٠

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم (٢)



والمسقط الأفقى كامل التكوين ويتكون من هيكل مركزى يظهر فى الرسم مجوفاً وعلى جانبيه هيكلان آخران مشابهان له . ويحوطهم جميعا حجاب مبنى بقوالب الطوب . ولكل هيكل باب فى وسطه نافذة صغيرة على كلا الجانبين . وتميل الحنيات الى الداخل بما يتجاوز الشكل نصف الدائرى . ويلاحظ أن هناك مدخلا يوصل بين الهيكل المركزى والهيكلين اللذين فى شماله وجنوبه . وتنفتح الحنيات فى اتجاه الغرب عن طريق عقود مسدودة حتى مستوى بروزها من الحجاب .

ونجد خلف صف الهياكل حجرتين فى الشمال والجنوب ، مستطيلتين فى المقطع الأفقى ، ويتم الوصول اليهما عن طريق باب فى الغرب . ومن المحتمل أن تحتوى احدى الحجرتين على المعمودية . ولكننى لم أرها نظراً لأن الحجرتين تغصان بالقش وغيره من منتجات الريف .

وهناك فى غرب الهياكل والحجرتين ، صحن الكنيسة الذى يتكون من خمسة أقسام طولية من الشمال الى الجنوب وقسمين آخرين من الشرق إلى الغرب وهو مسقوف بالقباب التى ترتكز على العقود التى تحملها على أربعة أعمدة من الطوب .

وتنفصل أقسام الصحن الغربية عن القسمين الشرقيين بحواجز خشبية تتوسطها الأبواب وهى تملأ فقط الأقسام الثلاثة الوسطى . وهناك مدخل فى الحائط الغربى للقسم الأوسط من الصحن ، وأيضا فى الحائطين الشمالى والجنوبى عند طرفيهما الغربيين . وهذه الأبواب لا تؤدى الى الخارج حالياً ، ولكنها تنفتح على مقصورتين جانبيتين يبدو أنهما ملحقتان بالتخطيط الأصلى .

وهناك فتحات كبيرة فى الجدارين الشمالى والجنوبى ولكنها مسدودة بحواجز خشبية وبذلك تتصل المقصورتان الجانبيتان مباشرة بالجزء الرئيسى من الكنيسة . وتنتهى المقصورتان الجانبيتان بحنيتين فى الجهة الشرقية ، ولكل منهما فى الطرف الغربى مدخل يؤدى الى الخلاء . وقد زودت هذه المداخل فى كل حالة بحاجز من الطوب على شكل صالة للانتظار . وهناك

لوحة رقم ٤٣

خريطة رقم ٥

31
32
33
28
27
26

دير البوكير
انتنوى
المدينة
دير جرادوى
أبو حنس
النخلة
دير سبارابين
البرشا
قصير
دير مار مينا
صنبو
العذراء
باويط
المحرق
دير العزم
أسيوط
ديرتاسا
درنكة
ريفا
خياطه
وادى السرج
دير
قيل انه يوجد سبعة
اديره فى التلال التى خلف إخميم
إخميم
الدير الاحمر
دير مار جرجس
والدير الأبيض
نجع الدير
جرجا
أبيدوس
البلينا
تابينا
قنا
قصر الصياد
قفط
النقرة
بلاص
الدير الأحمر
نقادة
دير الملاك
قامولا
أبو الليف
الصليب
المدامود
مار مقطر
الملاك
الأقصر
مدينة هابو
أرمنت
واحة الخارجة

قبة تغطى المقصورتين الجانبيتين . ونلاحظ ان المقصورة الشمالية قد أخذت منها شريحة لشق قبو الحنية والقباب ، وأزيلت الأجزاء التى فى شمال الحائط الملحق . وهذا البناء المقام من الطوب متماسك بالرغم من هذا الاستخدام الردىء ، وقد التصقت القباب والعقود ببعضها دون أن يمسها أقل ضرر . ويعطى الشكل الداخلى للكنيسة المطلية بالجير المائى ، انطباعاً بهيجاً .

دير العذراء باخميم
(اللوحة رقم ٥٢ ، الشكل رقم ٢)

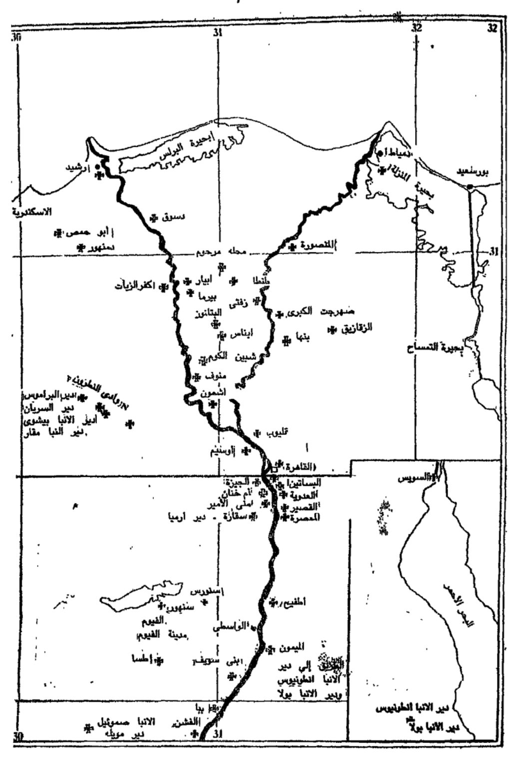
ونأتى الى اخميم التى تبعد قليلا الى الشمال على نفس ضفة النيل ، حيث نجد كنيسة تشبه فى تخطيطها الجزء الأوسط من الكنيسة التى وصفناها مؤخراً . والهياكل أكثر تداخلا فى العمق من الشرق الى الغرب ، وبجوارها حجرات مربعة ، وتوجد الأبواب فى وسط الحجاب .

والقسم الغربى من الكنيسة لا تغطيه القباب المعتادة ولكنه مغطى بأقباء تظهر مستطيلة فى الرسم التخطيطى ، فيما عدا القسمين اللذين فى الوسط ، وترتفع أعلى من هذه القباب مباشرة ، القبة التى أمام الهيكل الرئيسى الى ارتفاع ملحوظ . وقد بنيت اضافة فى الجانب الشمالى ، تتضمن حجرات صغيرة شرقية مربعة الشكل . ويغطى الجزء الغربى من هذه الاضافة أربع قباب من الطراز المعتاد ، وهناك ثلاثة عقود للربط تبرز من الحائط الشمالى . ويبين الشكل رقم ٣١ الزخرفة الداخلية لهذه الكنيسة : وقد لونت قوالب الطوب باللون الأحمر الداكن او البنى . أما الوصلات فقد تميزت باللون الأبيض . والطرز تقليدية وهى نتيجة مباشرة للتعامل المخلص مع المواد المستخدمة . ونرى بعض قطع الزخرفة التى تنتمى الى هذا الطراز فى الكثير من الأماكن الأخرى .

دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض) بسوهاج
(اللوحات أرقام ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨)

يقوم مبنى هذا الدير فى الصحراء فى أقصى الطرف الغربى للأرض المزروعة . ويوجد عند سفح المنحدر الصخرى الذى يتكون من الحجر الجيرى ميل غير مستو هو فى حقيقته جزء من الصخر الذى يتكون من الحجر الجيرى ، ولكنه مغطى بطبقة رقيقة من الأحجار المكسرة والرمال والأنقاض ، وينتهى بشكل فجائى . وهناك التربة الطينية مقابله ، مثلما توجد مياه البحيرة مقابل شواطئها . وقد بنيت الكنيسة على هذه الحافة.

لوحة رقم ٤٤



الخريطة رقم ٦

لوحة رقم ٤٥

دير الأنبا شنوده
(الدير الأبيض)
بالقرب من سوهاج
بناء من الطوب (دعامه)
بناء من الطوب (دعامه)
الرواق
الصحن
غرفة
تحت
الأرض
بئر
منصه مرتفعه وصينيه
تم كشفهما حديثاً
القاعة الكبرى
ب
مسقط أفقى
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لـوحة رقم ٤٦

شكل رقم (١)

الدير الأبيض

اعيد بناؤه فى أيام محمد على

مسقط رأسى عند الطرف الجنوبى

مقياس الرسم ١ ٢٠٠

شكل رقم (٦)

مسقط رأسي عند الطرف الشرقي

مقياس الرسم ١: ٢٠٠

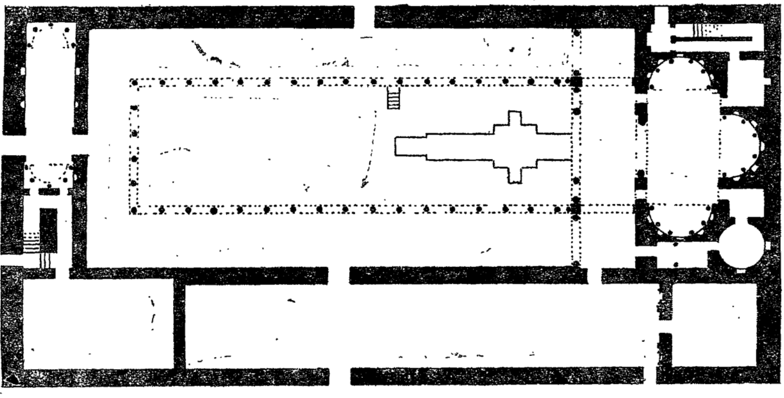
لوحة رقم ٤٧

الدير الأبيض منظر للمبنى كما كان فى سنة
١٩٠٧
نافذه
سلم مرتفع هنا
نافذه
مقطع على الخط (ا - ب)، (حـ - د) يطل على الشرق
الطرف الشرقى للقاعة الكبرى

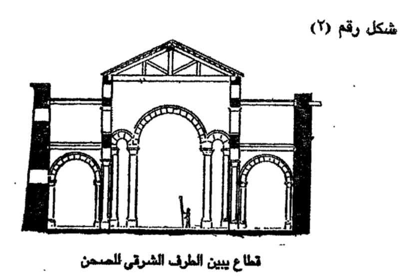
شكل رقم ١

لوحة رقم ٤٨

الدير الأبيض شكل افتراض لما كان عليه

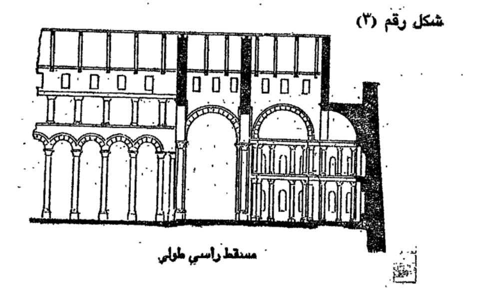


شكل رقم (٢)

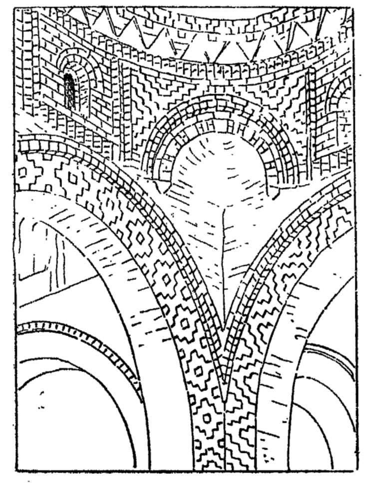


قطاع يبين الطرف الشرقي للصحن

شكل رقم (٣)



مسقط راسي طولي



شكل رقم ٣١ : اخميم - زخرفة داخلية

والكنيسة محاطة فى جوانبها الشمالى والغربى والجنوبى بكمية كبيرة من أنقاض المبانى ، سواء من قوالب الطوب الأحمر أو اللبن . واذا وقفت على قمة حوائط الكنيسة ، فسترى أن الفضاء المغطى بالأنقاض يمثل مستطيلاً يتخذ محوره الطولى الاتجاه الشمالى الجنوبى . ويخرج مستوى أرضية الكنيسة فى طرفها الشرقى خارج الأرض بارتفاع مترين على الأقل وذلك نتيجة لانحدار الأرض نحو الشرق .

ومن الضرورى القول هنا بأن البناء الحجرى المستطيل الذى يطلق عليه فى العادة اسم : الدير — ليس الا كنيسة الدير وملحق بها صالة مستطيلة فى الجهة الجنوبية . أما الدير وأماكن اقامة الرهبان والمطابخ والأفران

والمخازن .. الخ فانه لا يتضمن المبنى الحجرى فقط ، بل أيضاً عدداً كبيراً من المبانى المقامة بالطوب ، التى تحيط انقاضها بالدير كما سبق القول . وكانت هذه المبانى ومعها الكنيسة محاطة بحائط قوى مبنى بالطـوب ، نستطيع أن نتتبع آثاره بوضوح عند دير الأنبا بيشوى (الدير الأحمر) ولكن يصعب اكتشافها فى دير الأنبا شنودة (انظر الشكل رقم ٣٧ الذى سيرد فيما بعد) .

وقد اجريت بعض الحفائر فى هذا المكان خلال شتاء سنـة ١٩٠٧ باشراف البروفيسور بترى(١) وتقع هذه البقعة فى جنوب الكنيسة مباشرة . وفى النهاية أيد البروفيسور بترى الرأى القائل بأن الكنيسة الحالية هى التى أقيمت فى هذا الموقع للمرة الثانية وأن الكنيسـة الأولى التى تمثل المبنى الرئيسى فى المستوطنة الديرية تقف فى داخل البقعة التى قام بفحصهـا . وينسب هذا المبنى الذى تحول الآن الى أنقاض ، الى زمن قسطنطـين اعتمادا على نوعية الفخار . أما المبنى الذى قدمت له الرسم التخطيطى فمن المحتمل أنه قد بنى بأجزاء من أنقاض الكنيسة الأولى . ويقدم لنا فى اللوحة رقم ٤٣ الرسم التخطيطى الذى يبين المواقـع المحتملـة للكنيستين الأولى والثانية .

والحائط الخارجى مبنى من الحجر الجيرى الأبيض فى شكـل كتـل كبيرة الحجم مبنية بالمونة ، ويبلغ طول البعض منها مترين على الأقل ، ومتوسط عمق المدماك ٠٫٤٢ متراً وهى مصفوفة أفقياً . وترتبط طريقة تصفيف الحجارة فى حالات عديدة باحدى الوسائل التى شاهـدناها فى مبانى مصر القديمة ، أى فى غياب الروابط . وتوضع الأحجار دائمـا فى الاتجاه الطولى للحائط جنباً الى جنب . وقد لاحظنـا نفس الشىء فى دندرة . ولا يمكن ان نذكر بالتاكيد أن البناء الحجرى مقام بنفس الطريقـة المصرية القديمة (اى أن الأحجار توضع بنفس الشكل غير المصقول الذى خرجت به من المحجر على أن يتم صقل وجه الحجـر فيما بعـد) .

(١) Athribis, by W. M. F. Petrie, J. H. Walker and E.B. Knobel, London, The Egyptian Research Account, 1908, p. 13.

ولا اظن — بناء على ملاحظاتى — أنها كانت توضع بهذه الطريقة . ان علامات الأدوات المستخدمة على السطح الخارجى للحائط لا تشبه تلك التى نجدها فوق المبانى المصرية القديمة . انها ناتجة عن استخدام معول له طرف مسنن . ومن المحتمل أن يكون الوجه الخارجى للحائط الخارجى قد صقل بعد وضع الاحجار فى مكانها . أو أن البناء الحجرى لم يكن من المقصود اظهاره ، ولكنها حسب التقليد القديم كانت تغطى بطبقة من الجص . حقاً ، مازالت بقايا طبقة الجص الأصلية ظاهرة بنفس اللون. وقد سقط الركن الجنوبى الغربى لحائط السياج وأعيد بناؤه . لقد أقيم البناء الحجرى هنا بطريقة بدائية مع وصلات واسعة ورديئة . وقد قيل لى ان الانهيار قد حدث فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وتم اصلاحه فى أيام محمد على .

ويتميز هذا الجزء باستخدام مجرد كسوة حجرية لأن قلب الحائط كله مبنى بالطوب الأحمر . ولا شك أن العديد من هذه الأحجار المستخدمة قد جلب من المبانى القديمة . ونجد فى القليل من الحالات أن السطح الأصلى قد بقى ، وبذلك نشاهد بعض النقوش والحروف الهيروغليفية، ولكن من الأسلم القول بأن الأحجار قد أعيد صقلها . وقد بنيت بعض البلاطات الضخمة من الجرانيت فى أركان الحائط الخارجى لتقوم بدور حجر الزاوية . ويقابل الجدران الداخلية فى معظم أجزاء الكنيسة البناء الحجرى ، ولكننا نجد الطوب الأحمر فى أماكن عديدة . ونشك فى بناء معظم هذه الحوائط من الطوب الأحمر . ونجد أن العقود وتيجان الأعمدة والأعتاب ... الخ مبنية من الحجر الجيرى . أما الأعمدة فهى من الرخام أو الجرانيت ، كما أن العديد من القواعد صنعت من الرخام وبعضها من الجرانيت . أما الاضافات الأخيرة للمبنى فهى كلها من الطوب الأحمر أو الطوب اللبن . أما الأحجار المستخدمة فى المبنى فهى على خلاف تلك التى فى الحوائط الخارجية من حيث أنها كتل صغيرة الحجم .

ونلاحظ أن الحنيات قد بنيت بطريقة غريبة ، فنجد أنه قد وضع فوق تيجان الأعمدة وتحت الأعتاب مباشرة مجموعة من الأخشاب

(انظر اللوحة رقم ٤٧) ونرى ألواح القسم الاصغر التى وضعت فوقها أحجار الأعتاب . وفى بعض الحالات نجد أن هذه الألواح قد وضعت فى سطح حائط مسطح كروابط . أما الاعتاب فقد بنيت من الأحجار الصغيرة التى لا يمكن وضعها فى مكانها الا بمعاونة الألواح الخشبية .

وغطيت حنيات الهياكل الثلاثة التى فى الشرق بأقباء من الطوب الأحمر . وليس هناك من سبب يدعونا للظن بأن أنصاف القباب هذه غير أصلية . وبعض الأقسام الأصغر أيضا مقبية . والحنيات التى فى نهاية الرواق مقبية بالطوب الاحمر (١) . أما بقية السقوف والأرضيات التى يمكن أن نتتبعها الآن فهى من الخشب . وقد وضعت مزاريب لتصريف مياه الأمطار من السطح العلوى للسقوف . ونرى كذلك بعض المزاريب بارزة من الحوائط عند المستويات المنخفضة . ويتضح لنا أن العدد الاكبر من المتعبدين الذين وضعوا انفسهم تحت تصرف القديس الأنبا شنودة لم يستطيعوا أن يعيشوا بين الجدران الأربعة للمبنى الذى نصفه الآن ، ولذلك لم ينشئوا فيه الا أقساماً قليلة هى (أ) ، والكنيسة ، و (ب) ، والرواق الذى فى الطرف الغربى ، و (جـ) الذى هو عبارة عن صالة فى الناحية الجنوبية للكنيسة وتمتد بطول يبلغ أكثر من نصفها . و (د) ، وبعض الحجرات القليلة ذات الحجم المتوسط . وقد ارتبط البعض منها بالطرف الشرقى للكنيسة . وهناك أيضا سلمان يقودان الى السقف ، وحائط . أين هى اذن المخابز ، والأفران ، والمطبخ ، والمخازن ، وقبل كل شىء أماكن اقامة هذا العدد الكبير من الرهبان ؟ أما عن الشرفات أو الممرات الواضح انها كانت موجودة فوق الأجنحة الجانبية للكنيسة حيث أقام الرهبان الذين أخفاهم أصدقاؤنا الآثاريون ، فلا شك انها لم تكن كافية لاقامتهم .

واذا نظرنا الى المبنى من بعيد فسنراه رهيباً وصلباً . انه يتكون من مستطيل يمتد محوره الطولى باتجاه الشرق والغرب ، ويبلغ طول الحائط الشرقى ٣٦٫٧٥ متراً ، والغربى ٣٦٫٩٠ متراً ، والشمالى

---

(١) انظر الشكل رقم ٣٤ .

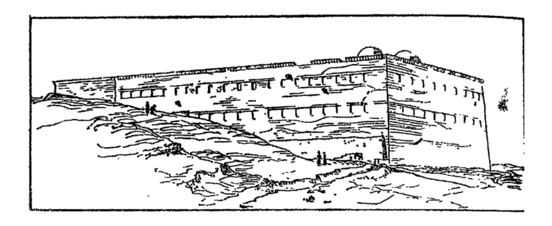
٧٤ر٦٠ متراً ، والجنوبى ٧٤ر٨٣ مترا . ويتخذ محيطه الخارجى شكل المعبد المصرى القديم وتتراجع الواجهة الخارجية للحائط مع الاستمرار فى الارتفاع .

وهناك ستة أبواب — ثلاثة منها كبيرة وثلاثة أخرى أقــل حجــماً ، ومنها باب واحد ضخم فى الحائط الغربى وينفتح على الرواق ، وباب اخر فى الحائط الشمالى ينفتح على الجناح الشمالى مباشرة ، وباب ثالث مشابه فى الحائط الجنوبى ينفتح على القاعة الكبرى التى تقع فى الجناح الجنوبى . أما عن الأبواب الصغرى فهناك باب فى الحائط الشــمالى ينفتح على قاعدة السلم الذى يرتفع فى الركن الشمالى الشرقى للمبنى. وهناك باب آخر فى الحائط الجنوبى ينفتح على القاعة الكبرى عند طرفها الشرقي . وباب ثالث فى الحائط الغربى ينفتح على قاعدة الســلم . ولا شك أن العديد من هذه الأبواب والكثير من الأجزاء الســفلية فى الحوائط الخارجية قد غطيت بتحصينات كثيفة من قوالب الطوب الأحمر واللبن لغرض الحماية ولتقوية الحوائط الخارجية الرئيسية . وكــان الباب الشمالى ولا يزال مسدوداً بالحجارة وقواعد الأعمدة كما نــرى فى الرسم (الشكل رقم ٣٣) ولم يختف خلف مبانى الطوب ، بينما اختفى تماماً الباب الأصغر فى هذا الحائط . وقد غطى المدخلان الكبير والصغير فى الحائط الغربى والمدخل الشرقى الذى فى الحائط الجنوبى . أما المدخل الأكبر فى هذا الحائط فقد كان ولايزال هو المدخــل الرئيسى والوحيــد المستخدم . وقد غطى سطحه الخارجى بالطوب الأحمر واختزل حجمه كثيراً بوضع قطع من الجــرانيت . وكــان كبيراً بمــا يكــفى لمــرور جاموسة (١) .

وعند بناء الكنيسة لم تتجه النية الى ضرورة أن تتخذ مظهر القلعة فكثرة الأبواب هنا تتنافى مع ضرورات التحصين وتدل على توافر عنصر الأمن بعد ان تحول القطر كله الى المسيحية ولم تكن الكنيسة حينذاك كما هى الآن منعزلة ومكشوفة . لقد بنيت كما رأينا داخل سور مستطيل

---

(١) لا يعيش فى داخل حدود الكنيسة أناس كثيرون فقط بل أيضا كافة مواشيهم .

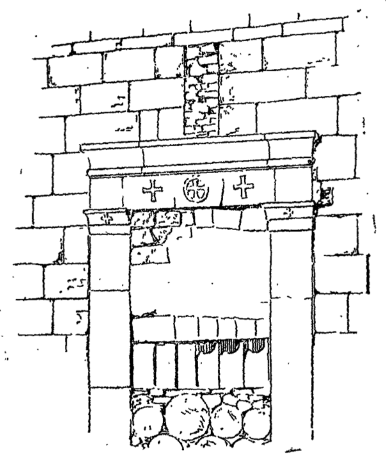


الشكل رقم ٣٢ : منظر عام للدير الابيض

قوى ، يحيط بمنطقة كبيرة ويمتلىء بمنازل الرهبان ، مع الطواحين ، والأجران ، والمخابز ... الخ ويشكل مجموع ذلك كله الدير . أما البناء الحجرى الذى سندرسه الآن فانه يمثل النواة . انه استعادة للمدينة المصرية القديمة حيث يوجد المعبد المبنى بالأحجار فى وسط المدينة المبنية بالطوب اللبن .

وظلت المنشأة تتضاءل وتنكمش حتى استقرت أخيرا داخل البناء الحجرى الذى ظل باقيا . وعندما أجريت الاصلاحات فى سنة ١٩٠٧ أزيلت الطبقات المترسبة لأنها بنيت كما هى فى معظمها من الطوب اللبن ، كما إستخدمت المونة من طمى النيل . وقد أكلت الأملاح التى تشبعت بها هذه المواد البناء الحجرى جتى عمق بعيد ، وعملت فى الخفاء على استهلاك المداميك السفلية من الجدران ببطء . (انظر الشكل رقم ٣٣) .

ويكلل قمة الحائط كورنيش يتكون من قسم يشبه ذلك الشائع الاستخدام فوق المعابد القديمة . ويتمثل الاختلاف فى حقيقة أنه بينما وضع البناء القديم دائماً زخرفة كثيفة فى كل ركن من بنائه ، مع زخرفة مماثلة لتكوين الجزء السفلى من الكورنيش ، وفصل بسطحه المجوف عن وجه الحائط الذى بأسفله ، فان هذه الزخرفة قد حذفت فى حالتنا الراهنة .



شكل رقم ٣٣

وهناك طابقان من الحنيات التى تشبه النوافذ فى الجدران الخارجية . وكان البعض منها نوافذ فعلية بينما الموجود منها فى الطابق العلوى فى الناحية الجنوبية يبدو أنه مجرد حنيات لا يمكن تتبع أثرها من الداخل . ووضع مدماك رفيع من الحجر فوق أعلى كل نافذة وكان الهدف منه أن يصبح كتلة أو اطاراً يساعد فى حمل الأحجار التى فوقه أثناء المضى فى البناء . ونرى هذا المدماك الضيق من الحجر ليس فقط فوق الأبواب ولكنه مستمر على واجهة الحائط حول المبنى كله .

وكما قلنا ، فان المدخل الذى فى الوجه الشمالى مفتوح على الجناح الشمالى من الصحن مباشرة . وهو مصنوع من الجرانيت الأحمر ، ويتكون من مصراعى باب مقسمين الى قطع عديدة على شكل ركائز

مستطيلة تلمع مع وجه الحائط الحجرى الذى ركبت فيه . وهذه الركائز محاطة بتيجان من النوع المجوف ، وهذه أيضاً محاطة بالاطار الخشبى الذى يتكون من ثلاث قطع ، القطعة الطويلة منها موضوعة بعــرض الفتحة ، والقطعة الصغيرة فى كلا الطرفين لاكمال الطول . وعندما ننظر الى المدخل فى اليسار نلاحظ فى القطعة التى فى الطرف أجزاء من شكل بالنقش الغائر مما يدل على أن الكتلة مأخوذة من مبنى مصرى قديم وهناك صلبان محفورة على العتب وعلى تيجان الركائز ؛ مما يدل على أن هذه القطع من الجرانيت قد أعدت لوضعها فى أماكنها التى تحتلها . ويأتى الكورنيش الذى ينتمى الى الطراز المصرى المعتاد فوق العتب . وهو ينقسم أيضاً الى ثلاثة أقسام طولية . وما زالت القطعة الوسطى تحمل آثار الزخرفة البنائية التى زخرفت بها عندما كانت فى موضعها الأصلى فى المعبد . وقد اغلق المدخل بقطع من الكورنيش والأعمدة والأفاريزا ... الخ .

والمدخل الذى فى الحائط الجنوبى يواجه تقريباً ذلك الذى فى الشمال . وهو أيضاً مصنوع من الجرانيت وبه ركائز وعتب وأجزاء كورنيش . وتبين الكتلة الوسطى منه طرازاً مشابهاً لذلك الذى وصفناه مؤخراً .

وكان المدخل الذى فى الحائط الغربى حتى سنة ١٩٠٧ مغطى بكتلة من الطوب . وتحمل الركائز مع التيجان المزدانة بزخارف نباتية مورقة عتباً من الجرانيت الأحمر ، وهذا العتب يمثل قطعة من الجزء الذى كان يعلو عموداً فى بناء دورى رومانى مزخرف بجزء من الترجليف واسفله حليات القطريــة .

والجرانيت أحمر اللون ، وتوجد آثار رسومات فوق طبقة الجص الرقيقة التى غطيت بها الحوائط من الخارج . أما الصف الضيق من الحجر الذى فوق النوافذ فقد طلى باللون الأحمر وتحته مجموعة أخرى مشابهة . أما السطوح الوسطى فقد تميزت بوصلات حجرية حمراء ، وهذه الوصــلات غير متساوية مع الوصلات الطبيعية للبناء الحجــرى الا عن طريق الصدفة . وتظهر فجوة فى البناء الحجــرى فوق المدخــلين الشمالى والجنوبى ، ويضيع مدماك من الأحجار ، وقد امتلأ الفــراغ

بالأنقاض . ولا تتوافر لدينا الوسيلة التى نتعرف بها على ما تم نقله من هذه الأماكن .

وقد اعيد بناء الحائط عند الركن الجنوبى . وهنا نجد قاعدة مربعة على الوجهين الجنوبى والغربى وهناك أيضاً ركيزة من الحجر تتصل بالبناء الحجرى للحائط . وقد انحرفت الجدران الطويلة التى تشكل الجانبين الشمالى والجنوبى للبناء عن الخط الحقيقى بسبب تقدم الزمن والافتقار الى الربط الصحيح فى البناء . وقد أعيد تقويم الحائط فى سنة ١٩٠٧ . أما الركيزة الثقيلة المبنية من الطوب فلا شك أنها بنيت لحماية الأماكن الضعيفة فى الحوائط من جهة ، ودعمها من جهة أخرى . وقد أزيل الجزء السفلى من الحائط المبنى بالطوب اللبن مقابل الحائط الجنوبى الممتد من الركن الجنوبى الشرقى تقريباً الى المدخل — والبناء الحجرى للجدران سليم بوجه عام ، بالرغم من أنه ممزق الى شقوق ملحوظة تبدأ من سطح الأرض .

وعندما ندخل من المدخل الجنوبى نجد أنفسنا فى ممر ضيق مقبى يمتد أمامنا حتى الحائط الذى يشكل الحد الجنوبى للجناح الجنوبى من الكنيسة . ونرى فوق رؤوسنا العارضة العليا للباب أو العتب المبنى من الجرانيت الأحمر منقوشاً بالترجليف والحليات القطرية ، والواضح أنه جزء من نفس العتب مثل ذلك الذى استخدم فى المدخل الغربى (١) . وبعد أن نتقدم خطوات قليلة نحو الشمال ، نجد أنفسنا فى صحن الكنيسة الأصلية وهى الآن بدون سقف ، وما زالت محاصرة بالمنازل الحديثة . ونشاهد جداراً عالياً مبنيا من الطوب الأحمر ملاصقا للطرف الشرقى من الصحن ، وقد برز منه عقد كبير مدبب ، فى أعلاه صف من النوافذ . ويشكل هذا الحائط الآن الحد الغربى للكنيسة . وكان الرسم التخطيطى الأصلى مشابهاً لذلك الطراز المستخدم فى الكنائس البازيليكية العادية ، ولكنه يختلف من حيث ترتيب طرفه الشرقى .

---

(١) بمرورنا من هذا الممر الضيق نكون قد عبرنا عرض القاعة المستطيلة الموازية للكنيسة فى الجهة الجنوبية .

وربما كان من الأفضل أن نبدأ وصفنا للداخل بالطرف الشرقى للكنيسة لأنه اكثر أهمية .

تمتد حنيات ثلاثة هياكل من فضاء مستطيل مساحته ٥٠ر١٠ متراً فى ٨٠ر٦ متراً فى اتجاهات الشمال والشرق والجنوب وقد غطيت جميعها بأنصاف قباب . وقد زخرفت حوائط الحنيات بأعمدة منفصلة فى صفين ، تعلو كل منهما الأعتاب . وهناك حنيات تظهر على الرسم التخطيطى نصف دائرية ومستطيلة بالتبادل . ونجد أن قمة الحنيات نصف مقببة فى جميع الحالات وبعضها مزخرف على شكل قوقعة والبعض الآخر بزخارف ورقية متشابكة . أما الوجه الراسى للعتب فقد نقشت عليه زخارف خفيفة البروز . وقد نحتت حمامة الروح القدس فى كتلة بارزة فوق الحنية الوسطى فى الصف السفلى من الهيكل الشرقى .

وقد ذكرنا منذ قليل أن ألواح الخشب ادخلت فى البناء تحت الأعتاب . وبعد تحلل هذه الالواح أقيمت حوائط رديئة من الطوب بها فتحات ذات عقود متوازية مع الحنيات التى انشئت بين الأعمدة . وقد غطت الحوائط المبنية من الطوب الحوائط الأصلية للهياكل ، وبذلك اصبح من المستحيل رؤية حالتها او الزخرفة التى عليها والمحيطة بالحنيات . وقد ازيل هذا البناء الحجرى الدخيل سنة ١٩٠٧ واعيد وضع الالواح الخشبية مرة اخرى فى الأخاديد القديمة . وتنفتح الهياكل على الفضاء المستطيل الشكل على هيئة ثلاثة عقود تامة اقيمت بشكل مبالغ فيه ، ويكمل المستطيل فى ناحية الغرب عقد محمول على عمودين . وهذا الفضاء المستطيل تعلوه حالياً قبة تظهر مستديرة على الرسم التخطيطى . واقيمت دعائم من الطوب تخفى تماماً السطوح الأصلية للجدران ، وتحمل العقود التى ترتكز عليها القبة . ولكننا اذا نظرنا الى الرسم التخطيطى الذى يدل على انها غير سميكة البناء، فسنرى انه من المستحيل أن تعلو هذا الفضاء المستطيل قبة ، ولا بد انه كان مسقوفاً بالأخشاب .

واذا تقدمنا فى اتجاه الغرب ؛ فاننا سنجد انفسنا فى فضاء يمتد محوره من الشمال الى الجنوب ، ويحده فى الغرب حائط من الطوب نراه أمامنا

عند الدخول الى صحن الكنيسة . ولا شك أن هذا الحائط يتسق مع القسم الأصلى من الكنيسة . والجزء الأكبر من أرضية الصحن الذى سنتقدم وصفه فيما بعد أصلى . ويقل مستواه بمقدار ٣٨ر. متراً عن مستوى سطح ارضية الحائط الشرقى التى تبدو فى معظمها أصلية . وهى تتكون من بلاطات متفرقة من الجرانيت الأحمر ، تحمل آثاراً لكتابات مصرية قديمة وزخارف ونقوشاً ، وهى مكسورة وخاصة فى الرخام الأبيض .

ولم نستطع فهم التخطيط الأصلى لدير الأنبا شنودة حتى درسنا الرسم التخطيطى لدير الأنبا بيشوى (الدير الأحمر) . انظر (اللوحات أرقام ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١) وقد وجدنا أن الحائط المبنى بالطوب قد حل محل عمودين وعقد فى شكل شىء مثل الحاجز الذى أتاح عن طريق تقليص العرض الظاهر للصحن ، توجيه العين نحو فتحة شديدة الضيق فى الهيكل . وبينما نجد أن الاتساع بين صفى الأعمدة الشمالى والجنوبى للصحن لا يقل عن ٥٠ر١١ متراً ، فان اتساع فتحة العقد نحو الحنيات الثلاث لا يتجاوز خمسة أمتار . وبعد أن اعتمدنا على الدليل الذى شاهدناه فى دير الأنبا بيشوى يبدو لنا أن الفضاء الموجود بين حاجز الأعمدة فى الغرب ، وما أسميه عقد الهيكل فى الشرق ، قد عومل على أنه جناح عرضى . وهذا الجزء من الكنيسة فى دير الأنبا شنودة أحيط فيما بعد بمبان من الطوب فى الجانب الشرقى ، ودمر عن آخره فى الجانب الغربى بحيث أصبح من الخطر التعرض له ، ويتضح لنا شىء واحد : أن تغيير مستوى الأرضية الأصلية يدل على وجود بعض التمييز الطقسى بين الجزءين الشرقى والغربى من الكنيسة عند هذا الخط .

وبالعودة الى الحنيات : تختلف الأعمدة التى ازدانت بها الجدران فى الطول ، ويتميز البعض منها عن البعض الآخر بقطع اضافية من الأعمدة والبعض الأخير بقواعد أطول عن تلك المجاورة لها . واتخذ بدنا عمودى الصف العلوى عند فتحة الحنية الشمالية شكل مثمن الأضلاع . وقد زخرفت تيجان الأعمدة بأوراق الأكانتس .. وتمت معالجة الورقة الوسطى بطريقة تخفى قرمة تاج العمود.

ويقوم العقد الغربى أو عقد الهيكل فوق عمسودين من الرخسام تم رفعهما على قاعدتى قطعتين منفصلتين .

أما الأعمدة نفسها التى لم تكن طويلة بما فيه الكفساية ، فقد أضيفت اليها أجزاء من أعمدة أخرى ، واستخدمت سيور حديدية لتقوية العمود . واخفيت هذه الأعمدة تماماً فى جانبين منها بالدعائم المبنية من الطسوب والتى أدخلت لتدعيم الجدران وحمل القباب . وقد تركنا المعالجة المعمارية الأصلية الخاصة بهذا الجزء للتخمين .

وربما كان الترتيب الطقسى للهيكل كجزء من البناء أصلياً أو غير أصلى . وكما هو واضح من المسقط الأفقى ، فان المذبح يقوم فى الهيكل شرق وتر الحنية ، ويقوم على كلا جانبيه كتلة مكعبة مثل مذبح صغير (١)، ويحيط بالهيكل الآن حاجز خشبى أو حجاب حديث الصنع نسبياً . وتبدو الأرضية التى فى داخل هذا الحجاب قديمة رغم ما يشوبها من تكسير . وهناك درجة سلم ارتفاعها حوالى ٦٠ر٠ متراً عند المدخسل الذى فى الحاجز الخشبى ، ولذلك فمن المرجح أن يكون الحاجز الخشبى الحالى قد احتل مكان حاجز قديم . وليست هناك مذابح فى الهيكلين الشمالى والجنوبى . ولا يوجد بالكنيسة تقليد يفيد باقامسة مذابح هنا ، ويصعب افتراض انه لا يوجد فى مثل هذه الكنيسة الكبيرة اكثر من مذبح واحد ، بينما قابلنا فى كنائس جميع الأديرة الأخرى تقريباً ثلاثة أو اربعة مذابح أو أكثر . ويوجد فى الهيكل الشمالى كتلة منالرخام الأسود قائمة على قواعد من الطوب وتتجه نحو الشرق بقدر ما يسمح شكل الهيكل . وهناك فى الأرضية التى تحتها كتلة مذبح من الرخسام الأبيض يتخسذ سطحها شكل حدوة الفرس مثل تلك الموجودة فى دير « أبو حنس » كما أوردها بتلر فى كتابه : (Ancient Coptic Churches of Egypt - Vol. II. p. 8.) .

ولا توجد فى الهيكل الشرقى خلف المذبح اية دلائل تشير الى وضع صف من المقاعد مقابل الحائط . والحقيقة هى أن مستوى قواعد الحنية

---

(١) قيل لنا ان هذه لم تكن مذابح ، وان الكتلة الوسطى هى المذبح الذى كرس على اسم الانبا شنودة وانه لم تكن هناك اية مذابح اخرى بهذه الكنيسة .

قريب من الأرض بحيث ينفى احتمال وجود مثل هذه المقاعد . ونحن الآن لسنا متأكدين مما اذا كان الهيكل جزءاً من الترتيب الأصلى كما هو الآن أم أن الحاجز لم يمتد الى الغرب بحيث يشمل الهياكل الثلاثة من عدمه .

وهناك حجرات صغيرة على كلا جانبى الهيكل الشرقى على اليمين وعلى اليسار ، يتم الدخول اليها عن طريق أبواب فى الهيكلين الشمالى والجنوبى . وقد اقيمت المعمودية ضمن تلك التى فى الجنوب ، أما تلك التى فى الشمال فان تحتها سرداباً صغيراً ، يظهر فوق الأرض تبعاً لانحدار المكان نحو الشرق ولكن بدون نوافذ . ويتم الوصول اليه عن طريق فتحة فى ارضية حنية النافذة فى الحجرة التى فوقه وعن طريق هذه الحجرة أيضاً يتم الوصول الى سلم فى الركن الشمالى الشرقى البعيد للمبنى . وهذا السلم يوصل الى سقف الشرفة . وهناك مدخل فى الحائط الجنوبى من الحجرة التى فى جنوب الهيكل ، كان مسدوداً بالطوب حتى وقت قريب . ويقود هذا المدخل الى حجرة صغيرة مستديرة فوقها قبة يتم الوصول اليها من الغرب عن طريق غرفة أخرى بها عمودان منفصلان . ويتم الوصول الى هذه الغرفة الثانية عن طريق فضاء الجناح الذى ذكرناه من قبل . وقد غطيت كل من هاتين الغرفتين بقبة يصل ارتفاعها الى ستة أمتار فوق الأرضية . وكذلك فان الحجرة الكبيرة المربعة التى فى الجنوب المغطاة بقبة من الطوب ، يصل ارتفاعها الى تسعة أمتار .

وتقع نقطة الربط بين الصحن والهيكل غرب عقد الهيكل فى مكان الحائط الذى يحيط الآن بالكنيسة فى الناحية الغربية ، وذلك حسب الرسم التخطيطى لكنيسة الأنبا بيشوى . واظن أنه ربما تضمن صحن الكنيسة فى داخله فى اقصى الشرق منه ، ترتيب بعض المقاعد التى تتشابه من حيث المبدأ مع ترتيب الحاجز الذى نراه فى كنيسة سان كليمنت فى روما . والسبب فى هذا الاقتراح هو اننا نجد على مسافة كبيرة غرب الطرف الشرقى للصحن كتلة صلبة من الجرانيت الأحمر يتصاعد ارتفاعها الى خمس درجات وتغطيها مظلة مبنية بالطوب ، تتكون من أربعة عقود

تحمل قبة صغيرة . أليس ذلك هو المنبر ؟ وبالرغم من أن أرضية هـذا الجزء من الصحن محطمة الا أنها تماثل الأرضية الأصلية الى درجة كبيره . وهى تتكون من سلسلة من بلاطات الجرانيت الأحمر المأخوذة من المبانى القديمه حسب ما تدل عليه بقايا الكتابات الهيروغليفية . وقد وضعت هذه البلاطات بزوايا قائمة مع بلاطتين صغيرتين وضعتا أيضا بزوايا قائمة مع محور الصحن ، ولكن حجمهما صـغير بحيث لا يمكـن اعتبارهما ذراعين لتشكيل صليب . ولا بد أنهما تدلان على موقع بعض الممرات العرضية أو المنافذ شمال وجنوب الحاجز . ويذكر العـالمون بمثل هذه الشئون أنه فى كنائس الأديرة المصرية خـلال هـذه الفترة القديمة التى كانت تستخدم مثل هذا الترتيب الطقسى ، لا بد أن الأمر كان يتطلب وجود الحاجز (١) .

ولا يقل عرض الصحن وجناحى الكنيسة من الحائط الشمالى حتى الحائط الجنوبى عن ٢٣ متراً . ويبلغ عرض الصحن نفسه ١١ر٥٠ متراً بين الأعمدة . وبعض الأعمدة من الجرانيت ولكن معظمها من الطـوب الأحمر وقد بنيت جيداً بالمونة البيضاء الصلبة . وقد أخفيت قواعدهـا كثيراً أو قليلا بمصطبة طويلة . ومن المجازفة القول بأنه لم يتم العبث بأى عمود منها منذ فترة بعيدة . والمسافات بين الأعمدة غير متساوية ، كما أن الأعمدة التي فى الصف الشمالى لا تواجه تلك التى فى الصـف الجنوبى بالضبط . وهناك قطعتان أو ثلاث قطع من التيجـان تعـلو الأعمـدة .

ومنذ كتابة هذا الكلام أزيل قدر كبير من النفايات وهدمت بعض المبانى الدخيلة . وعثر على عدد كبير من تيجان الأعمدة المزخرفـة . ونرى ذلك الآن فى صف الأعمدة التى فى الجانب الشمالى للصحن .

وهناك بعض الأعمدة التبادلية ذات لون أحمر ، بينما صنعت الأعمدة التى بينها من الجرانيت . وقد ضاع العمود الأول من جهـة الشرق .

---

(١) توجد بعض الاحجار على ارضية الكنيسة الصغيرة التى فى فيلة (انظر اللوحة رقم ٢٤) وهى تدل على احتمال وجود الحاجز فوق هذه الاحجار .

وبعد ذلك نجد عمودا من الطوب ، ويليه عمود من الجرانيت وهكذا يجرى الأمر بالتبادل حتى نصل الى العمود السابع . ويجرى هذا التبادل بانتظام شديد ؛ مما يجعل من الصعب علينا القول بأن هذا الترتيب قد حدث مصادفة أو أنه ناتج عن اجراء اصلاحات تالية لوقوع احدى الكوارث .

وهناك مدخل فى الجانب الشمالى وهو مسدود الآن . وبذلك نكون قد قدمنا وصفاً للداخل . وينفتح المدخل على الجناح الشمالى مباشرة . وهناك مدخل آخر مواجه له تم بناء عقد صغير فيه فأخفى الكثير من معالمه ، ويبرز هذا المدخل من خلال الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى وقد وصفناه مؤخرا .

ويبرز من حائط الصحن فى الطرف الغربى مدخل آخر على الخط المحورى للكنيسة . وكان هذا الطرف من الكنيسة وحتى وقت قريب ، يعانى من القذارة والاهمال بشكل لا يوصف . وقد دفن المدخل تقريباً فى القمامة والأنقاض . أما الفتحة فهى واسعة ومستطيلة وعليها عقد بارز فوق العارضة العليا . والنصف الغربى من الصحن مسدود بالمنازل التى بنى العديد منها حديثاً . وفى سنة ١٩٠٧ ، كانت هذه المنازل قليلة العدد ولكنها ظلت قائمة .

وهناك عمودان من الحجر قائمان بالقرب من الحائط الغربى كما هو ظاهر فى الرسم التخطيطى . والمسافة التى بين الاعمدة هنا اقل من تلك التى فى الطرف الشرقى للصحن .

ويمكن تتبع أثر افريز منقوش على ارتفاع خمسة أمتار من ارضية الصحن بطول جدارى الجناحين الشمالى والجنوبى وعبر الحائط الغربى(١) . وهناك فوق ذلك مباشرة فجوات كبيرة فى الحائط مجهزة لوضع اطراف الواح الخشب . ومن الواضح أن الجناحين الشمالى والجنوبى جرى تقسيم ارتفاعهما بواسطة ارضية . ويمكن مشاهدة فجوات أخرى عند

(١) انظر وصف الكنيسة التى فى دندرة .

قمة الجدران كانت معده لوضع الالواح الخشبية التى حملت سقوف الجناحين . ويتفق مستوى الارتفاع الناتج عن هذه الالواح مع فتحات تسريب مياه الأمطار التى نراها فوق صف النوافذ العلوية .

ويوجد فى الجدران صفان من النوافذ الصغيرة . وقد فتحت النوافذ التى فى الحائط الشمالى بحيث تطل النوافذ السفلية على الجناح والعلوية على الشرفة العليا . وينفتح المدخل الذى فى الطرف الغربى للصحن مباشرة على مساحة ضيقة ذات محورين شمالى وجنوبى وهذا هو الرواق . ويبرز من حائطه الغربى مدخل مقابل لذلك الذى ذكرناه مؤخراً ، على المحور الأوسط للكنيسة تقريبا . وقد وصفنا الجزء الخارجى من هذا المدخل . أما الداخل فهو محاط بركائز . وبالنظر الى حجم الرواق الصغير فان التاثير المعمارى الذى يهدف اليه جدير بالاعتبار . وبالرغم من أن الطرفين الشمالى والجنوبى لهما شكل مربع على الرسم التخطيطى عن طريق ترتيب خمسة أعمدة تحمل عتباً ، فان السقف يتخذ شكل حنية نصف دائرية (١) . وتقع الاعمدة والعتب وقبو الحنية فى الطرف الشمالى . أما فى الجنوب فقد بقى عمود واحد ، ولكن الحوائط تبين بوضوح مواضع كسر الأعتاب والأقباء ، أما الجدران الجانبية للرواق تلك المبنية بالحجر فقد زينت بحنيات ، تعلوها واجهات مثلثة رائعة ، نشاهد الكثير منها فى هذه الكنيسة (٢) .

وكانت هذه الغرفة مسقوفة أصلا بسقف محمول على الواح خشبية تشكل ارضية تتساوى مع ارضية الشرفة التى فوق الجناحين . وفى تاريخ لاحق تم بناء قبو أسطوانى من الطوب ليحمل الأرضية . وعندما رايت الكنيسة للمرة الأولى فى سنة ١٨٩٢ كان جزء كبير من هذا القبو موجوداً . وبعد ذلك تساقط وزحم الأرضية الى ارتفاع ملحوظ . وكان هذا الجزء من الكنيسة وحتى فترة قريبة هو مقلب النفايات للمجتمع البائس والمحتقر الذى يعيش داخل حوائطه ، ويشكل منظراً مثيراً

---

(١) انظر اللوحة رقم ٢٤ .

(٢) انظر الشكل رقم ٣٥ .

للاشفاق . وهذه هى الحجرة التى وصفها كيرزون بطريقة بهيجة (١) . ولكنه شاهد عدداً من الأشياء ليست موجودة الآن . وتبين الرسومات التى لدينا أن البناء الحجرى فى الحنيـــة الشماليـــة غير مزخـــرف . أما الزخرفة التى تحدث عنها كيرزون فلا بد أنها كانت من الجـــص ـــ هذا اذا وجدت أصلا ـــ ولا توجد أدلة على وجودها .

ويقدم لنا دينون رسماً تخطيطياً لهذا الدير (٢) وقد أعاد بتلر نشره مع التصحيح (٣) . ولكن الاثنين جانبهما الصـــواب ، ويكفى أن نقول ان هذا الرسم مثله مثل الرسومات الأخرى التى ينشدها علماء الحملات العسكرية الفرنسية . ان علينا أن نكون اشـــد رغبة فى معرفـــة كيفية اداء هذا العمل بالطريقة التى لجأوا اليها (مع ذكر الصعاب الرهيبـــة التى اعترضت طريقهم) أكثر من البحث عن الأخطاء ، فى حين يذكـــر لنا بتلر بأمانة أنه لم يشاهد المكان الا أنه استطاع تجميع هذا الدليل فى حدود قدرته .

ويوجد فى جنوب الرواق سلم كبير اسىء استعمال الجزء السفلى منه ، بينما خرب الجزء العلوى تماماً . وهو يقود الى سطح شرفـــات الجناح . ويجب ملاحظة أن وضع السلم فى هذا المكان ، سواء شمال أو جنوب المدخل الغربى للكنيسة ، يمثل أحد الملامح المعتادة فى عدد كبير من المساقط الأفقية التى جمعناها .

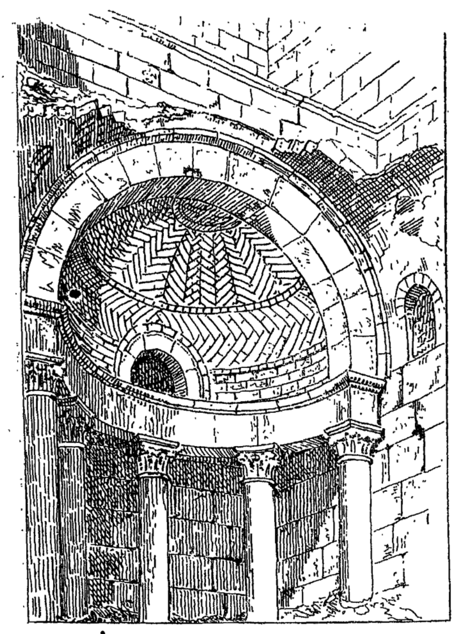
وفى جنوب السلم نجد انفسنا داخل حجرة مربعة الشـــكل تحمـــل قبتها أربعة عقود مدببة ترتكز على دعامات قصيرة . والبناء هنـــا مقام بكامله من الطوب الأحمر . والواضح أنه أحدث تاريخياً بالنسبة للسلم المجاور له والرواق والكنيسة . وتقع هذه الحجرة داخـــل هـــذا الجزء من المبنى الذى قيل لنا انه اعيد بناؤه فى أوائل القرن التاسع عشر .

---

(١) Monasteries of the Levant, p. 131.

(٢) Travels in Upper and Lower Egypt by Vivant Denon Translated by Arthur Aikin, 2 Vols. London : Longman and Rees, 1803, Plate XXXVII.

(٣) An. Cop. Churches of Egypt, A.J. Butler, Vol. 1, p. 352, Oxford Clarendon Press, 1884.



شكل ٣٤ : الدير الأبيض ـ الرواق

وتقع البئر شرق هذه الحجرة ذات القبة مباشرة . ويبين لنا الرسم التخطيطى أن الكنيسة لا تشغل كل منطقة المستطيل التى تحيط بها الحوائط الخارجية ، ولكن توجد إلى الجنوب منها غرفة يبلغ عرضها ١٥٫٨ متراً وطولها ٤٧ متراً وهى تمثل قاعة كبيرة . وابعاد هذه القاعة

غير عادية ؛ ولكنها بالرغم من طولها لا تحمل أية آثار للحوائط المتقاطعة . وكان السقف مصنوعا من الواح الخشب وقد ظهرت الثقوب التى تدخل بواسطتها فى الجدران . وهناك كورنيش مزخرف يحدد مستوى سطح السقف . وهذا الكورنيش يشبه ذلك الذى فى الجناحين ولكنه على ارتفاع أعلى منه . أما الصف السفلى من المزاريب التى تبرز من الحائط الجنوبى ، فانها على ارتفاع يسمح بقذف المياه من الأرضية التى فوق هذا السقف . وقد كسيت واجهات حوائط هذه الحجرة السفليه بالأحجار مثل حوائط الكنيسة . ويوجد فى طرفها الشرقى عقد مجوف قليلا يحيط به حنيتان على كلا الجانبين ومدخل يؤدى الى حجرة مربعة خلفه . وهناك أيضاً باب فى الطرف الشرقى للحائط الجنوبى يؤدى الى خارج المبنى . والقاعة ذات اضاءة محدودة تدخل اليها عن طريق الصف السفلى من النوافذ الصغيرة التى تبرز من الحائط الجنوبى .

وما زال الحائط الذى يفصل هذه القاعة عن القسم من الكنيسة الذى اطلقنا عليه اسم الجناح العرضى قائماً حتى ارتفاع سقف الشرفة . ويبرز من هذا الجزء صف من النوافذ التى لا بد وأنها كانت مفتوحة من الجناح على الحجرة المنخفضة التى فوق القاعة المستطيلة ، ولكنها لا تسمح الا بدخول القليل من الضوء .

ومن الواضح أنه فى نفس الفترة استمر قدر كبير من البناء داخل جدران المبنى . وقد تحدثنا منذ قليل عن القبة والدعائم التى بنيت فى الركن الجنوبى الغربى ، وكذلك القبو الذى فوق الرواق . وقد أقيمت سلسلة من القباب فوق القاعة المستطيلة ، ووضعت الدعامات والعقود المبنية بالطوب الأحمر مع المونة البيضاء الجيدة ، مقابل الجدارين الشمالى والجنوبى لحمل الحائط الضرورى لمساندة القباب ، ولكن أية قباب هذه فقد سقط الجزء الأكبر منها .

ولا بد أن الكنيسة تعرضت للنهب فى مناسبات عديدة ولكننا لا نلاحظ علامات الحريق الهائل المحتمل حدوثه فيما مضى لكافة السقوف بوجه عام . ولو كانت تلك النيران قد اشتعلت بالفعل لظهرت آثارها على

الحجر الجيرى الذى بنيت به الجدران مباشرة . وقد غطيت الحجرة التى فى شرق القاعة المستطيلة بالطوب الأحمر ونشك فى الا يكون هذا جزءاً من المبنى الأصلى .

ويجدر بنا تقييم الكنيسة ، كما هى اليوم ، إنها منكمشة بأسى داخل جدرانها القديمة ، والمبنى الذى نراه يمثل الكنيسة ومكان اجتماع الدير الأصلى ، أحيط فى جوانبه الشمالى والجنوبى والغربى بعدد من المبانى . لقد تغيرت حالة الأشيــاء تماماً . وحتى وقت قـريب كانت مجموعة من العائلات تعيش داخل الجدران مع مواشيها وطيورهـا الداجنة ، والأوساخ المتراكمة ، كما ذكرنا من قبل ، وهذه الكنيســة التى تعتبر من افخر الكنــائس التى بقيـت فى مصر والأثر الـرئيسى للمسيحيين ، كانت حالتها سيئه ومثيرة للامتعاض بمـا يفوق اسـوأ الحالات التى قد تصل اليها اية كنيسة خربة ، حتى حلول سنة ١٩٠٧ عندما وضعت تحت رعاية لجنة حفظ الآثار .

لقد كان الرواق هو خزان الفضلات العمومى ، أما فى داخل الكنيسة وأثناء تقديم الخدمة على المذبح ، فقد كانت الفضلات تتراكم فى الجناح والدواجن تتمشى بدون ازعاج .

واتساع الصحن الكبير مع قلة سمك المبانى لا يسمح الا بسقف من الألواح الخشبية . ونفس الأمر كذلــك بالنسبة للجناحـين والقاعـة والرواق . ولا نستطيع افتراض أن الصحن قد ترك مفتوحـا كما قـال البعض ، لأن ذلك يختلف كلية مع العادة المتبعة فى البلد . ويختلف أيضاً مع تخطيط الطراز البازيليكى ، ولذلك يلزم استبعاد ذلـك الاقتــراح حالا . ونفس الروح التى أثرت فى تخطيط المسقط الأفقى والتفاصيل المنحوتة ، هى التى ابتدعت السقف الخشبى كما هو شائع فى بلـدان الساحل الشمالى للبحر المتوسط . وربما كان هذا السقف والأمر كذلك قد تعرض للحريق أو السرقة منذ وقت طويل . ومن الممكن ان هــذا الصحن بعد سوء الطالع هذا ، لم يركب له سقف مرة اخرى ولكـن أعيد استخدام الأعمدة الحجرية والأعمدة المبنيـة من الطوب الأحمـر

السهلة المنال لكي تحمل الجناحين والشرفه العلوية التي أعيد بناؤها . وقد بني حائط مستعرض سميك في المكان الذى كان يشغله الحاجز ذو الأعمدة . وقد برز من وسط هذا الحائط عقد واسع يصل الى اتســـاع الفتحة التي كانت موجودة بين عمودى الحاجز وذلك عند مقارنة تخطيط هذه الكنيسة بتخطيط كنيسة الأنبا بيشوى .

ولما نبذت الألواح الخشبية وأصبح من الصعب الحصـــول عليهـــا لندرتها ، أقيمت القباب فوق الجزء من المبنى المطلوب تغطيته ، وأصبح من المرغوب فيه توفير مساحات مربعة تبرز عندها القباب لتدعيم المبنى الخرب تقريباً ، ومساندة القباب التي تظهر مستديرة في الرسم التخطيطي . وتم ذلك ببراعة فائقة عن طريق بناء دعائم من الطوب الأحمر تعمل في نفس الوقت على تدعيم الأجزاء الضعيفة من المبنى الأصلي .

وقد زخرفت حوائط الحنيات الثلاث بصفين من الأعمدة والأعتاب كما سبق أن ذكرنا ، ومن الأسلم القول بأن الحنيات قد نجت من الخراب الفعلى بالحريق ؛ ولذلك فهي أصلية .

وتم اخفاء السطح الأصلي للجدران في جميع الأجزاء تقريباً نتيجة لبناء الدعامات الضخمة لحمل القباب ، وملء الفراغات التي بين الأعمدة كما ذكرنا من قبل . ولما أزيلت الحوائط التي سدت الفسحات التي بين الأعمدة استطعنا رؤية الواجهات المثلثة الشكل والأعمدة الصغيرة التي تزين الحنيات الصغيرة في جدران الهيكل .

ويوجد الآن حاجز صلب من أشغال الخشب يسد الحنية الشرقية . وهناك أيضاً حاجز من الأشغـــال الخشبية المفرغة يحيط بالمكان المخصص للنساء في الحنية الجنوبية . ويوجد الى يسارنا مباشرة عند الدخول ، فراغ يتم الوصول اليه عن طريق سلم متداع . وهذا هو المنبر .

ويقدم لنا أبو صالح (ص ٢٣٥) بعض خصائص الدير الأبيض ولكن يبدو أنه لا يذكر شيئاً عن الدير الأحمر الذى بالقرب منه . فيقـــول : « أما عن دير القديس العظيم الأنبا شنودة (سانوتيوس) بالقرب مـــن

اخميم فان هذا الدير كنيسة كبيرة (١) واسعة بها يكفى لاستقبال آلاف الناس وفى داخلها جسدا القديسين الطاهرين برثلماوس وسمعان القانوى وهما من جملة التلاميذ الاثنى عشر .

ويوجد فى هذا الدير حصن ، وحول الحصن والدير سور بداخله حديقة بها جميع أنواع الأشجار » . ويمضى بعد ذلك فيذكر قصة تبين أنه « لم تدخل هذه الكنيسة أية سيدة منذ البداية » .

ومن الصعب استنتاج أية ملحوظة عن هذه الكنيسة بدون العودة الى العبارات الرائعة التى ذكرها مسيو أميلينو على ص ٨٨ من كتابه : « Vie de schnoudi » حيث يقول :

« ومازالت المبانى التى أقامها هؤلاء الرجال الشجعان (القديس سنوتيوس ورهبانه) باقية حتى اليوم . ولم يتم تحريك اى حجر من مكانه. ولقد أوضحنا من قبل وكما هو واضح للعين المجردة ان كافة احجار الزاوية الجنوبية الغربية قد سقطت ثم أعيد بناؤها . (إن الجدران ذات السمك الكبير لا يقل طولها عن ١٢٠ متراً بينما يبلغ عرضها مائة متر) والحقيقة هى أن مساحتها ٧٥ × ٣٦٫٨٥ مترا ، ويتم الدخول الى الدير عن طريق المدخلين اللذين فى المواجهة وليس من باب السور المحيط . وعندما زار مسيو أميلينو الكنيسة كان من السهل مشاهدة ثلاثة مداخل لا يوجد بينها مدخل واحد يؤدى إلى الدير (أما عن ذلك الذى يتم الدخول منه اليوم فإن عرضه يزيد على ١٥ متراً . ولكنك تصاب بالرعشة عند عبور ظلام الممر ، أما الرهبان الذين يقيمون داخل هذه الجدران فقد خرجوا من العالم) . ولم يكن هذا الممر إلا ملحقاً يستعمل لأغراض الدفاع ، ولا يشكل فى ظاهره جزءاً من المبنى الأصلى . وتوجد الكنيسة الكبرى على يمين هذا المدخل».

ويذكر مسيو أميلينو أن هذا المبنى المنكمش الحزين الذى تقام فيه الواجبات الكنسية هو كنيسة الدير .

وقد دافع مسيو أميلينو عن آثار مصر القبطية بقوة ، حتى اننا نلتمس العذر لعدم مناقشة عباراته عن الدير الابيض .

---

(١) تكفى هذه العبارة فى حد ذاتها لبيان ان المبنى الذى نراه الآن ما هو الا كنيسة الدير .

دير الأنبا بيشوى (الدير الأحمر بسوهاج)

(اللوحات ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١)

يقوم مبنى هذا الدير مثل مبنى ديــر الأنبا شنودة فى الصحــراء عند الطرف الغربى البعيد للأرض المزروعة التى لا ترتفع هنا بشكل فجائى كما هو الحال فى الجنوب حيث يقوم الدير الآخر . وتقع تلال الحجــر الجيرى القاحلة على مسافة قليلة فى الاتجاه الغربى . وهو على خلاف دير الأنبا شنودة لا يقف منعزلا بل أقيم بالقرب منه عدد من المنــازل بعضها فى الجنوب وبعضها فى الشرق . أما المنطقة التى فى الشــمال الغربى والجنوب الغربى فهى مغطاة بأنقاض الطــوب . وما زال الفناء المستطيل الذى تغطيه هذه الأنقاض محصوراً داخل بقايا حائط مــن الطوب(١) . واذ عدنا الى الرسم التخطيطى ، فسنلاحظ أن مبنى الكنيســة الذى يطلق عليه الآن ومعه القاعة المجاورة اسم : الديــر ، صغيــر بالمقارنة مع الفضاء الذى يحصره هذا الحائط .

وقد بنى الحائط الخارجى بالطوب الأحمر الصغير الحجم والمبنى مع الوصلات العريضة بمونة بيضاء جيدة . أما عن طبقــة الطــوب الموضوعة حالياً ـــ فمن ذلك الذى يفكر كثيراً فى الوصلات الجيــدة والأوضاع الرأسية التى يجب أن توضع بها الوصلات التبادلية الواحــدة فوق الأخرى ؟ وبناء هذه الحوائط بالطوب ليس جيداً بما فيه الكفاية ولكن الانتظام الدقيق الذى يستحق الاعجاب ، يقدم بناء أكثر جودة من المبنى القديم الأقل انتظاما حيث تتوافر دائماً كمية كبيرة من المونة . وقوالب الطوب نفسها غير منتظمة من حيث الحجم ولكنها ذات أشكال جيدة .

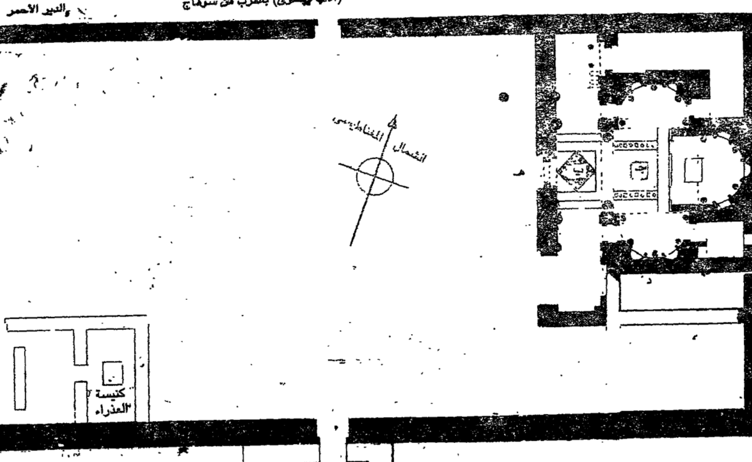
والحوائط المحيطة بالمبنى أشد سمكا عند القاعدة منها عند القمة ، ويتركز الانحدار المتناقص على الوجه الخارجى . ويعلو الحوائط كورنيش حجرى ، يتشابه مقطعه مع مقطع كورنيش دير الأنبــا شنودة ، وهو الكورنيش المصرى بعد استبعاد الخيزرانة التى أسفله . والأحجار التى يتكون منها الكورنيش صغيرة وارتفاعها أكبر من عرضها .

---

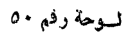
(١) انظر الشكل رقم ٣٧ .

لوحة رقم ٤٩

الدير الأحمر (الأنبا بيشوي) بالقرب من سوهاج



مقياس الرسم ١ : ٧٠٠



الدير الأحمر

(دير الأنبا بيشوى)

سطح أخشاب السقف

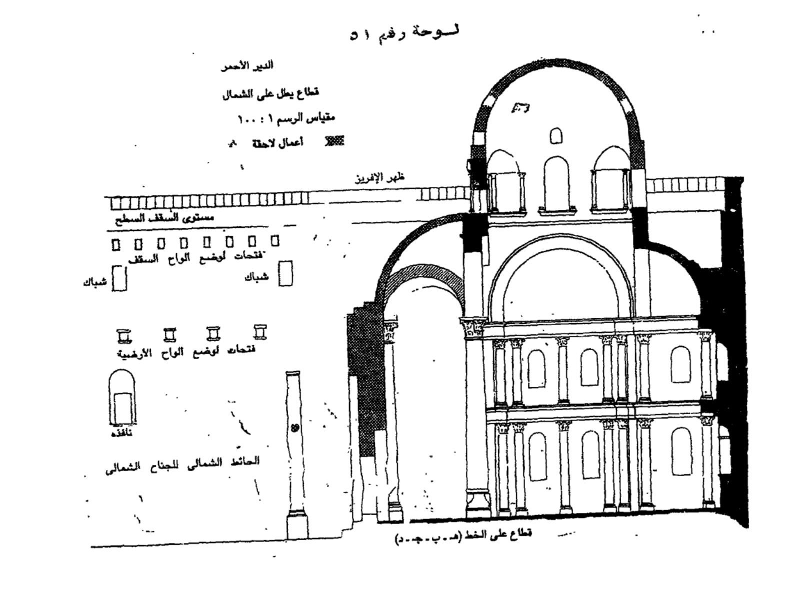
سطح أخشاب الأرضية

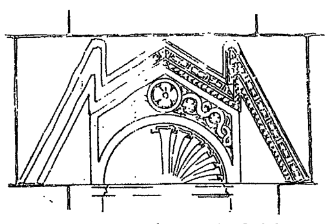
قطاع على الخط ا - ب

قطاع على الخط (جـ - د)

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

لــوحة رقم ٥١





شكل رقم ٣٥ : الدير الأبيض - راس حنية

وفيما يخص المسقط الأفقى عند سطح الأرض فقد ترك محل شك فيما عدا الترتيبات التى فى الركن الجنوبى الغربى حيث توجد البئر . وكذلك موضع الحجاب لعدم وجود بيانات نعتمد عليها ، ومن غير المعقول افتراض أنه كان مقاماً فى العقد الذى يقع غرب القباب الثلاث مباشرة .

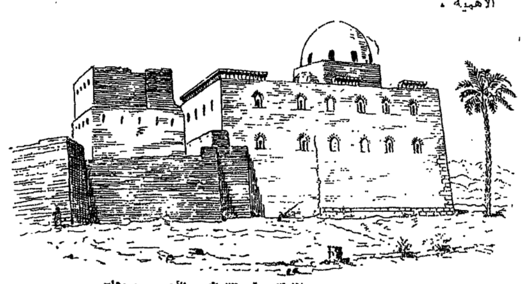
وفى الدور الثانى نجد فى المدخل الرئيسى الذى نصل اليه من سلم فى الطرف الغربى ، شرفتين واسعتين فوق الجناحين . وتتضح لنا سطوح أرضيات الشرفة والسقوف بالفتحات التى فى الجدران تلك التى كانت مجهزة لوضع ألواح الخشب وهى مازالت موجودة . ولا يوجد دليل مباشر على ما اذا كانت الأعمدة التى فى الصحن قد ربطت بالعقود أم الأعتاب . واذا وضعنا فى اعتبارنا ارتفاع الأعمدة وسطوح أرضيات الشرفات ، فمن المرجح احتمال وجود عقود .

وليس لدينا دليل يبين كيفية اتصال الشرفات بالصحن ، وكذلك لا نستطيع بيان كيفية اضاءة الصحن . ويبدو لنا أن استخدام سقف من الخشب وليس قبة فوق الفراغ المغطى الآن بالقبة الرئيسية للكنيسة غنى عن السؤال . ولم تكن الجدران والعقود المبنية هنا وفى القسم التالى غرباً ، قوية بما يكفى لحمل سقف حجرى .

ولابد أنه كان هناك سقف خشبى فوق المبنى كله . وفى الوقت الذى بنيت فيه هذه الكنيسة كانت معظم المبانى فى ايطاليا مغطاة بسقوف خشبية كبيرة المساحة . واذا نظرنا الى الفكرة العامة عن داخل الكنيسة كما وردت الينا ، فسنجد أنها تتضمن اسلوب تركيب السقوف . ويجب الا نغفل وجود سقوف خشبية بالاسكندرية .

أما حوائط الكنيسة نفسها فهى مبنية من الطوب ، والوجه الخارجى منها يخفى خلفه الداخل المبنى من الحجر الجيرى فى أجزاء عديدة منه . بينما هو فى الحوائط الأخرى مغطى بالجص . أما الأعمدة فهى من الحجر الصلب أو الجرانيت . وتحتوى الحوائط الخارجية على صفين من النوافذ .

وقد راعينا أثناء وصف كنيسة الانبا شنودة الاهتمام بقطع الأخشاب الموضوعة تحت أعتاب الحنيات الحجرية للمساعدة على ابقائها فى أماكنها . وقد نظرنا باهتمام شديد الى نظام وضع الالواح الخشبية الصغيرة فى هذه الكنيسة حيث نجد أن هناك قطعاً طويلة مبنية فوق عقود الحنيات . ولو كانت هذه القطع قد امتدت الى الأركان ، وربطت معاً حيث تتقاطع لأصبحت ذات أهمية كبيرة كروابط طوال فترة وجودها، ولكن طالما أنها بنيت فى الجدران بالشكل الذى حدث ، فانها تصبح قليلة الأهمية .



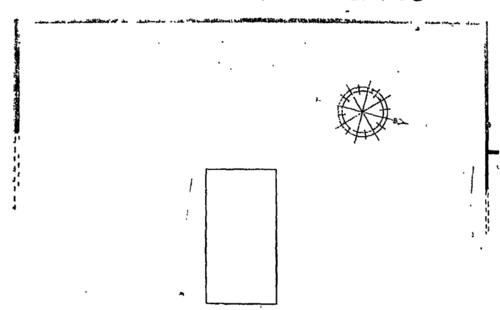
الشكل رقم ٣٦ الدير الأحمر ـ سوهاج

واذا تتبعنا انحناءة أعتاب الحنيات فسنجد أن الخشب فى معظم الأجزاء قد حل محله الطوب الأحمر . أما الطبقة الحجرية التى فى واجهة الجدران وهى طبقة رقيقة جداً ، فقد قسمت أيضاً بواسطة سيور افقية من الخشب ، بعضها ظاهر ، بينما البعض الآخر مخفى خلف طبقة رقيقة من الجص وضعت فوق السطح الداخلى للجدران . وقد خدش السطح الظاهر للخشب فى بعض الأماكن بخطوط رأسية وصلبان. وتم تنفيذ ذلك بانتظام يجعل من الصعوبة التفكير فى أنه مجرد أسلوب لعمل ثقوب فى الجص .

وقد غطيت الحنيات الثلاث التى فى الطرف الشرقى بأقباء من الطوب الأحمر ، وكذلك فان جدران المبنى المربع الذى فوق عقود الحنيات قد بنيت هى الأخرى من الطوب . حقاً ، انه فيما عدا الطبقة الرقيقة من الحجر التى بنيت فى واجهة الحوائط المتجهة الى داخل الكنيسة فان جميع الأجزاء مبنية بالطوب الأحمر .

وقد عانى الطرف الشرقى لهذا المبنى أقل مما عاناه دير الأنبا شنودة . ويتضح لنا التشابه الشديد بين الاثنين . أما المعالم ذات الأهمية المفقودة فى الكنيسة الأكبر فهى سليمة هنا وتبين لنا الشكل الذى كانت عليه الكنائس الأخرى . وكانت المبانى التى فى داخل السياج المستطيل المبنى بالطوب الأحمر تتكون فقط من : (أ) الكنيسة ، (ب) قاعة كبيرة فى ناحيتها الجنوبية ، (ج) بعض الغرف الملحقة بالطرف الشرقى للكنيسة . وليس هناك دليل على وجود رواق . وليس من المعقول وجود رواق لعدم وجود مدخل فى الطرف الغربى للمبنى يمكن الدخول منه لهذا الرواق أو للكنيسة . والواضح أنه كانت هناك شرفة علوية فوق جناحى الكنيسة ؛ لان الفتحات التى تدخل فيها ألواح الأرضية والسقف مازالت ظاهرة ؛ ولكن موضع السلم الذى يوصل الى الشرفة غير واضح، وهناك دلائل عند الحائط الغربى فوق المكان الذى يعتبر الآن مقصورة صغيرة تسمح بوجود السلم فى هذا المكان . وقد نجد عند المقارنة بين عدد كبير من الرسومات التخطيطية للكنائس ، أن المدخل الغربى

ليس من المعالم المعتادة ، بينما نجد فى الطرف الغربى دائمـاً المـدخلين الشمالى والجنوبى وكذلك السلم .



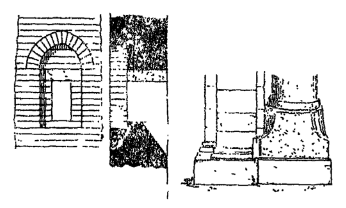
شكل رقم ٣٧ : الدير الأحمر

يظهر هنا حائط السور المبنى بالطوب وهو يحيط بالكنيسـة والدير - مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠

واذا نظرنا الى المبنى من على بعد قليل ، فسنجد أنه يتمتع بنفس روح البساطة التى تميز دير الأنبا شنودة (انظر الشكل رقم ٣٦) . وبتشابه التخطيط الخارجى مع تخطيط المعبد الفرعونى . أما الجدران فيعلوها كورنيش يشبه تلك التى فى دير الأنبا شنودة . ويظهر صفـان من النوافذ فى الجدران الخارجية . والنوافذ عبارة عن فتحات صغيرة مستطيلة ولكنها تتجه نحو الخارج وهى موضوعة داخل فتحات حنيات مدببة (انظر الشكل رقم ٣٨) . ولا شك فى أن العديد من هذه النوافذ مجرد جنيات للزينة ، تعطى روح التناسق للخارج . وهنا نوافذ أخرى بارزة . ونجد فى بعض الأماكن طبقة رقيقة من الجص فوق الجـدران الخارجية ولكنها غير موجودة على المستوى الأعلى الذى يمكن عنـده المحافظة عليها .

وهناك مدخلان ــ أحدهما فى الشمال والآخر فى الجنوب . وينفتح الشمالى منهما على الجناح الشمالى من الصحن مباشرة ، وهو عبارة

عن فتحة مستطيلة بها ركائز وعارضة علوية من الحجر الجيرى ، والعارضة العلوية مزخرفة بزخارف محفورة . أما المدخل الذى فى الحائط الجنوبى فهو مواجه لذلك المدخل الذى فى الشمال وهو من نفس الشكل المستطيل وبه ركائز عليها تيجان مزخرفة على كلا الجانبين ، ولكنه سليم تماما بسبب المبنى الملحق بالجهة الجنوبية من الدير ، حتى انه من الصعب التأكد من شكل المدخل . وهذا المدخل هو الوحيد المستخدم الآن . ويمكن الوصول اليه عن طريق ممر ينحنى بزوايا قائمة ونتيجة لذلك فهو مظلم كالليل .



الشكل رقم ٣٨ : الدير الأحمر ــ تفاصيل النوافذ والأعمدة

وعندما ندخل من المدخل الجنوبى نجد انفسنا فى ممر ضيق بين المنازل، ونتقدم فى فضاء هو صحن الكنيسة . ويغلق الطرف الشرقى للصحن حائط مرتفع مبنى بالطوب الأحمر ، فى وسطه مدخل داخل عقد مدبب من الطوب ، وقد بنيت فيه أحجار منحوتة متفرقة من أجزاء مختلفة كزخارف للمدخل وفوقها حنية صغيرة . ويشكل هذا الحائط الآن الحد الغربى للكنيسة . والتخطيط الأصلى هو نفس تخطيط كنيسة الأنبا شنودة أى أنه من الطراز البازيليكى .

وكما حدث فى الحالة السابقة ، سنبدأ بالوصف المفصل للطرف الشرقى من الكنيسة وهو أكثر أجزائها اثارة وأفضلها من حيث الاحتفاظ بالسلامة .

تبرز ثلاث حنيات من داخل مساحة مربعة بعداها هما ٤٫٥٠ × ٤٫٥٠ متراً . والحنيات فى اتجاهات الشمال والشرق والجنوب ، ومغطاة بأنصاف قباب . وقد زخرفت جدران الحنيات بأعمدة منفصلة فى صفين ويعلو كلا منها عتب . وهناك حنيات صغيرة بين هذه الأعمدة . وتظهر الحنية الصغيرة الوسطى فى الحنية الشرقية نصف دائرية على الرسم التخطيطى . أما الاثنتان الأخريان فانهما مربعتا الشكل . وتظهر الحنيات الصغيرة اللائى فى الحنيتين الشمالية والجنوبية نصف دائرية على الرسم التخطيطى . والوجوه الرأسية للأعتاب ليست مزخرفة ولكن الكرانيش مزخرفة فى جميع الحالات .

ذكرنا أن هناك ألواحاً رفيعة من الخشب موضوعة تحت الأعتاب . وقد فسدت هذه الألواح فى أماكن عديدة أو سرقت ووضعت بدلا منهـا حوائط مبنية بالطوب بها فتحات فوقها عقود مرتبطة بالحنيات الموضوعة بين الاعمدة . وهذه الحوائط المبنية بالطوب تخفى تماماً الحوائط الأصلية للحنيات وتطبق على الأعمدة . وبصرف النظر عن حقيقة وجود زخارف فى شكل ركائز وواجهات مثلثة فى كل حنية ، فاننا لا نرى أكثر من ذلك (أزيلت هذه الحوائط الدخيلة فى سنة ١٩٠٨) .

دعمت الحنيات المفتوحة على الفضاء المستطيل بثلاثة عقود تامـة من الحجر . وفى الغرب اكمل المستطيل بعقد محمول على عمـودين . ويعلو هذا الفضاء الآن حجرة للاضاءة تظهر مربعة فى الرسم التخطيطى وفوقها قبة ، وهما مبنيتان معاً بالطوب . وكذلك اقيمت دعائم من الطوب عند مدخل الحنية الشرقية ؛ ولكنها لا تصل الى أعلى مواضع بروز العقد .

ونرى الآن فوق العقود طابقاً صغيراً للاضاءة تعلوه قبة . ويعتبر الجانب الشرقى منه حتى تيجان أعمدة الركائز التى بجانب النوافـذ الصغيرة أصلياً . وكذلـك فـان النصف الشرقى للجـانبين الشمالى والجنوبى أصلى . وقد تداعى وسط الجانب الغربى نتيجة لانهيار العقد الغربى ولكن حتى فى هذا المكان لم يسقط الا وسط العقد . وبقيـت الجدران التى فوق الأجزاء الخلفية . وعندما أعيد بناء العقد بنيت حنيـة

تحتضن نافذة فى المكان الذى كانت فيه النافذة القديمة . ويصعب القول بأن تلك الحنية كانت فى نفس مكانها . كما يصعب الشك فى سقوط العقد ففى هذه الحالة كان لا بد من انهيار البناء الحجرى الذى فوقه ، لو حدث ذلك بالفعل.

وما زال التصميم الأصلى للطابق الصغير واضحاً . لقد كانت به ثلاث نوافذ فى جوانبه : الشمالى والشرقى والجنوبى . واعتمادا على وجود روابط معينة فى الحائط الغربى ، يحتمل وجود نوافذ أخرى فى ذلك الجانب . ومن جهة أخرى فان استمرار بقاء بقايا هذا الجانب محاطة جزئياً فى مواجهتها للبناء الحجرى المشغول — وهى احاطة غير موجودة فى الجوانب الثلاثة الأخرى — فمن المؤكد أن سقف الصحن أو الجناح يشمل هذا الحائط الظاهر من أرضية الكنيسة . وقد بنيت جدران الطابق الصغير بالطوب الأحمر فيما عدا البناء الحجرى الذى ذكرناه . وهناك قواعد وركائز حجرية فى النوافذ الصغيرة . وقد غطيت المساحات فيما بينهما بالجص . وقد فتحت النوافذ الجانبية فى الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية لكى تحمل القبة . وتعمل هذه الحقيقة مع رقة الجدران والوصلة غير الكافية هناك على مقاومة الضغط ضد الحائط الغربى مما يؤكد أن المنطقة المربعة لم تكن تعلوها قبة فى البداية . ويكمل المربع نحو الغرب عقد محمول على عمودين (العقد الذى ذكرنا انهياره منذ قليل) .

ومع التقدم من هذا العقد نحو الغرب ، نجد أنفسنا فى فضاء يماثل ذلك الذى أطلقنا عليه اسم (الجناح العرضى) فى دير الأنبا شنودة . وهو محاط الآن فى جانبه الغربى بالحائط المبنى بالطوب الذى ذكرناه من قبل ، ولكن هذا الحائط حفظ لنا الترتيب الأصلى . وقد بنيت فى منتصف الطريق الى هذا الحائط اربعة أعمدة يقف اثنان منها على خط واحد مع صف الأعمدة الذى فى شمال الصحن وجنوبه . والأعمدة الوسطى أطول من تلك المجاورة لها ، وتتشابه فى الارتفاع والموقع مع الدعائم التى تساعد فى حمل العقد الغربى تحت الطابق الصغير . وكم نشعر بالتقدير للفكرة

المعمارية التى تقود العين من الصحن الواسع الى العقد الضيق الذى خلفه ! .

ومن المحتمل أن يكون رصف هذا الجزء من الكنيسة أصلياً . وهو يتكون من مربعات صغيرة من الجرانيت الأسود والبازلت معشقــة فى شرائط من الرخام الأبيض . ويوجد اختلاف فى مستوى سطح أرضيــة البناء على خط حاجز الأعمدة . ومن الواضح أن أرضية الصحن منخفضة. ولكننا لا نستطيع تحديد مقدار الإنخفاض ؛ نظراً لعدم بقاء أى جزء منها .

ولحسن الحظ ، فان المعالم المعمارية لهذا الجزء من الكنيسة سليمة بشكل أفضل من حالتها فى كنيسة الأنبا بيشوى ، وكذلك لا توجد حوله ركائز ودعامات من الطوب بهدف المحافظة عليه .

والأعمدة الرئيسية الأربعة منحوتة من كتلة صخرية واحدة . وقد نجحت تيجانها بزخارف من أوراق الأكانتس باتقان ، وهى مرتبــة بنفس طريقة ترتيب العمود الكورنثى . أما عن الركائز المتعلقة بهذه الأعمدة. فان الأصغر منها يرتبط بالأعمدة الأقصر التى تشكل جزءاً من بهو الأعمدة الذى يفصل الجناحين عن الصحن . ونجد فوق الصف الأسفل مــن الركائز ، مزيداً من الركائز والحنيات التى تشكل تركيبة معمارية متقنة كما تظهر من الصحن .

ومن الصعب أن يكون الترتيب الطقسى لهذا الجزء من البناء بوضعه الحالى أصلياً . ويمتد حاجز خشبى صلب من أمام احدى الدعــامات المبنية بالطوب الى الدعامة الأخرى . وما دامت الدعامات قــد وضعت وليس لها موضع فى التركيب المعمارى للتصميم ، فاننا لا نستطيع اعتبارها نقاطاً ابتدائية للحجاب الأصلى .

ويظل مستوى ارتفاع الأرضية داخــل الهيكــل هــو نفس مستوى ارتفاعها خارجه . ولا يقدم لنا الوصف أى مساعدة . وفى داخل الحجاب نجد المذبح المكعب الشكل المعتاد .

وليست هناك مذابح فى الحنيتين الشمالية والجنوبية والحقيقة انه لا يوجد مكان للمذابح . وتقف الأعمدة فى الحنية الشرقية والحنيتين الجانبيتين فوق قاعدة منخفضة يبلغ ارتفاعها نفس ارتفاع الارضيه ، وليس هناك مكان لوضع صف من المقاعد وفى نفس الوقت بنيت غرف صغيرة على كلا جانبى الحنية الشرقية على اليمين واليسار ، ولكن تلك التى على اليمين تتضمن المعمودية .

ويوجد فى الطرف الشمالى للجناح العرضى مبنى به شروخات يصل ارتفاعه الى عدة درجات وهو مستخدم كمنبر ، وهناك عمودان قديمان أسفله . ونشك فيما إذا كانا موضوعين فى مكانهما لتدعيم أرضية المنبر . وعند زيارتى الأخيرة كانت منطقة الصحن الأصلى وجناحى الكنيسة مشغولة تماماً بالمنازل ، ويظهر عمود من الجرانيت الأسود قائماً على قاعدته الأصلية بالقرب من الحائط الغربى للكنيسة الحالية . ولو كانت هناك أعمدة أخرى فلابد أنها داخلة فى المنازل . ومن الواضح من العلامات التى على الجدران انه كانت هناك شرفة فوق الجناحين ، كما هو الحال فى كنيسة الانبا بيشوى . وعندما نلاحظ الارتفاع الذى وصل اليه البناء الحجرى المزخرف فوق الحائط الغربى للطابق الصغير ، فاننا نفترض وجود جزء علوى منخفض من حائط الكنيسة فوق سقف المبنى .

أما المدخل الذى تحدثنا عنه فهو ينفتح مباشرة على الجناح الشمالى . وداخل هذا المدخل مغطى الآن بالمبانى ، ويقع المدخل الجنوبى مقابله . وكان من الضرورى هنا وكما حدث فى دير الأنبا شنودة ، أجتياز القاعة الجنوبية المستطيلة بالعرض وذلك قبل دخول الكنيسة .

وقد بنيت كنيسة صغيرة فى الركن الجنوبى الغربى للصحن ، ويبدو أن لها قيمة اثرية كبيرة ولكن جدرانها لا تتفق مع خطوط ايه جدران أخرى أصلية . وتوجد فوقها علامات على الوجه الداخلى للحائط الغربى للدير ، تبين انه كان هناك سلم فى هذا الموضع والمعتاد هو وجود السلم فى الركن الجنوبى الغربى . ويوجد فى غرب الكنيسة الصغيرة مباشرة البئر التى نظن أنها قديمة .

ويتضح لنا من ترتيب الجدران الخربة التى فى جنوب حنيات الهيكل وبعد مقارنة هذا المسقط الأفقى بدلك الذى يخص دير الأنبا بيشوى ، أن هناك قاعة طويلة تمتد بموازاة الجناح الجنوبى للكنيسة لكننا لا نستطيع عرض مواصفات هذه القاعة . وكانت هناك حجرة مربعة الشكل فى الطرف الشرقى للقاعة يمكن تتبع آثارها ، وكانت مقببة .

ولا يمكن الشك فى التشابه بين التخطيط والمعالجة المعمارية لهــذه الكنيسة وكنيسة الأنبا بيشوى فيما عدا أن أبعادها أصغر .

ومن نافلة القول الدخول فى تفاصيل أكثر عن هذه الكنائس . لقد تجمعت المادة الآن واعدت للنشر بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية ؛وذلك لاتمام عمل شاق يتضمن ليس فقط تقديم رسومات دقيقة لهــذه الآثار الثمينة ، بل أيضاً صوراً مثيرة للاعجاب ورسومات ملونة .

وتثير دراسة الرسومات التخطيطية للكنائس الثلاثية الحنيات بعض الأسئلة ذات الأهمية . هل كان مسموحاً بان يخيط حجاب واحد بأكثر من مذبح واحد ؟ وفى الدير الأبيض تحتوى حنية الهيكل الشرقيــة على ثلاث كتل من المبانى الحجرية ؛ ولكننى لم أستطع التأكد من أن احداها تمثل مذبحاً أم لا ، لأن الدليل متناقض . وعندما نشاهد مدى سوء معاملة هذه الكنيسة وايضاً كنيسة الدير الأحمر ، وكيف تناقص الاهتمام بهما ، فاننا نجد مبرراً للشك فيما اذا كانت الترتيبات الحالية لم تتباعــد كثيراً عــن الأصل . ومرة اخرى فمادام الحجاب ضرورياً لحجب الأسرار التى يتم تقديسها على المذبح فلا بد أن نجد انفسنا ونحن فى الحنيات الجانبيــة للدير الأحمر والدير الأبيض نواجه هذه الصعوبة وجها لوجه (*) ولا بد أن تواجه المذابح اتجاه الشرق ولكن الحجاب المقام عبر مدخل الهيكل قد يكون فى أحد جانبى المذبح ؛ لكننا لا نجد اثراً يدل على هذا الترتيب فى

(★) ليس المقصود بالحجاب حجب الأسرار التى يتم تقديسها على المذبح كما كان يحدث فى العهد القديم لان هذه الوظيفة للمذبح قد الغيت فى العهد الجديد عندما أسلم السيد المسيح الروح على الصليب (واذا حجاب الهيكل قد انشق الى نصفين من فوق الى اسفل ـ مت ٢٧ : ٥١) ولذلك فالحجاب فى العهد الجديد لا يحول دون رؤية ما يجرى داخل الهيكل ، وأصبح يسمى : حامل الايقونات ـ (المترحم) .

أى مكان (*) وقد ذكرنا هاتين الصعوبتين دون أن نجد لهما حلا ولابد أن نترك هذا الأمر لهؤلاء الذين درسوا التقاليد والعادات القديمة للكنيسة القبطية .

واذا قارنا المساقط الأفقية للكنيستين اللتين وصفناهما مؤخراً بمساقط الكنائس الأخرى التى تجمعت لدينا هنا ، فسنجد أن ترتيب المذابح الثلاثة فى الجهة الشرقية نادر الوجود . ونرى أنه قد تطور فى كنيسة الأنبا سمعان بأسوان ولكنه غير موجود فى الحالات الأخرى. ولا يبدو أن هناك ترتيباً لوجود أكثر من مذبح واحد فى أى من هذه الكنائس الثلاث . ولا بد أن نضع فى اعتبارنا أن الالتزام بهذا التوجه لا يتعلق فقط ببناء الكنيسة بل انه يتعلق بالمذبح أيضاً (**) . وسنبين فيما بعد كيف أن توجه الكنائس التى أقيمت فى المقابر والمحاجر القديمة قد كابد صعوبات ملحوظة .

وكان من السهل فى كنيسة الدير الأبيض اقامة مذابح فى الحنيات الجانبية ولكن بطريقة سيئة مع مضايقات المداخل . أما الحنيتان الجانبيتان بكنيسة الدير الأحمر ، فهما صغيرتان وغير مناسبتين اللهم الا اذا واجه المذبحان الشمال والجنوب ، وهو أمر لا يمكن قبوله (***) .

(★) ذلك الترتيب غير موجود لأن هذا هو الوضع الطبيعى للحجاب فى العهد الجديد لكى يذكر المصلين بزوال دور الحجاب فى العهد القديم . أما عن وجود ثلاثة مذابح فى الكنيسة فان ذلك ضرورى لاتاحة الفرصة لاقامة أكثر من قداس واحد فى اليوم الواحد . (المترجم) .

(★★) لا تحتاج كنائس الرهبان الا لمذبح واحد لأنهم يشتركون معا فى إقامة القداس الذى يسمح للزوار بالمشاركة فيه عند وجودهم . أما الكنائس العادية خارج الأديرة فلابد من وجود ثلاثة مذابح على الأقل ، لامكان اقامة أكثر من قداس واحد اذا استدعت ظروف شعب الكنيسة ذلك لأن المذبح لا يقام عليه قداس ثان الا بعد مرور تسع ساعات على الأقل وهى الفترة التى تحسب صوما للمذبح وأدوات المائدة المقدسة ولذلك لابد من أقامة القداس الآخر على مذبح آخر وبأدوات مائدة أخرى وبمعرفة كاهن آخر ، وذلك فى حالة عدم مرور الساعات التسع اللازم توافرها - (المترجم) .

(★★★) لابد من وجود المذبح فى اتجاه الشرق والمصلون يتجهون بأبصارهم أيضا نحو الشرق أى الاتجاه الذى يأتى منه السيد المسيح فى مجيئه الثانى (لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان - متى ٢٤ : ٢٧) (المترجم) .

أما فى كنيسة دير القديس سمعان بأسوان ، فلا بد من وضع المذابح فى الحنيتين الجانبيتين مع تحقيق التوجه الصحيح .

دير العذراء بالجنادلة

(اللوحة رقم ٥٢ ـ الشكل رقم ١)

تقع أطلال هذا الدير على خط مباشر غرب صدفا ، ومحطة السكك الحديدية جنوب اسيوط قليلا ، وبعد ركوب الدواب لمدة ساعة وعشر دقائق نصل الى قرية الجنادلة التى تقع على الحافة الغربية للأرض المزروعة . ولكى نصل الى القرية لا بد لنا من عبور منخفض ربما كان مجرى قديماً لاحدى الترع التى يصعب جفافها حتى فى شهر أبريل . وتقع الجنادلة على الحد الغربى لهذا المنخفض ، وتوجد فى القرية كنيسة قديمة قبطية وكنيسة حديثة كاثوليكية وكنيسة للارسالية الأمريكية وبذلك فان المذاهب الدينية محفوظة . وتقع القرية على تل . ولا شك فى أن هذا الموقع اثرى . ثم نأتى الى المنحدر الطويل الذى يتكون من الحصى والأحجار المكسورة التى تهبط من سلسلة الصخور التى فى مواجهتنا ، ويصل ارتفاعها الى حوالى ٦٠٠ قدم على الأقل . وعند قاعدة هذه الصخور وفى مواجهتنا مباشرة توجد بقعة سطحها داكن اللون بالمقارنة الى صخور الحجر الجيرى المحيطة . وفى شمالى هذه البقعة علامات سوداء تدل على وجود ثقوب فى الصخرة . وفى الجنوب نجد فتحة واد قاحل مدبب يخترق الصخور التى تقع فى الجنوب مباشرة . ومع التقدم الى الأمام فان البقعة الداكنة اللون تتبدد تدريجياً حتى نصل الى جدران الدير .

والجبل الصخرى هنا فى وضع رأسى ، ولكننا نجد عند ارتفاع حوالى ١٥ متراً فوق سطح الصحراء حافة بارزة ، جزئياً طبيعية ، وجزئياً من أنقاض المحجر القديم . ومن المفضل أن نوضح أن المحجر المصرى القديم يختلف كثيراً عن المحجر المعتاد فى انجلترا . فالمصرى لا ينتج عنه ثقب كبير مفتوح فى الفضاء ، ويستهلك الجزء الأكبر منه فى استخراج الأحجار . وفى حالة صخور الحجر الجيرى التى بها طبقات أفقية من الأحجار الجيدة بين طبقات من مادة غير صالحة للبناء ، يقوم البناء باختيار الطبقة التى يتفق عليها ثم يبدأ رجال المحجر فى شق طريقهم خلال واجهة الصخرة مباشرة . ويستخرج الحجر من الجبل

لوحة رقم ٥٢

دير العذراء

الجنادله بالقرب من صدفا

شكل رقم ١

و

اد

هـ

ج

د

ب

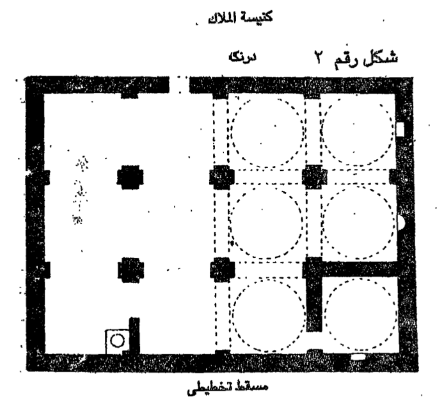
ا

الكنيسة الجديدة

مسقط تخطيطى

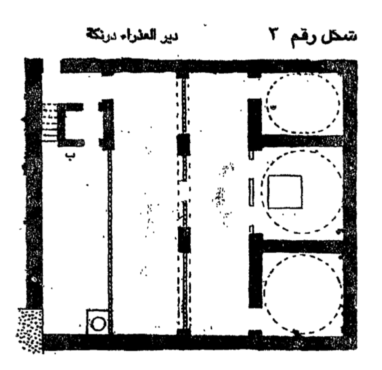
كنيسة الملاك

شكل رقم ٢ درنكه

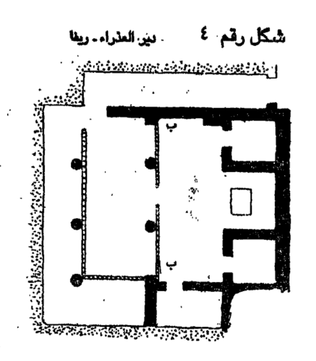


مسقط تخطيطى

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠



شكل رقم ٣ دير العذراء درنكة



شكل رقم ٤ دير العذراء - ريفا

الصخرى فى شكل كتل مستطيلة بالاضافة الى الأحجام التى يطلبها البناءون . وقد تركت أعمدة من الصخر على مسافات معينة لحمل الكتلة الرئيسية . وهذه الطريقة النظيفة لإستخراج الأحجار تترك سلسلة من الحجرات المحفورة فى الجبل الصخرى ، التى تمتد فى الغالب الى مسافات كبيرة . وكانت السقوف مستوية ، والجدران رأسية تقريبا . ومن السهل عمل حجرات صالحة للسكن فى أركان الحجرات الكبيرة كما سنرى بالفعل ؛ وذلك باقحام القليل من الجدران المبنية بالطوب اللبن . لقد أقيمت كنائس صغيرة فى المحاجر تحت ظروف مواتية .

وعندما نقترب من دير العذراء نأتى أولا الى البئر عند قاعدة المنحدر . وهذه البئر قطعة فنية ، يبلغ قطرها خمسة أمتار ، وهى مبنية حتى القاع بالأحجار من النوعية الصغيرة . وتبلغ المسافة حتى الماء ٢٠ متراً على الأقل . وقد أقيم عقد من الحجر عبر البئر ، ومازالت الأعمدة الحجرية قائمة عند الجوانب لتركيب الساقية . وعند البئر نشاهد الدير محاطاً بحائط فى جوانبه : الشمالى والشرقى والجنوبى بينما يحده من الغرب الجبل الصخرى العابس . وقد بنى الحائط حتى ثلثيه بالأحجار المربعة . وتوجد على مسافات متساوية ركائز تظهر نصف دائرية على الرسم التخطيطى .

ونصعد منحدراً عالياً نحو فتحات المحجر المستطيل الذى يتثاءب فى واجهة الجبل ، ونشاهد على يسارنا المدخل فى الحائط الشمالى للسور داخل عقد مدبب تقريباً . وتسند الباب صفائح من الحديد ، وعندما ندخل نجد أنفسنا فى فناء مهجور بينما تقوم الكنيسة الى اليمين مباشرة فى الجزء الشمالى الغربى للسور . والفناء ليس مستوياً ولكنه ينحدر نحو الجنوب ، ويمتلىء سطحه بقوالب الطوب المكسورة والطوب اللبن والطوب الأحمر والأحجار الصغيرة . وتبرز من خلال هذا الخليط حوائط من الصخر ، تمثل الفاصل الرفيع بين المقابر القديمة ، وقد تكسرت الأجزاء العلوية منها . ونستنتج بناء على ذلك ان المكان استنزف كثيراً منذ اقامة هذه المقابر وقبل انشاء الدير بوقت طويل . ونرى فى جميع الانحاء الأبواب الصغيرة المربعة التى تقود الى المقابر

المحفورة فى الصخر . وبالاضافة الى ذلك نجد مداخل المحاجر الضخمة التى تشبه الكهوف .

والكنيسة غير ملحقة بحائط من الحوائط وتقوم الى الجنوب قليلا من الحائط الشمالى مع وجود فضاء به مدخل مقبرة قديمة . وتستخدم هذه المقبرة الآن ممراً تعبره النساء لدخـول الكنيسة الصخرية ذلك لأن هناك كنيستين : القديمة منهما هى التى فى المحجر ، ثم الجديدة . أما الكنيسة التى تظهر قبابها من على البعد ، وتقف كما ذكرنا من قبل فى الجـزء الشمالى الغربى من السور ، فقد بنيت كما قيل لنا منذ حوالى خمسة وثلاثين عاماً . وهى مبنية على نفس التخطيط القديم فيما عدا أننا نجد ثلاثة اقسام بدلا من أربعـة اى أن هناك ثلاثة أقسـام من الشرق الى الغرب وليست أربعة . وكل قسم مغطى بقبة . وهناك ثلاثة مذابح . الشمالى مكرس على اسم القديس مقروفيوس ، والأوسط على اسـم القديسين بطرس وبولس ، والجنوبى على اسم مارجرجس . والحجاب المبنى من الحجارة به أبواب فى الوسط ، على جانبيها نوافذ صغيرة . ونرى فى واجهة الحائط الخارجية احجاراً مزخرفة متفرقة ، الواضح أنها أخذت من مبنى آخر ربما كان هو المبنى السابق له . وقد غطيت الجدران الداخلية بطبقة من الجص والجير . وقد وجدناه نظيفاً كما اتضح لنا انه غير مستخدم . والمسقط الافقى له يشبه ذلك الموضح فى اللوحة رقم ٥٢ ــ الشكل رقم ٢ وتقوم خلف هـذه الكنيسة مباشرة كنيسة أقدم منها مكرسة على اسم العذراء (اللوحة رقم ٥٢ ــ الشكل رقم ١) وهى مبنية فى مدخل محجر ، ويحيط بها جزئياً حـائط يمتد الى الجبل الصخرى الذى فى الخلف . وقد بنيت الكنيسة الجديدة مقـابل هيكل الكنيسة القديمة .

ويوجد فى هذه الكنيسة كما هو الحال فى الكنيسة الأحدث ، ثلاثة اقسام ، ولا يوجد بها القسم الرابع أى أقسام النساء والرجال والخورس والمذبح أو المذابح . وقد صنع الحجاب من اشغال الخشب العاديـة المزدانة بحشوات ذات أشكال هندسية ، وفى وسطه الباب .

وقد وضعت فى الحائط الذى يختفى فى الحجاب جزئياً ، أحجـار مزخرفة متفرقة ، وتناثرت حوله بشكل يوحى بأنها استقدمت من مكان

آخر . ونحت أحد الأحجار بزخارف تمثل فروعاً نباتيـــة ملفـــوفة تحصر عناقيد العنب وطائراً نقاراً . أما على الأحجار الأخـــرى فقـــد نقشـــت الصلبان المزخرفة بالطريقة المعتادة . ويوجد المدخل الرئيسى للكنيسة فى (و) فى نهاية ممر صغير ، تشكل أحد جانبيـــه من الصخـــر . أمـــا الفاصل (د ــ د) فهـــو من الطـــوب ولكنـــــه لا يصـــــل الى ســــقف المحجر . وهناك عند ارتفاع حوالى مترين من الأرضية حاجز من الطوب فى شكل شبكة . ويوجد الى الغرب من ذلك فضاء كبير فى جوف الجبل الصخرى . كما هو موضح على الرسم التخطيطى ، وسواء استخدم كقسم للنساء أم لا فاننا غير متأكدين من ذلك . وترك عمود من الصخر لتدعيم السقف المسطح ، ورسم فوق الصخر فى (هـ) صليب عـــلى أرضية غامقة اللون . وقيل لنا ان هذا الصليب يحدد المكان الذى اعتاد أن يصلى فيه بعض القديسين . وتدخل النساء الى الكنيسة عند (أ) من خلال المقبرة المنحوتة فى الصخر (ب) وبذلك يقتربن من الجزء (ج) المخصص للخورس ، والدير مهجور فى الوقت الحالى .

وتوجد على بعد عشرين دقيقة من المشى شمال الدير الذى وصفناه خرائب مدينة كبيرة هى مدينة السارجة التى تقع عند مدخـــل وادى السرج أو السرجة (لم نتأكد من معنى اسم الوادى وهل هو السرج الذى يوضع فوق ظهر الحصـــــان أم سرجـــة أى القديس سرجيوس) . أما واجهة الصخور التى ترتفع الى مائتى متر على الأقل ، وتكون جزءاً من سلسلة التلال الصخرية التى تحدثنا عنها من قبل بأنها قريبة من الجانب الغربى لوادى النيل ، فانها تنشق هنا عن فتحة هى عبارة عن مدخل وادى سرجة الذى يمتد فى اتجاه الشمال بموازاة واجهة الصخور ، ثم ينثنى فجأة نحو الشرق بزاوية قائمـــة منفتحاً على وادى النيـــل . ولا يمكن ملاحظة المدخل بسهولة من ناحية الطريق الصغير . وبعـــد دخولنا للوادى نشاهد فتحات المحجر المستطيلة المنخفضة وقد قسمت عن طريق أعمدة من الصخر ، وعندما ندخلها نجد أن كل حجرة تنفتح على الأخرى ، وأن الجدران بها العديد من الحنيات الصغيرة مع بقايا حوائط من الطوب يبدو انها ترتبط بها . ولابد أن هناك سلسلة مـــن الحجرات الصغيرة . وتظهر على الحائط فى الطـــرف الشرقى للمحجـــر

رسومات عديدة . والحقيقة أننا نواجه أمامنا الحائط الشرقى وحنية هيكل احدى الكنائس . ومن الواضح أن الحوائط الجانبية لهذه الكنيسة التى بنيت بالطوب متداعية ، ولم يتبق من الرسومات الا ما هو موجود على الصخر المستخدم كجدار . والسطح مغطى بطبقة من الجير الفاخر او (الجبس) كما يسمونه فى مصر ، وذلك حتى يمكن استخدامه كسطح جيد للرسومات . ويوجد فى قوقعة الحنية منظر العشاء الأخير الذى نشاهد فيه مائدة مستطيلة وفي طرفها الأيمن رسم لشخص يبدو وكأنه يتسلم شيئا . ولا يوجد مكان في الحنية الصغيرة لرسم جميع التلاميذ فجرى الاكتفاء برسم البعض منهم بينما انتشرت صور الآخرين على طول واجهة الحائط فى الناحيتين اليمنى واليسرى من المركز . ونستطيع أن نتتبع اثر مجموعة أفقية من الزخارف ذات الأشكال الهندسية بألوانها الحمراء والخضراء والقرمزية الداكنة فى أماكن عديدة داخل منطقة هذه الكنيسة ، ويقترب تصميمها من الطراز الشرقى ولكنه يتضمن أشكالا بيضوية ؛ مما يوضح أن فكرتها تمثل تطوراً غير عادى فى الطراز الشرقى . والأشكال محددة الخطوط مع استخدام الألوان الصفراء والخضراء هنا وهناك .

ويمكن تتبع آثار كنيسة ثانية فى غرب الكنيسة الأولى . ومازالت قوقعة الحنية المحفورة فى الصخر باقية مع حنية فى الجانب الجنوبى . ونستطيع مشاهدة زخرفة باللون الأخضر الباهت تحيط برأس الحنية الصغيرة من طراز العجلة المسننة .

وهناك القليل من النصوص القبطية التى كتبت باللون الأحمر على الجدران البيضاء ، وبعضها سليم . وهناك أيضاً بعض النصوص العربية وقد كتب تحتها بالقلم الرصاص بخط ردىء ، شخص متخلف قائلا عن نفسه انه « زار هذا المكان » ولسنا فى حاجة لبيان ماهية البلد الذي اتى منه .

درنكة ــ كنيسة الملاك

(اللوحة رقم ٥٢ ــ شكل رقم ٢)

تقع درنكة جنوب أسيوط قليلا ، عند سفح الخط الطويل من الصخور القاحلة التى تمتد من اسيوط الى ما بعد سبوهاج ، وتقوم

الكنيسة والقرية الجديدة القريبة منها على المنحدر عند سفح الصخور ويقال انه كانت توجد هنا لعدة قرون كنيسة تحولت الى خرائب. وأعيد بناؤها منذ عدة سنوات على نفس التخطيط القديم ·

ويبرر المسقط الأفقى والترتيب العام للمبنى الحالى العبارة السابقة تماماً . وبالنظر الى اختفاء العديد من الكنائس القديمة ، والاهمال التام الذى تركت بقية الكنائس لكى تعانى منه ، وحقيقة أن الكنائس الجديدة لا تبنى الآن حسب الطرازات القديمة والتاريخية ولكنها كما ذكرت من قبل عبارة عن نماذج للسذاجة التى لا تصلح للتصوير وقد بقيت حتى القرن التاسع عشر لكى تتطور فى مصر مثل غيرها فى سائر أجزاء الدنيا ، لهذه الأسباب المتنوعة خاطرت بالمحافظة على هذا التخطيط .

ويلاحظ أن الأقسام الفرعية لهذا التخطيط عادية . فالقسم الغربى من المبنى مخصص للنساء ، ويليه قسم الرجال ، ثم الخورس ، وأخيراً الهيكل . والمذبح الشمالى مكرس على اسم الأنبا بيشوى ، بينما كرس الأوسط على اسم الملاك . والأجزاء الستة الشرقية من الكنيسة مغطاة بقباب من الطوب . أما بقية الكنيسة الى الغرب فهى مسقوفة بالألواح الخشبية التى وضع فوقها بوص مغطى بطبقة من قوالب الطوب . والجزء الأوسط من قسم الرجال غير مسطح السقف ، بل تعلوه قبة صغيرة من الخشب والجص . والعقود التى تحمل الصف الغربى من القباب تضغط على الأعمدة التى تستند اليها ، واذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة فى حينها فانها ستنهار داخل قسم الرجال من الكنيسة وتؤدى الى تداعى المبنى كله . وتوجد المعمودية فى قسم النساء . ولا يوجد فى الحجاب سوى باب واحد فى الوسط .

وتقع فوق قرية درنكة الجديدة سلسلة من المحاجر البارزة فى صخور الحجر الجيرى الشديدة الانحدار التى ذكرناها من قبل . وكانت تحيط بالعديد من هذه المحاجر جدران من الطوب اللبن بنيت فى فتحاتها. وقد استخدمت ومازالت تستخدم كمنازل . واذا نظرنا الى هذه المنازل من السهل الأخضر الذى تحتها ، فانها ستظهر مثل أعشاش الطيور

ملاصقة لواجهة الصخرة . وتوجد كنيسة العذراء الأثرية بين هـذه الأعشاش ، بينما يقوم الطرف الغربى للكنيسة فى المحجر . أما الجزء الشرقى فانه مبنى فوق مصطبة صناعية . وكما هو ظاهر فى الرسـم التخطيطى (اللوحة رقم ٥٢ ــ الشكل رقم ٣) ، فاننا نجد الترتيب المعتاد لأقسام الرجال والنساء والخورس والمذابح . وتزداد أهميـة التوجـه الحقيقى بالرغم من وجود القليل من عدم الملاءمة فى البناء حيث نجد أن المدخل غير موجود بالجهة الشرقية حيث ينتهى ممر الدخول ، ولكن فى داخل المحجر فى غرب الكنيسة .

والمبنى مسقوف بألواح الخشب وطبقة من الطين مستقرة فـوق البوص فيما عدا الهيكل والحجرتين الملاصقتين له فى الشمال والجنوب حيث تغطيهم قباب مبنية من الطـوب . والسقف المسطح للمحجر أعلى من سقف الكنيسة وبذلك يسهل دخول الضوء الضرورى الى السقف من فوهة المحجر التى فى ناحية الشرق . والحجاب مصنوع من الخشب ومكون من حشوات بأشكال هندسية ولكنه لا يبدو أثرياً . وجميـع الأسطح الداخلية للكنيسة ، سواء أكانت هى الصخرة التى فى الركن الجنوبى الغربى أم الجدران المبنية بالطوب اللبن ، مغطاة بالجص والجير فيما عدا العقد المبنى من الطوب والذى ينفتح على الهيكل . وهنا نجد قوالب الطوب ملونة باللون الأحمر الداكن . أما وصلات المونة فهى شديدة البياض . وجميع العقود التى فى المبنى مدببة . أما الحواجز التى تحيط بقسم النساء وقسم الرجال فهى مصنوعة من الخشب المخروط بشكل جيد ، وهى من نوعية فاخرة بالنسبة لمثل هذا المبنى الخشـن والبدائى .

وبعد أن ارتقينا السلم فى (ب) أصبحنا نطل على الجزء الشرقى من الكنيسة ، وعلى صخرة ناتئة بها بعض الحوائط المبنية بأحجار الدبش . وقيل لنا انها بقايا كنيسة أقدم من الكنيسة الحالية وقد يكون الأمر كذلك ولكن ليس هناك شيء فى ترتيب الانقاض يبين الشكل الذى كانت عليه ، والقرية كلها تظهر مثل عش الطيور فى داخل المحجر فى خليط بهى غريب مكون من الجدران وقطع الصخور ، وأبواب قليلة فى أماكن غير متوقعة .

وقد هجرت المنازل وانتقل ساكنوها الى المنازل الجديدة التى بنيت فى السهل السفلى . وقد قمت بزيارتها فى أبريل سنة ١٩٠١ .

دير العذراء — ريفا

(لوحة رقم ٥٢ — شكل رقم ٤)

يقع هذا المكان جنوب المكان السابق بمقدار ساعة من الركوب على ظهر الدواب ، وموقعه أكثر أهمية من موقع درنكة . واذا نظرنا اليه من أسفل ، فإن أول ما نراه هو الظل العميق الذى يقع بين الأعمدة المثمنة الأضلاع التى فى مقدمة مقبرة ضخمة من طراز يماثل تماما تلك الأعمدة المعروفة فى بنى حسن . ويتم الصعود الى القرية بتسلق المنحدر ، ثم ارتقاء بضع درجات محفورة فى صخرة الحجر الجيرى القديمة . وبنيت بعض المنازل على طرف صغير من الصخرة ، ولكن القدر الأكبر من مواضع الاقامة يتمثل فى المقابر القديمة التى يوجد أمام بعضها حوائط تشكل حجرة اضافية أو حوشاً ولكن العديد منها يتكون فقط من غرفة الدفن القديمة أو عدة غرف . ونرى خارج الأبواب المربعة لهذه المواضع السكان الذين يتفحصوننا كالأرانب . وتبلغ مساحة كل من الأبواب الصغيرة أقل من ياردة مربعة .

وللممر الذى يوصلنا الى الكنيسة مدخل معقود يغلقه باب مغطى بإطار حديدى متين فى أعلاه منفذ للخروج . ثم ندخل الى فضاء مربع يشبه القاعة . وبعد الخروج منه نصل الى بعض منازل القرية أو ندور نحو اليسار لنرتقى مطلعاً قليل الارتفاع ثم نجد أمامنا مدخلا صغيراً تعلوه عارضة أفقية ، وقد نقش عليها زخارف ورقيــة متشــابكة ذات طبيعة انسيابية ؛ ولكنها مرسومة بأسلوب تكرار نفس التصميم ثم عكسه بالتبادل . ورسمت حيوانات متحفزة داخل لفائف الفروع ، ومنها على ما يبدو ثيران ، وكلب ، وطائر . وكلها ملونة باللــون الأزرق اللامــع ، ومن خلال هذا الباب ندخل الى الكنيسة . ومرة أخرى نلاحظ هنا مدى العناية التى بذلت لتحقيق التوجه . لقد ابتكر ممر ضيق داخل حجرة الحجر يؤدى من ناحية الغرب الى قسم الرجال بالكنيسة . ثم نصل الى الكنيسة من مدخل فى الجنوب .

والكنيسة بها الأقسام المعتادة للنساء والرجال والخورس والهيكل الذى توجد حجرة فى شماله وأخرى فى جنوبه . والحجاب مصنوع من الخشب مكون من حشوات ذات زخارف هندسية محكمة الصنع ، وقد ازدانت المساحات الخالية بتطعيمات من العظم . وهناك نقش على الباب بالحروف القبطية وبالخط العربى الكوفى . ويعتبر الحاجز فى مثل هذه الكنيسة الصغيرة من العجائب . ويقص علينا البعض قصة مؤداها أن الرجل الذى صنعه ، مات بعد أن صنع حاجزاً آخر . والمذبح مكرس على أسم العذراء .

والكنيسة مضاءة عن طريق فتحة فى السقف أمام الهيكل تماما . ويمتد سقف المحجر من الغرب بما يكفى لحماية هذه الفتحة . وقد أقيم الحاجز عند (ب — ب) من ثلاثة عقود ترتكز على أعمدة وجميعها من الطوب . أما الحاجز الخشبى فقد وضع مقابل الواجهة الشرقية للأعمدة وهو عمل جيد التنفيذ . أما الحاجز الذى يشمل قسم النساء فهو مفتوح على شكل شبكة فى جزئه الأسفل ، بينما يتخذ الجزء الأعلى شكل عقد . وعندما زرت الكنيسة كان داخلها اكثر نظافة من المعتاد — خاصة فى هذا العش الصغير المتواضع من المنازل التى تلمع مقابل واجهة الصخرة .

ويوجد فى المقبرة الضخمة التى ذكرناها من قبل ضريح صغير للقديس تادرس وهو مبنى من الطين ومسقوف بقبة صغيرة . ويذكر أبو صالح ص ٢١٤ — تحت عنوان : ريفا ودرنكة ، ما يلى :

« وتوجد هنا كنيسة اطلق عليها اسم القديسة العذراء الطاهرة ، وكنيستان باسم الشهيد العظيم تادرس ، وكنيسة باسم المخلص ، وكنيسة باسم القديس يوحنا ، وكنيستان باسم القديسين توما وسفيروس ، ودير باسم القديس العظيم الانبا شنودة » .

فهل نتجاوز الانصاف حينما نظن أن ما اطلق عليه أسم كنائس هو فى الحقيقة مجرد الأسماء التى كرست عليها هياكل صغيرة تجمعت فى مبنى واحد ؟

وقد يتساءل البعض : لماذا نلاحظ فى الرسم التخطيطى للكنيستين اللتين تقع احداهما فى ريفا والأخرى فى درنكة اختلاف أسلوب الرسم

عن الأسلوب المعتاد لأن الخطوط التى تبين الجدران .. الخ غير دقيقة ؟ وقد أجزنا هذا الأسلوب لأن أى أسلوب آخر أكثر آلية ودقة قد يقودنا الى الخطأ .

وهذه المبانى الصغيرة المتواضعة التى تثير المشاعر بمظاهرها الفقيرة ، قد بنيت بشكل أفضل من الأكواخ الملاصقة لها . ومرة أخرى قد يتساءل البعض : لماذا نقدم هذا الوصف الشامل لمثل هذه الأماكن الفقيرة ؟ والاجابة هى أنه من المحتمل اندثار هذه الكنائس التى يبلغ عمرها مئات السنين ، مع ازدياد الأمان والثروة ، فتهجر القلاع التى فى الصخرة ، ويتم الاستغناء عن السكنى فى المقابر ، ويذهب الناس للمعيشة فى المنازل التى بين الحقول حيث يجدون راحة أكثر ، ويصبحون على مقربة من أعمالهم اليومية . وحينذاك ، ستنتقل من الكنيسة كافة الأشياء التى تستحق النقل ، أو تسرق ، وسرعان ما ينهار المبنى المهجور أو يتحول الى مجرد فتحة ترابية مثل الكنائس القريبة من نقادة وقامولا .

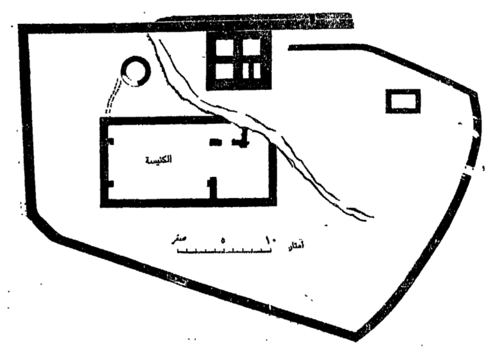
دير العظام بأسيوط
(اللوحة رقم ٥٣ ــ الشكل رقم ١)

تقع هذه الأنقاض فى واد منعزل ومهجور فوق قمة التلال التى فى غرب أسيوط مباشرة ، والوادى الذى يحيط بأنقاض الدير فى كافة الجوانب مرصع بالمقابر التى حفرت بانتظام ، أو نحتت فى شكل أخدود حلزونى . وما زالت الأكفان الخشنة ، وقطع التوابيت ، والجماجم ، وأجزاء من الجثث مع بقايا الجلد ، ملتصقة بالعظام . وقد تناثرت كافة هذه الرفات المقبضة . ولاحظنا أن كافة أقمشة الأكفان التى حول الجثث من أرخص الأنواع . ومنها جلابيب مخططة بخطوط زرقاء وبيضاء ، ولم يستخدم أى نوع من أنواع الأقمشة القطنية المصبوغة باللون النيلى ، وتوجد أنقاض الدير فى الوسط ، ويحيط بها سور غير منتظم الشكل ، مبنى من الطوب اللبن والأحجار . وتقف البقايا الضئيلة للكنيسة فى بقعة منخفضة مدفونة جزئياً بين أنقاضها وبين المقابر التى حفرت فى منطقة الكنيسة منذ انهيارها . ولكن المقابر لا توجد فى منطقة الكنيسة فقط بل أيضاً فى بقايا الحجرات المجاورة وفى كل ركن من محيط الدير .

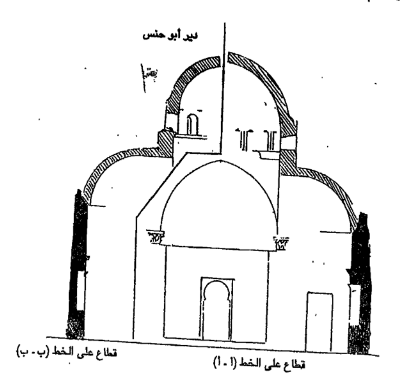
وتنتمى الكنيسة من حيث المسقط الأفقى الى الطراز (أ) البازيليكى بقدر ما نستطيع القول ، ونجد فى الشمال بقايا برج صغير مربع قريب

لوحة رقم ٥٣

شكل رقم ١



شكل رقم (٢)



من الكنيسة ولكنه غير ملاصق لها . وأدين برسم المسقط الأفقى للدير الى العمل الكبير الذى أنجزه مسيو و. دى بوك فى كتابه :

Materiaux Pour Servir à L'archéologie de L'Egypte, Chrétienne, St. Petersbourg, 1901.

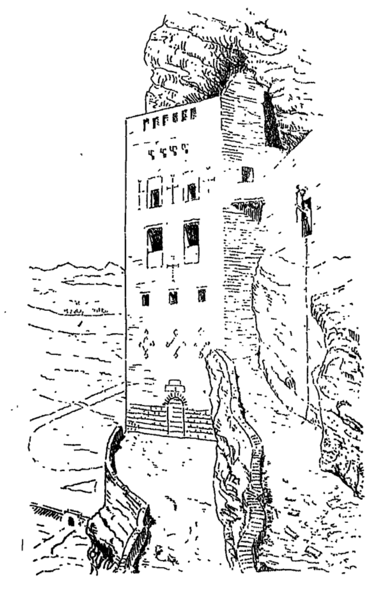
وقد زرت الدير فى ابريل سنة ١٩٠١ .

جبل أبو فودة

من الصعب التأكد من الاسم الحقيقى للأماكن التى زرتها بوادى النيل وذلك لأن الدقة هى آخر ما يهتم به الفلاح ، ولذلك فمن غير اللازم أن تكون انت أكثر من الفلاح اهتماماً بذلك ، وبالسؤال عن دير الجبراوى، وهو مكان على الضفة الشرقية للنيل ، أرشدونا الى المكان عبر ميل ونصف ميل من الأرض المزروعة التى يتخللها قدر كبير من ماء الفيضان . ولو لم نجد مرشداً لكنا سنغوص فى الوحل والطين . وقد تبعناه ونحن فى غاية الرضا فوق جسر طويل عبر القرية . ثم رأينا أمامنا فى منتصف المسافة الى اعلى واجهة الصخرة ، صرحاً يشبه البرج ملتصقاً بواجهة الصخور .

وبعد عبور الجسر الذى يظهر فى الرسم (الشكل رقم ٣٩) ، صعدنا ممراً شديد الانحدار ، ووجدنا انفسنا نقترب الى المبنى المقام من الطوب والأحجار والمندفع فى مواجهة مغارة تبدو مجهزة لابتلاع الجزء العلوى منه . والمغارة موجودة فى الكنيسة . والهيكل عبارة عن فتحة فى الصخرة ، وقد بذل الكثير من الجهد فى توجيهه نحو الشرق .

وقد أقيمت منصة صناعية تنفتح عليها هذه المغارة عن طريق جدران مبنية من الأحجار الملتصقة ببعضها بواسطة طمى النيل . ويصل ارتفاع هذه الجدران الى حوالى ٢٠ متراً وقد ازدانت بصلبان من قوالب الطوب الأحمر . وقد أحيطت الأجزاء السفلية من الحائط بدرع من الحجر يبرز منه مدخل تم بناؤه حديثاً . ولا يظهر المدخل المستخدم الآن فى الرسم ولكنه يقع عند الركن فى الجانب الأيمن ، وهناك باب آخر أكثر ارتفاعاً وقد أقيم فوقه طنبور كما هو ظاهر فى الرسم ، بينما علقت سلسلة فى



دير الجبراوى
شكل رقم ٢٩

قمة المدخل . وتوجد فى الحائط ثقوب تستخدم كمواطىء للاقدام ، ومدخل تصل اليه عن طريق الاستمساك بالسلسلة ووضع الأقدام فى مواطئها .

وعندما ندخل من الباب السفلى نجد أنفسنا فى حجرة تحتل عــرض البرج ، وينفتح منها باب على ارتفاع حوالى مترين من الأرضيــة ويتم

الوصول اليه عن طريق سلم غير منتظم الشكل . وبعد أن نتسلق السلم ونمر من خلال المدخل ، نصل الى ممر متعرج ومنه الى منحدر شديد الانحدار عبارة عن سلم دائرى . وأخيراً نصل الى المنصة عند قمة البرج ونرى أمامنا الحجاب يسد باب الهيكل ، وهذا الحجاب من الطراز المعتاد — من أشغال الخشب ، فى شكل قطع صغيرة مرتبة فى أشكال هندسية ولكن بلا اهتمام .

والفتحات الست التى تظهر فى الرسم التخطيطى عند قمة البرج هى على الطبيعة فتحات نوافذ تطل على المنصة ويظهر منها منظر شامل فى اتجاه الغرب عبر وادى النيل . أما البرج الذى يشكل الدير فانه لا يستطيع أن يأوى الا القليل من الناس ، ولم يكن به أحد عندما زرناه (٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٣) ، وكذلك لم تكن هناك منازل تحيط به كما هو الحال فى ريفا أو درنكة .

وبعد أن تركنا المكان وأبحرنا بعيداً ، تكشف لنا أننا قد خدعنا بمعرفة الناس العطوفين ، وأننا تأخرنا فى اكتشاف الاسم الحقيقى للدير ولكنه استحق أن نكتب عنه ضمن أكثر الأماكن التى تحتضن الكنائس غرابة .

دير النخلة

هذا المبنى الذى على الضفة الشرقية للنيل ، صغير ومغطى بالجص والجير بحيث يصعب شرحه وبيان حجم الكنيسة الأصلية وحجم الملحق. وتقودنا دراسة المسقط الأفقى للافتراض بأن المبنى تم توسيعه .

ويتكون السقف جزئياً من القباب ، وجزئياً من الأقباء الأسطوانية. وقد بنى الحجاب بالطوب وزخرف بأشكال هندسية مع أجزاء من الحجر الجيرى الأبيض . وهناك فى الجانب الشمالى سلم يوصل الى سطح أعلى به هيكلان دائريان . والكنيسة مكرسة على اسم الأنبا بيشوى ، وقد زرتها فى نوفمبر سنة ١٩٠٠ .

ديـــــر أبـــو حنس

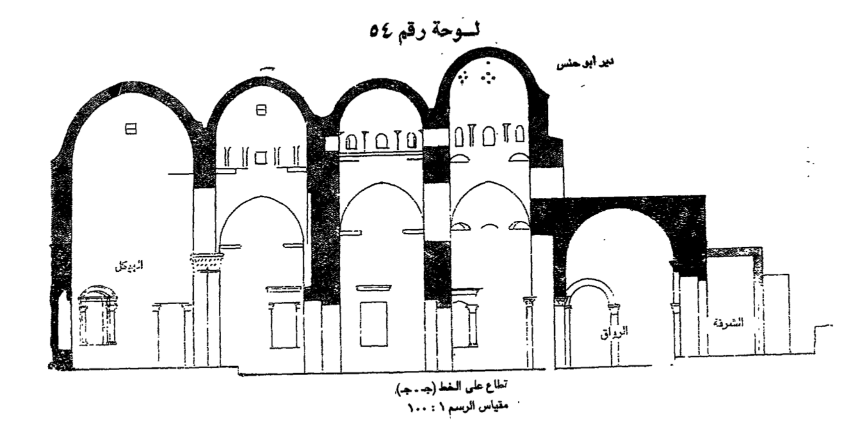
(اللوحة رقم ٥٣ الشكل رقم ٢ ، واللوحات أرقام ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦)

تقوم هذه الكنيسة فوق الضفة الشرقية للنيل الى الجنوب قليلا من خرائب أنتنوى . وهى ذات أهمية غير عادية لأنها تبين لنا بوضـــوح التغييرات التى طرأت على الكنيسة الأرثوذكسية البازيليكية من الطراز (أ) المسقوفة بالسقف الخشبى ؛ مما جعلها تختلف عن تلك المسقوفـــة بالقباب وقد سدتها كتل مقبضة من الأشغال المبنية بقـوالب الطـوب لتدعيمها .

وهذه الكنيسة كما هى الآن بأبعادها المحدودة ، تتكون من رواق فى طرفها الغربى ، تقودنا اليه شرفة ضحلة (انظر اللوحة رقم ٥٥) وتوجد منصة فوق هذه الشرفة . وبعد عبور الرواق ندخل إلى الصحن الذى ينقسم الى ثلاثة أقسام تغطى كل قسم منها قبة . أما الدعائم التى تدعم هذه القباب فهى كبيرة بالنسبة لحجم الكنيسة ، حتى انها كانت تغلق الصحن . وقد تم شق فتحات بها أكبر قليلا من اتساع المداخل . وكما هو واضح فى الرسم التخطيطى ، فان هناك مداخل تلى حوائط الكنيسة وتمتد على المحور . وبذلك تصل الى ممر للعبور من أحد اقسام المبنى الى القسم الآخر ليس فقط عن طريق المداخل الوسطى بل ايضاً عـــن طريق الفتحات العرضـــية ، ثم نكتشف أن الصحـــن ينقســـم الى ثلاثة أقسام — القسم الغربى البعيد للنساء ، والثانى للرجال ، والقسم الذى فى أقصى الشرق للخورس . وفى شرق الخورس نجد الهيكل الذى ينتهى بحنية وتعلوه القبة . وفى الجنوب توجد حجرة صغيرة مجاورة للهيكل هى حجرة المعمودية . وتوجد فى الشمال حجرة كبيرة الحجم بها مذبح . كما يوجد فى الجانب الشمالى للصحن حجرة مستطيلة ضيقة .

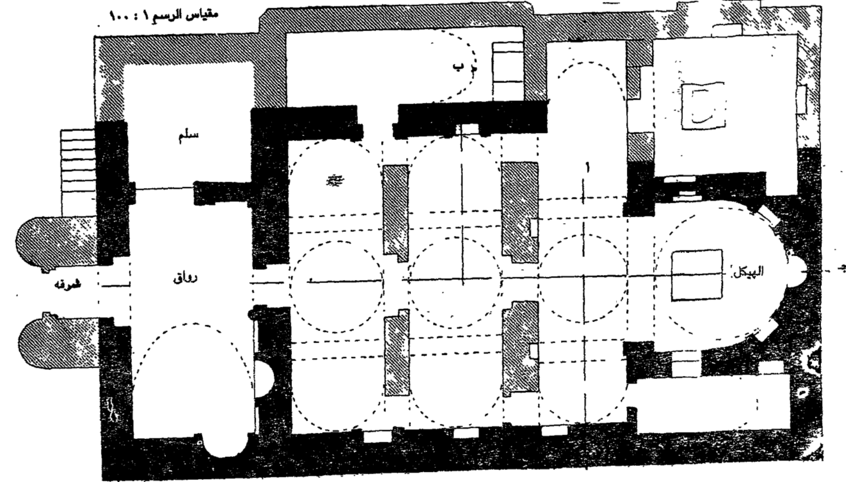
وهناك عند الطرف الغربى ، على بعد خطوات قليلة من الشرفة التى تقود الى مستوى سطح أرضية الكنيسة ، مهبط يصل عمقه الى نصف متر . والحائط الغربى أكثر هبوطاً . وعند طرفه الشرقى ركام شديـــد الارتفاع مما يسهل الصعود منه الى سطح الكنيسة . أما الحائط الجنوبى فليس عنده ركام ، حتى ان سطح الأرض خارجه يتساوى مـــع سطح الأرضية التى فى داخله . وقد بنيت الحوائط الخارجية عامة من الطوب، ولكن بعض الأجزاء التى فى الطرف الغربى أحيطت بطبقة حجرية .

لوحة رقم ٥٤



قطاع على الخط (جـ-جـ)
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

لـوحة رقم ٥٥



لـوحة رقم ٥٦

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

وسنقدم الآن وصفاً مفصلا للمبنى . عندما نقترب اليه من الغرب (انظر الشكل رقم ٤٠)، فان أول ما يصادفنا هو المدخل الموجود فى الشرفة وعلى جانبيه كتل من البناء الحجرى تظهر نصف دائرية فى الجانب الغربى من الرسم التخطيطى . وهناك فوق المدخل منصة نصل اليها بعدد عدة درجات فى الشمال ، وفى مواجهة كتل البناء التى بجوار المدخل لوح قليل السمك من الحجر المنحوت بالتبادل مع مدماك من الطوب . وهنا نجد ترتيباً مماثلا فى مواجهة الطرف الشمالى للحائط الغربى للكنيسة . وقد استخدم البناءون الشرقيون هذه النوعية من البناء الحجرى بكثرة ، ووظفوها فى تغطية الكثير من العيوب . وتعتبر الشرفة والدرجات اضافة الى التصميم الأصلى ومنفصلة عنه بواسطة وصلة مستقيمة .

وبعد المرور من الشرفة ، ندخل الى الرواق المغطى بقبو أسطوانى، فى حائطه الغربى حنية تظهر نصف دائرية فى الرسم التخطيطى وقد بنيت ملاصقة للحائط الشرقى . وهناك حنيات غير عميقة فى الحائط الشرقى وجنوب المدخل المشرقى وربما استخدمت لوضع المصابيح أو الكتب . وهناك مدخل فى الطرف الشمالى من الرواق أمامه حائط . وقد قيل لنا انه كان بهذا المكان سلم يقود الى السطح .

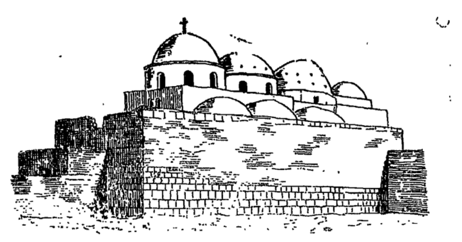
وبعد المرور من الرواق ندخل الى الصحن . ونشاهد هناك قطعاً منقوشة والأعمدة المستخدمة كركائز والأفاريز والحنيات التى ليست لها صلة بأقسام المبنى الفرعية . ويتضح لنا بعد القليل من الفحص أننا نقف داخل حوائط المبنى الأصلى لكنيسة بازيليكية. وهو يتكون من ثلاثة أقسام طولية وقد تحدد وسط كل قسم بحنية فى حائط الجناح (انظر اللوحة رقم٥٦) ويوجد فى الطرف الشرقى للصحن عقد مدبب ينفتح على الهيكل . وتعتبر الأعمدة المستخدمة كركائز والتى يبرز عندها هذا العقد أصلية ، وفوقها تيجانها المنقوشة . ومن المحتمل أن يكون هذا العقد حديثاً .

وزينت جدران الهيكل بثلاث حنيات ، بينما ينفتح منه بابان صغيران على حجرتين فى الشمال والجنوب . وقد اختفى السقف الخشبى الأصلى أما بسبب العنف أو الحريق أو بفعل السوس . وحل محله نظام

للتغطية أكثر دواماً وذلك باستخدام القباب والعقود المبنية بالأحجار .
ولسوء الحظ ، فان المادة المختارة وهى الطوب اللبن كانت شديدة الضعف
مثل مهارة البنائين . ولتدعيم القباب الصغيرة ، وضعت كتل من الحائط،
كبيرة بالنسبة للدور المنوط بها وبالنسبة للمبنى ذاته ، حتى انه لا يمكن
الوصول الى القسم الغربى الطقسى من المبنى عن طريق الابواب كما
أوضحنا منذ قليل ، والأبواب مغلقة فى الغالب بحيث لا يؤدى الواحد منها
الى الآخر .

وبينما ظل الحائط الجنوبى للكنيسة سليماً ، فإن نصف الحائط
الشمالى تقريباً قد تهدم ، وجرت توسعة المبنى كما هو موضح بالظلال
المنقطة على الرسم التخطيطى (اللوحة رقم ٥٥) .

والقسم الذى بطول المحور من الشرق الى الغرب شديد الأهمية
(انظر اللوحة رقم ٥٤) حيث نعرف منها التغيير المطلق خارجياً وداخلياً
ذلك الذى تم التوصل اليه عن طريق احلال سقف من القباب المبنية بالطوب
محل السقف الخشبى ، وبذلك ضاع تأثر الطول تماماً وحل محله تأثير
الارتفاع .



شكل رقم ٤٠ : دير أبو حنس ـ منظر خارجى

ونورد هنا بعض العبارات المقتبسة عن « أبو صالح » لبيان مدى
تأثير هذه التغييرات .

يقول فى ص ٢ : « ثم أعاد بناء هـذه الكنيسة المكرسـة على اسـم القديس يعقوب والتى كانت قد احترقت ، وبنى فوق المذبح قبة عاليـة يمكن رؤيتها من على البعد . وأقام عقوداً وأقباء » .

ويقول لنا عن دير القديس مينا (ص ١٠٦) ما يلى :

« احترق هذا الدير وهذه الكنيسـة حتى الأرضية فيما عدا الحنيـة وجانبى الهيكل الشمالى والجنوبى اللذين بقيا سـالمين ، وأعيد بناؤهما كما أعيد بناء القباب والعقود ، وأقيمت دعامات بدلا من الأعمدة الرخامية» .

ويقول لنا عن كنيسة القديس مرقوريوس (ص ١٢٠) ما يلى :

« ثم أعيد البناء (الكنيسة) واستكمل الهيكل ، واستعاضوا عن السقف الخشبى بالقباب والعقود المبنية بالطوب الأحمر » .

ويقول لنا عن المخاطر التى تهدد السقوف الخشبية (ص ١٢٧) ما يلى :

« كانت الكنيسة مسقوفة بألواح خشبية كبيرة . وفى مناسبة قريبة أراد البرابرة نهب هذا الدير وهاجموا هذا السقف وبذلك نجحوا فى تخريب المبنى » . ويقول فى حالة أخرى (ص ١٨٦) ما يلى :

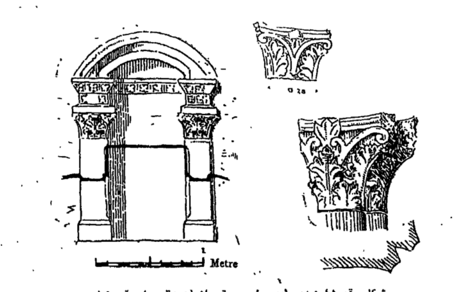
« نخر السوس الألواح الخشبية فى هـذا الدير مع الكنيسة ولذلـك فانهما هدما على نفقة ذلك السيد الذى بنى بدلا من السقف الخشبى سقفاً مقبياً ، وشيد مع الأعمدة دعامات من الحجر حتى لم يبق هناك عمـود ظاهر » .

وقد أوردنا فى شكل رقم ٤١ بعض الرسومات للنقـوش التى على واجهات الحنيات وعلى تيجان الأعمدة .

المـدينـة

تقـع هـذه المجموعة من الخرائب المكونـة من قوالب الطـوب جنوب خرائب أنتنوى مباشرة . ولا أستطيع أن أتحدث عن تاريخها ، ولكنها تغطى المنطقة . اما حقيقة وجود بقايا ثلاث كنائس فوق سطحها بدون حفائر ـــ فان هذه الأشياء تبرهن على اهمية هـذا المكان . وقـد يجازف البعض فيسأل المؤرخ ـــ اذا اثار فى نفسه الاهتمام بهذه الصفحة

من تاريخ مصر — الأسئلة التالية : هل يدل هذا المكان على وجود مركز استقرار مسيحى معاصر لمدينة أنتنوى ؟ وهل أجبر هذا التجمع المسيحى على الاستقرار هنا بينما كان أتباع الديانة القديمة مازالوا يتملكون المدينة الرومانية (أنتنوى) ؟ أم أن هذه الخرائب المكونة من قوالب الطوب تدل على استقرار جديد حدث بعد هجر أنتنوى ؟



شكل رقم ٤١ : دير ابو حنس — تيجان اعمدة وواجهة حنية

لقد أوردنا رسماً تخطيطياً بدون مقياس للرسم لبيان العلاقة بين الكنائس بعضها البعض ، وبه حائط يشكل جزءاً من منطقة مسيجة فى الناحية الشرقية ، وفى شمال مدينة أنتنوى (الشكل رقم ٤٢) وهنا نلاحظ بقايا الكنيسة (ب) المبنية من الطوب اللبن ، التى تنتهى فى ناحية الشرق بثلاثة حنيات فى طرفها الشرقى · احداها شمالية والثانية شرقية والثالثة جنوبية ، كما هو الحال فى دير الأنبا شنودة أو الأنبا بيشوى (انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٤٩) والمبنى صغير ولم يتبق منه أية آثار تدل على بقاء أى من أنواع المبانى الحجرية .

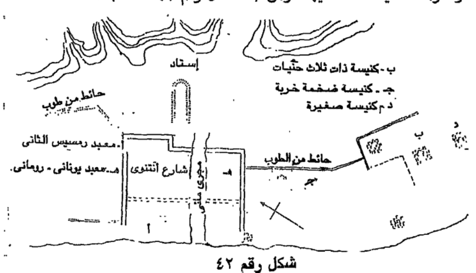
وعندما حفرنا قليلا داخل الحوائط وجدنا كنيسة أخرى جنوب الكنيسة الأخيرة ، يبلغ طولها الاجمالى من الداخل ٣٥ر٩ متراً وهى تتكون من صحن رئيسى ينتهى بحراب على كل من جانبيه جناح ضيق.وقد وجدنا قواعد من الطوب مساحة كل منها ٥٠ر٠ × ٧٠ر٠ متراً تحت سطح الرمل

المنجرف بحوالى متر واحد . ومكان هذه القواعد يجعل من المحتمل وجود كنيسة أخرى بها خمسة عقود تنفتح على الجناح . ومن السهل اكتشاف بروز قبو الحنية .

ومن المعالم غير العادية هنا ، ما رأيناه من بروز منحنى الحنية الظاهر من خارج الكنيسة الشرقى (انظر الرسم التخطيطى ـــ والشكل رقم ٤٢) .

وقد بنى بكامله من الطوب اللبن . وفيما عدا قبو الحنية لا نشاهد أية دلائل على وجود أقباء أخرى . والكنيسة مملوءة بالرمال والأنقاض بعمق متر واحد . وستكشف ازالتها بعناية عما اذا كانت هناك ضمن النفايات ، تلك القوالب التى أقيم بها العقد أم لا .

ويوجد بالقرب من خرائب أنتنوى وفى بقعة منعزلة ، بقايا مبنى من الطوب اللبن يظهر بشكل مربع على الرسم التخطيطى . ولم يتبق منه شىء فوق سطح الرمال التى انجرفت الآن فوق التل الصغير الذى نتج عن الأنقاض . ومساحة هذه الكنيسة أكبر من مساحة الكنائس التى نجدها فى مصر بوجه عام ، (الشكل رقم ٤٢ ـــ ج) والجزء الوحيد الذى بقى من المبنى واضحاً فوق سطح الأرض هو الجزء السفلى من حنية الهيكل الشرقية . وهى واسعة على غير العادة حيث لا تقل عن ٧٫٠٥ متراً . وتوجد فى الناحية الجنوبية بقايا حجرة صغيرة مستطيلة بها رسومات كثيفة عفا عليها الزمن (الشكل رقم ٤٢ ـــ د) .



شكل رقم ٤٢

الخاتمـــــة

لم يكن الهدف الذى وضعته أمامى عند نشر الرسومات والمســـاقط الأفقية التى تجمعت هنا ، هو تصنيف قائمة بكافة الآثار المسيحية القديمة فى وادى النيل ، بل اننى كنت أهدف الى تقديم مجموعة مختارة ، وذلك للمساعدة فى إلقاء شعاع من الضوء على موضوع لم يلق الكثير من الاهتمام، واستعيد هنا كلمات اسحق والتون الذى قال : « أيها القارىء العزيز ، أظن أنه من المناسب أن أذكر لك هذه الحقائق التالية : اننى لم أباشر او اكتب أو أنشر هذا البحث لاسعاد نفسى ، ونظراً لأننى لا أنتظر الاقرار بالفضل من وراء هذه المهمة ، فاننى لن أفقد شيئاً كنت أرغبه ولذلـــك فاننى اطلب الصفح اذا لم اكن أستحق المديح » .

ومن المؤلم أننى مدرك لعيوب العديد من الرسومات . لقد كان القيام بالحفائر الكاملة فى كافة المبانى قبل عمل الرسومات عملا مكلفاً ، كما كان من الصعب العثور على العمل فى بعض الأماكن ، ومنها بطن الحجر على سبيل المثال . وكم أحتاج الى الساعات الطويلة وربما الأيام للحديث عن عدم دقة التصميم والبناء فى معظم الكنائس ، ولكن من الصعب تصوير الفكرة العامة عن المبانى بصورة أفضل من تلك التى قدمتها .

وتعمدت التغاضى عن الكنائس القديمة فى القاهرة نفسها وفى مصر القديمة،وذلك لوجود دراسة مستفيضة عن هذه الكنائس المزودة بسلاسل دقيقة من الرسومات والصور الفوتوغرافية اعدت تحت رعاية لجنة حفظ الآثار العربية . اننى جمعت المادة أيضاً من اجل مشروع أثرى مشابـــه لذلك فى الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج وهما مبنيـــان تصدت اللجنة لاصلاحهما مؤخراً بعناية فائقة . ولا شك فى أن الصـــور الفوتوغرافية والرسومات الملونة للزخارف الثمينة بهاتين الكنيســـتين

ستكون بمثابة مفاجأة للكثيرين . أما الرسومات القليلة التى نشرت هنا لهذين المبنيين فلا تتجاوز حدود الضرورة لأغراض المقارنة والتوصيف .

وقد استغرق جمع المادة التى عرضناها فى هذا الكتاب لمصلحة القارىء سنوات عديدة ابتداء من سنة ١٨٩٣ / ١٨٩٤ .

وفى ذلك الوقت لم يكن موقف عالم الآثار نحو دراسة أية آثار مصرية فيما عدا دراسته الخاصة كافياً أو مشجعاً . أن المدير العام للآثار لم يستطع أن يتحدث عن « الأقباط الأردياء Les méchantes Coptes » . الا بالازدراء ، وهو متهم بارتكاب الأفعال الهمجية العنيفة والتى لم تكن ضرورية فى مدينة هابو ذلك انه منذ فترة بعيدة تحول أحد افنية هذا المعبد الرائع الى كنيسة ، فأقيمت أعمدة منحوتة من كتلة ججرية واحدة ، وشيد هيكل لوضع المذبح . ولم تكن جدران المبنى القديم مشوهة بشكل خطير ـــ حقاً ، انه من المحتمل أن يكون العمل الذى قام به المسيحيون قد ساعد على حفظ نقوش الحائط الأصلية لأنهم كما نعلم اعتادوا استخدام طبقة سميكة من الجص لتغطية « المناظر الخرافية » للديانة القديمة يرسمون فوقها الصور المعبرة عن ديانتهم المسيحية . وعلى كل حال ، فان هذه الصفحة من التاريخ لم تسعد الرجل النبيل الذى كان فى منصب المدير العام فى ذلك الوقت لذلك كان لا بد من اظهار الأدلة . لقد سحبت الأعمدة بعيداً حيث شوهدت خارج جدران الفناء فى ناحيته الجنوبية ، رغم ما تطلبه ذلك من جهد وتكلفة · وبالاضافة الى ذلك فانه لم ينشر رسومات المساقط الأفقية والرسومات التوضيحية الأخرى لم تنشر · والمطلوب حالياً اكتشاف الطريقة التى حاول بها المجتمع المسيحى أن يعيد ترتيب هذه القاعة حتى تتناسب مع استخداماتها الجديدة وذلك بالعودة الى رسم تخطيطى ورد فى كتاب : وصف مصر · Description de L'Egypte .

وفى معبد الأقصر استكمل نفس الرجل النبيل أعمال التخريب التى بدأها الآخرون . ذلك اننا بعد المرور من خلال القاعة الكبرى وقاعسة امينوفيس الثالث السفلية ، ندخل الى فناء مكشوف حالياً كان حجرة مسقوفة بسقف محمول على اعمدة . ونقتبس عن موراى هذه العبارة حيث يقول :

« تحولت هذه القاعة فى العصور المسيحية الأولى الى كنيسة . ونحتت حنية أى هيكل فى الحائط الجنوبى ، وغطيت المعالم القديمة بطبقة من الفريسكو التى اختفت تقريباً فى الوقت الحالى » .

وانني أقتبس هذه الكلمات كما هى لأنها تفسر بوضوح المشاعر المسمومة التى وجهت نحو « الأقباط الأردياء » والحقيقة أن الحنية المنحوتة كانت مدخلا أعيد ترتيبه ليصبح حنية بادخال تعديلات بسيطة · وغطيت النقوش بطبقة كثيفة من الجص رسم فوقها بعض الأشكال الفائقة الفخامة . ولا يوجد فى مصر ما هو أفضل منها . ونقول انه كان من الضرورى ازالة هذه الرسومات لاستكمال الدراسة الشاملة للنقوش الرائعة التى كانت فوق الحائط ، ولكن ما حدث من تكسيرها حتى بدون عمل نسخ دقيقة منها لم يكن الا عملا بربرياً وغير علمى . ان البقايا الديرية فى الدير البحرى التى غطت سطوح المعبد الجميل قد كسرت بنفس الطريقة المتهورة . واتضحت تماماً صعوبة الحفاظ عليها ، ولكن من المؤكد انه ما كان يجب اهمال الرسومات التخطيطية والسجلات .

ويبلغ طول وادى النيل من القاهرة الى الخرطوم مسافة لا تقل عن ١٧٢٠ ميلا . ومع ما شاهدته من اهمال ليس له ما يبرره ، فى التعامل مع هذه الصفحة من علم الآثار فى مصر ، بالاضافة الى ما اتضح لى من عدم رغبة أحد فى القيام بهذه المهمة سواى ، بدأت العمل فى تصنيف وتجميع المادة . ولم يكن من المتوقع لمثل هذه الدراسة ، أن تؤتى بنتائج سارة ، فلم ننتظر منها أن تأتى بخرطوش أى ملك غير معروف . أما المبانى التى بنى معظمها بالطوب اللبن فلم نتوقع أن نحصل منها على جواهر مصقولة، كما اننا لم نستطع التأكد من تاريخها من خلال التشكيلات التى فى المونة ، لقد زالت تقريباً رسومات الأشكال والنقوش التى كان الداخل مغطى بها وهى التى كانت تساعد الدارس . ولم يتبق سوى دراسة الحوائط المتآكلة العارية والسقوف المقوضة .

وليس من الغرابة فى شىء أن الجمعيات التى تدرس الآثار لا تميل الى صرف نقود أعضائها على أشياء لا تقدم الا فرصة ضئيلة للحصول على ما يجتذب الأنظار .

ولكن هناك أملا ، ذلك أن الدكتور ديفيد راندال ماكايفار الذى يعمل لحساب جامعة بنسلفانيا بجوار وادى حلفا ، قام ببعض الدراسات القيمة بمساعدة مستر جيفرى مالهايم . وإننى أدين لهما بالفضل بسبب العديد من اللمحات الرقيقة والتعديلات التى أدخلت على أعمالى المتسرعة .

وقد استجبت لاقتراح سير ريجنالد وينجت الحاكم العام للسودان فتوليت فحص الخط الطويل ما بين صوبا فى الجنوب وحلفا فى الشمال . ومن الصعب الحديث عن مدى تقديرى للرقة والكرم والمساعدة تلقيتها منه ومن جميع هؤلاء الذين تشرفوا بالخدمة تحت رياسته .

ونحن فى انجلترا لا نعرف الا القليل عن العادات والطقوس المستخدمة فى الكنائس القديمة بمصر ، وبالرغم من استحالة اعتبار المبانى المسيحية نماذج مختارة للعمارة الا أن لها مكانتها فى تاريخ هذا الفن . وعندما أقيمت هذه المبانى التى يتميز معظمها بالبساطة لم تكن العمارة مجرد تقليد وتصنعاً كما هى الآن . ولم يكن الناس يتساءلون : « ما طراز هذا المبنى ؟ » ولم يستخدموا الأثاث « العصرى » ولم يبتكروا كنيسة لكى تظهر جميلة أو لكى تكون فى نفس الوقت غير متسقة مع الطقس الذى يطبق فى داخلها . وكان الطقس فى تلك الأيام هو الجوهر والمبنى هو الجسم الذى أقيم لكى يحتويه . ومن سوء الحظ أن نعرف تحت هذه الظروف فقط القليل عن الدوافع التى أملت شكل المبانى المقصودة .

وقد أمدنى مرقس بك سميكة المعروف باهتمامه الشديد بالآثار المسيحية فى بلده ، بالاجابات التالية رداً على الأسئلة المتنوعة التى وجهتها اليه . فيقول عن عدد المذابح ما يلى :

« يوجد العديد من الهياكل وكذا العديد من المذابح فى كل كنيسة ، ولكن العدد يختلف ذلك لأن بعض الكنائس بها مذبح واحد وبعضها الآخر به اكثر من مذبح . وحسب الكتاب الواسع الانتشار الذى بعنوان : « معجزات العذراء » فان الكنيسة العظيمة التى فى أتريب بالقرب من بنها ، بها أربعة وعشرون مذبحاً . ومن المحتمل أن تكون هذه الكنيسة مثل كنيسة«أبو سيفين»بالقاهرة — على سبيل المثال—

مكونة من مجموعة كنائس تتضمن فيما بينها العدد الكبير من المذابح التى سبق ذكرها ». والاستثناء الوحيد لعادة وضع المذابح صفا واحداً فى الجهة الشرقية من الكنيسة يتمثل فى مغارة « أبو سرجـــة » ، حيث أن ضآلة المكان جعلت المذبح الشرقى فى مواجهـــة الشرق ، بينما أقيم المذبحان الجانبيان فى الشمال والجنوب .

أما عن اقامة ثلاثة مذابح فى الكنيسة الواحدة فالبعض يقول انـــه اشارة الى أقانيم الثالوث الأقدس ، وقال البعض الآخر ان المذابح الثلاثة تمثل مذبح البخور ، ومذبح المحرقة ، وتابوت العهد حســـب الترتيب اليهودى الذى ينسب الى خيمة الاجتماع والهيكل .

ومن المؤكد أن هناك ضرورة لاستخدام ثلاثة مذابح؛لأن المذبح الواحد لا يستخدم أكثر من مرة واحدة فى اليوم الواحد مهما كانت الظروف . والمذبح المستخدم عادة هو المذبح الأوسط . وهو الذى يكرس على اسم شفيع الكنيسة ، بينما تكرس المذابح الأخرى على أسماء قديسين آخرين. وهذا يناقض الفكرة القائلة بأن المذابح الثلاثة تقام تكريما للثالوث الأقدس. وعندما يستخدم مذبحان فى وقت واحد فان الكاهن الذى بالمذبح الأوسط هو الذى يرفع صوته أثناء الخدمة بينما يكتفى الآخر بترديد الصلوات بصوت خفيض (*) .

ورداً على بعض الأسئلة التى وجهتها اليه عن الأديرة القديمة أمدنى بالمعلومات التالية :

توجد ثمانية أديرة للرهبان :

١ ـــ ديـــر أبو مقـــار .

٢ ـــ دير الأنبا بيشوى .

(*) من غير المعقول أن يقام قداسان على مذبحين متجاورين فى كنيسة واحدة وفى وقت واحد لأن المذبح يكفى لاقامة القداس مهما كان عدد جمهور المصلين كبيرا . ولكن من الممكن اقامة قداس آخـر فى نفس وقت القـداس الأول اذا كان المذبح الثانى بنفس الكنيسة ولكن فى الدور العلوى ويقدســه كاهن آخر لجمهور آخـر ـ (المترجم) .

٣ ـ دير السريان .

٤ ـ دير البراموس . وهذه الاديرة بوادى النطرون .

٥ ـ دير الأنبا أنطونيوس .

٦ ـ دير الأنبا بولا . وهذان الديران بالقرب من البحر الأحمر .

٧ ـ دير الأنبا صموئيل بالقرب من الفيوم .

٨ ـ الدير المحرق بالقرب من منفلوط . وفيما عدا الدير الأخير فان هذه الأديرة جميعها بالصحراء على مسافات تستغرق الرحلة من الأرض المزروعة اليها فترة تتراوح ما بين ست ساعات الي أربعة أيام . ويتراوح عدد رهبان هذه الأديرة جميعها ما بين ٣٥٠ الى ٤٠٠ راهب(*) . وهناك خمسة أديرة للراهبات وجميعها بالقاهرة :

١ ـ دير مارجرجس .

٢ ـ دير أبو سيفين . وهذان الديران بمصر القديمة .

٣ ـ حارة الروم .

٤ ـ مارجرجس .

٥ ـ العذراء بحارة زويلة . ويقيم بها جميعها حوالى مائة راهبة .

وفيما يتعلق بكنائس الأديرة والايبارشيات ، فانه منذ العصور القديمة وحتى اليوم توجد العديد من الكنائس الايبارشيسة التى يرعاها كاهن واحد . وكل كنيسة منها تحت رعاية كاهن أو أكثر من الكهنة المتزوجين ، يعاونه أحياناً بعض الكهنة من الرهبان . ولكن القاعدة هى أن كبير الكهنة أو راعى الكنيسة لا بد أن يكون متزوجاً .

أما كلمة « دير » فتطلق فقط على المكان الذى يوجد فيه أحد الأديرة. وتطلق كلمة « كنيسة » على كنيسة الايبارشية وهى ترجمة للكلمة اليونانية

(*) ازداد عدد هذه الاديرة الآن ، حيث جرى تعمير العديد من الأديرة القديمة ولدينا الآن دير مارمينا العجايبى بصحراء مريوط وتمضى اليه يوميا مواصلات منتظمة من الاسكندرية بخلاف أتوبيسات الرحلات الخاصة كذلك ايضا ازداد عدد الرهبان ومنهم الأطباء والصيادلة والمهندسين والكثير من اصحاب المهن المختلفة ؛ مما جعل الاديرة مجتمعات مكتفية بذاتها ـ (المترجم) .

اكلسيا ecclesia ولا تطلق كلمة « دير » على الكنيسة حتى لو كان بين رعاتها عدد من الكهنة الرهبان . ولكن اذا كانت الكنيسة تخص أحد الأديرة فإنها تحمل اسم هذا الدير . وعلى ذلك فان الدير الأبيض والدير الأحمر أصبحا كنيستين ايبارشيتين منذ وقت طويل ويخدمهما كهنة متزوجون ، وليس بهما راهب واحد ولكنهما مازالا يطلق عليهما اسم : دير .

ويبلغ عدد الأساقفة فى مصر حالياً خمسة عشر أسقفاً وهو عدد يقل عما كان موجوداً فى العصور القديمة (*) .

ونقرأ فى سيرة حياة سمعان البطريرك الثانى والأربعين الذى عاش قرب نهاية القرن السابع ، عن انعقاد مجمع فى الاسكندرية بأمر عبد العزيز ، وقد حضره ٦٤ أسقفاً من أتباع الطبيعة الواحدة ، الى جانب الأساقفة الملكانيين وغيرهم من المذاهب الأخرى .

وفى القرن الحادى عشر عقد مجمع فى الفسطاط بأمر الخليفة المستنصر ووزيره أمير الجيوش حضره سبعة وأربعون أسقفاً برياسة الأنبا كيرلس البطريرك السابع والستين .

ولا يبدو لنا أن الكنائس قد تحولت الى مساجد بعد الفتح العربى(١) ولكن كان يجرى هدمها واستخدام مواد البناء المتخلفة عنها فى بناء المساجد .

لقد حاولت المذاهب المختلفة قبل وبعد الفتح الاسلامى الاستيلاء على الكنائس فنحن نقرأ فى حياة البطريرك خائيل (**) (٧٤٤ — ٧٦٨ م) أن الملكانيين ادعوا ملكية كنيسة مارمينا بمريوط . وقد قرر الخليفة عبد الملك بعد الاستماع الى كلا الطرفين ، أحقية اليعاقبة فى الكنيسة . ومرة أخرى نقرأ فىحياة البطريرك ثيوفيلوس البابا الخامس والستين(***) (٩٥٠ — ٩٥٥ م) فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله أن البطريرك الملكانى أرسانيوس (الذى كان شقيق احدى زوجاته وهى أم الحاكم) ادعى ملكية الكنيسة المعلقة . وبعد جهود جبارة أعطى اليعاقبة للملكانيين

(*) عدد الأساقفة الآن يتجاوز السبعين ـ (المترجم) .

(١) السبب فى ذلك هو أن تخطيط مبنى الكنيسة لا يصلح للمسجد .

(**) هو البابا ميخائيل الأول وهو السادس والأربعون فى تعداد بابوات الاسكندرية .

(***) تعداده الستون وليس الخامس والستين ـ (المترجم) .

كنيسة الست العدرا بقصر الشمع ، وهى التى تعرف حالياً باسم : قصرية الريحان ، ثم استعادوها منهم فيما بعد .

وسأجازف بتقديم بعض الملحوظات فيما يختص بعـدد المـذابح التى تعرضت لها من قبل .

يلاحظ فيما يتعلق بالمساقط الأفقية لكنائس جنوب أسوان أن الأجنحة فى معظمها ضيقة جدا لدرجة أنه يبدو من الصعب وضع مذبح فى الطرف الشرقى منها . والأكثر من ذلك هو وجود باب فى الحائط الشرقى للجناح يتيح الوصول الى الحجرة الصغيرة التى خلفه (انظر اللوحات أرقـام ٦ — ١٢ ، ١٥ — ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤) . ويبين لنا مستر مايلهـام على اللوحات أرقام ٨ ، ٢٢ ، ٣٦ الخاصة بكنائس النوبة السفلى أنه وجد آثار حواجز صغيرة فى الطرف الشرقى للأجنحة ؛ ولكن هذه الحواجز فى كل حالة قد رتبت لاخفاء الباب الذى فى الحجرة الصغيرة التى خلف الحاجز ، انها ليست حجاباً مقاماً بالنسبة للمذبح . ولم يكن للتناسب والرقة دور فى وضع مثل هذا الترتيب بهذه الكنائس التى فحصناها وأن المكان المتاح فى كل منها محدود المساحة . أما بالنسبة لأجنحة كنائس النوبة فلا يوجد بها أى مكان يسمح بوضع أصغر المذابح . وهذه الأدلة التى قدمناها الآن فى صالح اقامة مذبح واحد فقط على سطح الأرضية وأن موضعه فى الهيكل. ولن أخاطر بالنظر فى امكانية وجود مذبح بالدور العلوى .

وعندما نتفحص الرسم التخطيطى باللوحة رقم ٣١ : ديـر القديس سمعان بأسوان — نجد أن الفضاء المتاح غير محدود . وعند وصف المبنى كان السؤال يدور حول امكانية وجود ثلاثة مذابح بمعدل مذبح واحد فى كل هيكل . أما عن المذابح التى فى الطرف الشرقى للأجنحة ، فقد واجهنا هنا الصعوبة القديمة وهى الحاجة الى الفراغ ، ووضع الأبواب فى المكـان غير الصحيح .

وعندما نجد انفسنا فى شمال أسوان فاننا نكتشف اختلاف الظروف ، ولكن حتى فى هذا الجزء من مصر وعندما نلتقى فى حالات قليلة بمسـقط

افقى فى كنيسة اثرية فمما لا جدال فيه أننا سنواجه نفس المصاعب التى ذكرناها من قبل . وعلى سبيل المثال ، فإننا ونحن بالدير الأبيض (اللوحة رقم ٤٥) والدير الأحمر (اللوحة رقم ٤٩)، نجد أنفسنا فى حضرة اثنين من المساقط الأفقية من الطراز البازيليكى الخالص . ولكن لا يبدو أن هنـــاك مكانا لإقامة ثلاثة مذابح بالطرف الشرقى للكنيسة فيما عدا مواجهة مذبحين منهما لناحيتى الشمال والجنوب · ان الأطراف الشرقية للأجنحة والفراغات التى خلف الأجنحة مهدمة ؛ ولذلك فان محاولة البحث عن الترتيب الذى ينطبق عليها غير مجدية · ويظهر فى اللوحة رقم ٥٥ الرسم التخطيطى لدير «أبو حنس» وهو من افضل المساقط الأفقية التى بقيت سليمة . وهنا نجد أن الأجنحة الضيقة والمداخل غير المناسبة تعلن عن نفسها سريعاً .

وعندما ندرس المساقط الأفقية من الطراز (جـ) سنجد تغييراً كبيراً ، ففى اللوحة رقم٣٣ ، الشكل رقم٢ : دير الشهداء فى اسنا ـــ نجد أن المبنى يستطيع أن يستوعب ثلاثة مذابح بسهولة ولكننا نجد فى هذا المبنى ما لا يقل عن خمسة مذابح ، أحدها فى الكنيسة الأصلية التى يمكن أن تستوعـــب ثلاثة مذابح ، وأربعة مذابح مضافة الى الجانب الشمالى .

أما فى اللوحة رقم ٣٤ : دير الأمير تادرس بمدينة هابو ـــ فإننا نظن أن الكنيسة عند بنائها لأول مرة كان بها ثلاثة مذابح وأن المذبح الرابع أقيم فى وقت لاحق .

وفى اللوحة رقم ٣٥ فى الميدامود نجد خمسة مذابح فى صف واحـــد ولا نجد دليلا على أن هذه الهياكل جميعها لم تبن فى وقت واحد .

وفى اللوحة رقم ٣٦ : دير الملاك ميخائيل فى قامولا يصعب الشك فى أننا نرى كنيستين قائمتين احداهما بجوار الأخرى والجنوبية منهما مجهزة لوضع ثلاثة مذابح ويبدو أن نفس هذا الترتيب مطبق أيضاً فى الكنيســـة الشمالية .

وفى دير مار بقطر بنقادة (اللوحة رقم ٣٧) لا نخطىء اذا افترضنا أن الكنيسة قد بنيت أصلا وهى معدة لاقامة ثلاثة مذابح فى صف واحد .

وفى اللوحة رقم٣٨ دير الصليب المقدس فى نقادة ، نجد أن الكنيستين الجنوبية والشمالية قد أعدت كل منهما لوضع ثلاثة مذابح . أما الكنيسة الوسطى فنجد بها حالياً مذبحين فقط . ولكن الا يوجد فى هذه الحالة بعض التغيير منذ إقامة هذا الجزء من الكنيسة ؟ اما فى الوقت الحالى فإن الجزء الشرقى من الكنيسة الصغرى لا يبدو متناسباً مع الجزء الغربى بأية حال من الأحوال .

أما عن اللوحة رقم ٤٠ : دير المجمع فى نقادة ــ فمن الصعب ضغط ثلاثة مذابح متجاورة فى كنيسة « أبو حنس » ، ولكن هناك مكان لمثل ذلك فى الكنيستين الآخريين .

وفى نجع الدير (اللوحة رقم ٥١ ــ الشكل رقم ٢) يبدو أن الكنيسة بدأت بثلاثة مذابح متجاورة اما المذبحان اللذان فى الشمال ، فإنهما على ما أعتقد يمثلان اضافة تالية .

وفى دير مارجرجس (اللوحة رقم ٤٢ ــ السكل رقم ١) وأيضاً فى دير العذراء ــ نجد أن المبنى الرئيسى فى كل من الحالتين يبدو مجهزاً لوضع ثلاثة مذابح . ومن الصعب انكار أنه فيما يتعلق بالمساقط الأفقية من الطراز (د) فانه من المفضل وضع ثلاثة مذابح فى صف واحد داخل الهياكل المعدة لذلك (*) .

أما عن مواقع الكنائس ، فهناك الكثير من الأماكن التى ستكشف للمنقبين فيما بعد عن بقايا الكنائس القديمة ، فما زال البحث فى السودان فى بدايته . ذلك أن البحث العلمى جرى فى مقاطعة واحدة فقط ابتداء من فرس عند الحدود الشمالية للسودان حتى وادى حلفا . ولا بد من العمل الكثير عند مدخل الشلال الثانى سواء على الأرض أو فى الجزر ، بالاضافة الى أن الضفة الغربية للنيل مقابل حلفا تحدد نقطة مركزية عجيبة .

(*) خلاصة هذه الاحصائيات لأعداد المذابح فى الكنائس التى أوردها المؤلف تدل على أن حاجة الكنيسة القائمة فى الدير الى المذابح أقل من حاجة الكنيسة التى تخدم حيا فى مدينة أو مدينة بها عدة آلاف من المسيحيين يحتاجون الى اقامة قداسات عديدة ورعاية عدد من الكهنة وليس كاهنا واحدا ــ (المترجم) .

وتكشف الخريطتان رقم ٣ ، ٤ (انظر اللوحتين رقم ٢٧ ، ٢٨) عن هذه الحقيقة ، فمن المؤكد وجود مواقع قديمة عديده لم استطع زيارتها . ولا نشك فى وجود البعض منها على الضفة الشرقية للنيل وكذلك الغربية . كما نعلم أنها تمتد فوق الجزر المتناثرة بكثافة فى هذا الجزء من الشلال . ويتطلب القيام ببحث شامل مثل ذلك الذى قمت به ، استخدام كوكبة من الجمال والخيام .. الخ ولكن البحث الدقيق فى مقاطعة مثل هـذه كثير التكلفة وعديم الفائدة . ان توظيف خيمتين مع عدد قليل من الرجال الموثوق بهم الذين يعرفون الحفائر بالخبرة والذين لا يحفرون فيدمرون ما نبحث عنه ، يساعد على أن نبدأ استكشافات قصيرة المدى من مراكز محددة وبتكلفة معقولة . ومن الضرورى أيضاً امداد الباحثين بقارب . ولكن هناك صعوبات عديدة تتعلق بتوفير هذه المعدات ، ذلك لأن القوارب غير متوافرة فى أماكن كثيرة بالسودان خاصة فى بطن الحجر . ونجد فى أماكن أخرى أن وسيلة الانتقال الوحيدة تتمثل فى « النجر » وهو قارب محلى غريب الشكل وصفه هيرودوت بأنه يشبه نصف ثمرة جوز الهند . وهذه الأداة العتيقة لا تستحق الاكتراث ولا طائل من ورائها ، لأنها تمضى فى مسار متعـرج عكس اتجاه الريح . وفى احدى المرات استغرق عبور النهر باستخدام النجر نصف ساعة ولكن العودة استغرقت أكثر من أربع ساعات ، لأن هذا النوع من القوارب غير مناسب للتجديف وغير مجهز بالمجاديف ، كما أن مكان المجداف يشغله عمود معقوف لا يمكن أن يتحقق به الا القليل من التقدم . ومن ناحية أخرى فان خشب السنط الـذى تبنى منه هـذه القوارب شديد الصلابة ويقاوم الضربات الشـديدة واللطـمات التى يتلقاها القارب بين حين وآخر من الصخور التى يندفع اليها بسبب سرعة اندفاع الماء . ويستدعى الأمر استخدام قارب مقوس الجسم مع الحذر الشديد لأن الكثير من هذه الأماكن غير آمن . وقد جـربت نوعين مـن القوارب ولم تكن المجاديف المستخدمة فى كلا النوعين قوية بما فيـه الكفاية ؛ لأن البعض منها يتكون من جزءين مثبتين معاً فى ثقب بالقـارب ولكنه ثقب ضعيف بشكل خطير . أما عن استخدام القارب كوسيلـة رئيسية للنقل فانه ليس محل سؤالى . ومع استخدام تلـك الأدوات المتاحة ، وبالشكل الذى وصفناه للانتقال ، فمن المؤكد أننا سنخطىء الوصول للمواقع المطلوب استكشافها .

ولا يستطيع المواطن العادى أن يفرق على الأقل بين بروز صخرى وقاعدة مبنى حجرى . وكذلك فان للمبنى الحديث المقام بالطوب الذى أنشىء فى عصر محمد على ، نفس القدر فى عينيه وربما قـدراً أكبر ، (ربما لأن حالته أفضل) عن خرائب كنيسة أو قلعة قديمة . ويقـع الرحالة الى حد ما تحت رحمة ما يذكره له هؤلاء المواطنون .

وأفضل وسائل النقل المتاحة هى الحمار والجمل وأقدام الانسان ، والوسيلة الأخيرة هى أفضل الثلاثة وتأتى بعدها فى الترتيب الوسيلتان الأخريان .

ويمتلىء النهر بالكثير من الماء فى شهور التحاريق التى تمثل افضل الأوقات للاختيار بعيداً عن مسألة حرارة الصـيف ، حيث يستطيـع القارب العريض أن يتحرك بسهولة . ومن جهة أخرى ، فان الرياح التى تهب باستمرار من الشمال الغربى شديدة البرودة ، مما يـؤدى الى العجز عن تحقيق أى تقدم فى اتجاه الشمال بالرغم من الابحار فى تيار شديد .

ومن السهل اقامة مركز قيادة عند حلفا ، التى تمثل وسيلة طيبة لفحص جزء معين من النهر والحصول على المؤن . ومن هذا المكـان يمكن فحص الآثار حتى الوصول الى شلال دالى .

والموقع التالى الجدير بالعناية هو دنقلة الجديدة ، وكريمة (انظر جبل برقل على الخريطة رقم ٣ والعديد من المواقع) . ولا شك أن هناك مواقع أكثر لم تعرف بعد . وهنا تتوقف المراكب البخارية عن الابحـار لأنها لا تستطيع اعتلاء الشلال الرابع .

ويقال ان هناك العديد من خرائب الكنائس عند الشلال الرابع . وقد ذكر لبسيوس بعضاً منها ، أما الخط الحديدى الممتد من كريمة الى « أبو حمد » ، فانه لا يفيد فى الفحص لأنه لا يحاذى النهر ولو حدث ذلك ، فإن التقدم سيكون سريعاً وتتسع المسافات بين المحطات .

ولا أستطيع الادلاء بأية معلومات عن امتداد النهر بين « أبو حمد ، والخرطوم . وحتى الآن فانه لا أحد يعرف ما اذا كانت هنـاك آثار مسيحية أم لا . ولو صح ذلك فانه اذا وجدت خرائب متفرقة للكنائس جنوب صوبا فلن يكون هناك شىء فى شمالها خاصة عندما نعرف أن صوبا كانت احدى الحواضر ، ومركزاً مرموقاً . كما أنه كانت هنـاك مراكز استقرار كبيرة الأهمية فى الأماكن المعروفة الآن مثل مصـورات وكابوشيا . فلماذا لم يتواجد المسيحيون هناك مثلما فعل سائر الناس من قبل ؟

وآخر المراكز المهمة التى أستطيع اقتراحها حالياً هى الخرطوم . وربما استطعنا اضافة سنار الى القائمة سريعا .

وندين بهذه المعلومات التى فى حوزتنا للمفتشين وغيرهم من الذين اهتموا بكتابة المذكرات . أن هؤلاء السادة الأفاضـل وهـؤلاء الـذين يقومون برسم الخرائط لم يرسلوا بمعرفة الحكومات فى بعثات أثرية ، ولم يكن لديهم وقت يضيعونه أو نقود يصرفونها على عمل الحفائر . ولم يسبق اعدادهم للعمل بالحصول على دراسات سابقة . ان مجرد الحفر بدون هدف يسبب الأضرار . ومن الأفضل ترك المواقـع دون المساس بها بدلا من الحفر غير الموجه ، وما ينتج عنه من تكديس المواد المستخرجة بشكل يثير الارتباك ، وتبديد الدليل ، أو على أحسن تقدير دفنه تحت تل من الطوب المكسور ، أو على أسوأ تقدير احداث انهيار لما كان قائماً على مدى سنوات طويلة .

وقد وجهنا الانتباه مؤخراً نحو الجهود غير الموفقة التى قام بهـا الحفارون من أصحاب النوايا الطيبة . وعلى كل حال ، فإن الانسـان لا يستطيع الحديث بالكثير من التقدير عن هؤلاء السـادة الأفاضـل والمفتشين الحكوميين الذين يتحمل كل منهم مسئولية جزء من البـلد . وهم الذين يتحركون بدوافعهم الذاتية فى مقاطعاتهم حيث يصاب الرجال بالتبلد فى قبضة عملهم الروتينى البليد ، ويهتمون بدراساتهم الخاصة ، فالبعض منهم يهتم بدراسات علم الأجناس Ethnology والبعض

الآخر بدراسات علم النبات ، أو دراسات علم طبقات الأرض Geology فى حدود مقاطعاتهم ، ويهتم البعض منهم بدراسة المواقع أو الأدوات القديمة التى يبدو لهم أنها تستحق الدراسة . وهم يدونون أبحاثهم على الخرائط التى يصحبونها فى أسفارهم . ولم أجد رجالا أكثر استعداداً للتخلى عما اكتشفوه أكثر من هؤلاء السادة الأفاضل . والحقيقة أنه لولا تعاونهم وتعاون مصلحة المساحة لكانت خرائط السودان خالية من الكثير من المواقع التى وضعت عليها . وأتمنى أن يكف هؤلاء السادة الأفاضل أيديهم عن عمل الحفائر للأسباب التى ذكرناها من قبل .

أما فيما يتعلق بالخرائط واستقصاء المواقع ، فان القارىء الذى يعود اليها يلاحظ أننى هنا أقدمها وأقارنها بالخرائط التى نشرتها الحكومة السودانية أو المصرية ، ومنها نعرف أنها تتفق مع العديد من أسماء الأماكن .

ونظراً لأن الخرائط الحكومية غير متفقة مع بعضها ، فاننا نلتمس العذر فى تقديم قراءات عديدة لها . أما عن التعامل مع البلدان التى ليست لها لغة مكتوبة أو اذا وجدت فان أهلها يهملون فى ضبط النطق ، أو فى المناطق التى تكتب فيها الأسماء دون اهتمام بقيمة الأصوات ، فاننا نجد العديد من التفسيرات المختلفة لاسم المكان الواحد . والأكثر من ذلك فان المواطنين انفسهم لا يقدرون الدقة أو يهتمون بها . ولا يمكن تحقيق الدقة فى مثل هذه الحالات .

ويضاف الى هذه الصعوبات تلك التى تنتج من كتابة اللغة العربية بحروف لغة أخرى من اللغات الأوربية فعلى سبيل المثال ، قد نصل الى محطة مكتوب عليها كلمة Guergeh ثم ننظر الى الخريطة ونجد أن نفس المكان مكتوب عليه كلمة Girgeh أو Girga ويواجه الفرنسيون صعوبة فى نطق الحروف المتحركة فى هذه النوعية من الترجمة ونحن ندين لهم بتركيب الاسم الموسيقى الوقع Mallaoui ولكننا نجدها مكتوبة على الخرائط Mellawi وهكذا . ووجدت أن

بعضهم يكتب كلمة أسوان Uswan بينما يكتبها البعض الآخر Aswan أما عند محطة السكة الحديد فانها مكتوبة Assouan .

ونلاحظ تشكيلة مختلفة من النطق فى قائمة الكنائس التى قدمها لى سميكة بك وهى المطبوعة فى ملحق هذا الكتاب . وأنا لست مسئولا بالطبع عن مشروع تحقيق التناسق بين المجموعات التى استعنت بها ، كما أننى لست مستعداً للقيام بهذا الدور . ولا شك أن أسماء الأماكن فى مثل هذا البلد النامى مائعة ، ولكن قد يتساءل البعض : ما قيمة نطق الأسماء ما دامت تنطق حسب نطقها باللغة العربية ؟

ويلاحظ أن عدد الأسماء التى فى القائمة (الملحق — أ —) يتجاوز عدد الأسماء المبينة على الخرائط ويتضح ذلك نتيجة لأننى بذلت ما فى وسعى لوضع تلك الأسماء التى يوجد عندها كنائس أثرية أو قيل لى ان فيها بقايا بعض هذه الكنائس .

ولست فى حاجة للقول باستحالة زيارة كافة الكنائس فى مصر فى حين لا يعرف الناس شيئا عن الآثار — الا بعض الاستثناءات النادرة — ولا يهتمون بتلك المعرفة . ولست أمتلك وسائل تحصيل المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها . ولا بد أن أرضى بذلك . وأعتذر للقارىء عن البنط الذى طبع به هذا الكتاب او على الأصح الحاجة الى البنط المناسب . ولم يكن فى الاستطاعة استخدام بنط آخر . أن الكثير من مادة الكتاب تتخذ شكل القوائم المبوبة وهى المعلومات التى جمعتها عاماً بعد عام فيما لا يقل عن ثمانية عشر دفتر للملاحظات (أجندة) مع كراسات الرسومات التخطيطية المتفرقة ، والعديد من الأماكن التى زرت بعضها خمس أو ست مرات . ولقد اتخذ تصنيف هذا الموضوع فى الكثير من أجزائه شكل الحفائر التى تضمنها العديد من الكتب السابقة . والنتيجة لا تتناسب دائماً مع ما نرجوه .

وقد أوضحت امتنانى للمستر جرين F. W. Green والبروفيسور سايس Sayce . وبالنسبة لجمع المادة من حلفا ونحو الشمال فقد

تلقيت مساعدة العديد من الأصدقاء من بينهم ماكس هيرز بك Max Herz المهندس المعمارى بلجنة حفظ الآثار العربية ، والمستر بيرز C. R. Peers وهو الآن سكرتير الجمعية الملكية لدارسى الآثار ، والمرحوم هارولد سوينسون والمستر ر. د. ويلز والمستر بلاكبرن دانيال وغيرهم . وأخيراً وليس آخراً اشكر تلك المساعدة الرقيقة التى قدمها لى الخدم والبحارة .

ملحق الكتـــاب

قائمة بأسماء الكنائس والاديرة انقبطية فى مصر

بالرغم من صعوبة الافراط فى تضمين هذه الأسماء فى متن الكتاب ، فلا شك فى أن نقائمة اسـماء الكنائس والمواقع الاثرية فى مصر ، التى اضيفت ضمن هذا الملحق بعد أن تلقيتها تفضلا من قداسة البطريرك بمساعدة صديقى العزيز مرقس بك سميكة ، ذات قيمة عظيمة ·

وقد وجهنا الانتباه منذ قليل نحو المرونة المتناهية التى تميز هجاء أسماء الاماكن عند نقلها من اللغـة العربيـة الى اللغـات الأوربية ، ولذلك كان من المهم بالنسبة لعـالم الطوبوغرافيا والمؤرخ تدوين قائمة اسماء الأماكن باللغة العربية · أما اسـماء الاماكن المطبوعة هنا فهى نفسها المستخدمة منذ فترة طويلة فى القوائم الرسمية بالبطريركية ومن الصعب الحصول على قائمة اقدم منها أو اقوى اعتمادا من الجهات الرسمية ·

وقد طبعت القائمة كما تسلمتها · ولست اضمن صحتها او دقتها ·

المكرسى البطريركى

مصر وضواحيها

اسماء الكنائس	الجهـــة
١ ـ مار مرقس	الأزبكيـة
٢ ـ السيدة العذراء	الفجـالة
٣ ـ الملاك ميخائيل	المعباسـية
٤ ـ أنبا رويس	»
٥ ـ الست دميانة	بولاق
٦ ـ الملاك غبريال	حارة السقائين

(١) كاتدرائية : مقر كرسى البطريرك القبطى · والمبنى جديد · ويوجد عدد كبير من الكاتدرائيات فى القاهرة أو حولها · وليس بينها مقر لكرسى أسـقفى ·

(٣) أعيد بناؤها سنة ١٨٩٥ ·

(٤) بنيت فى القرن الثامن عشر ، على اسم أحد النساك فى القرن الثالث عشر ·

(٥) كنيسة جديدة ·

(٦) أعيد بناؤها سنة ١٨٩٠ ·

تابع الكرسى البطريركى ـ مصر وضواحيها

اسماء الكنائس	الجهة
٧ ـ السيدة العذراء	حارة زويله
٨ ـ مار جرجس	» »
٩ ـ السيدة العذراء	حارة الروم
١٠ـ مار جرجس	» »
١١ـ دير مارمينا	فم الخليج
١٢ـ الشهيد مرقوريوس	مصر القديمة
١٣ـ السيدة العذراء بالدمشيرية	» »
١٤ـ انبا شنودة	» »
١٥ـ مار جرجس	» »
١٦ـ السيدة العذراء بالمعلقة	» »
١٧ـ السيدة العذراء بقصرية الريحان	» »
١٨ـ الست بربارة	» »
١٩ـ القديسان سرجيوس و واخس	» »
٢٠ـ السيدة العذراء ببابليون	» »
٢١ ـ الأمير تادرس المشرقى .	» »
٢٢ ـ القديسان اباكير ويوحنا	» »

(٧) كاتدرائية قديمة قامت باصلاحها لجنة حفظ الآثار العربية ٠

(٩) كاتدرائية قديمة ٠

(١٠) من القرن السابع عشر ٠

(١٢) كاتدرائية قديمة ٠

(١٣) كاتدرائية قديمة قامت باصلاحها نفس اللجنة ٠

(١٤) احترقت واعيد بناؤها سنة ١٨٧٠ ٠ ويطلق على الحصن الرومانى اسم : قصر الشمع وتقع داخل أسواره الكنائس من رقم ١٤ الى رقم ١٨ ٠

(١٥) كاتدرائية اعيد احياؤها ٠

(١٦) تعود الى القرن السابع عشر ٠

(١٧) حدثت تغييرات بالقبة منذ حوالى أربعين عاما ٠

(١٨) كاتدرائية قديمة ٠

(١٩) من القرن السابع عشر ٠

(٢٠) من القرن السابع عشر ٠

(٢١) من القرن السابع عشر ٠

تابع الكرسى البطريركى ـ مصر وضواحيها

أسماء الكنائس	الجهة
٢٣ ـ الملاك ميخائيل	مصر القديمة
٢٤ـ دير السيدة العذراء	حارة زويلة
٢٥ـ دير مار جرجس	» »
٢٦ـ دير الأمير تادرس	حارة الروم
٢٧ـ دير ابى سيفين	مصر القديمة
٢٨ـ دير مار جرجس	» »

(٢٣) دير للراهبات •
(٢٤) دير للراهبات
(٢٥) دير للراهبات •
(٢٦) دير للراهبات •
(٢٧) دير للراهبات •
(٢٨) دير للراهبات •

آبروشية كرسى الاسكندرية

أسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة مار مرقس	المسلة
٢ ـ مار جرجس	جهة شرقى
٣ ـ كنيسة الملاك ميخائيل	دمنهور
٤ ـ « السيدة العذراء	المعطف
٥ ـ « مار مرقس	رشيد
٦ ـ « مار جرجس	دمتيوه
٧ ـ « السيدة العذراء	الطرانة
٨ ـ « « «	عزبة أبو حمرة
٩ ـ « « «	الظهرية
١٠ـ « « «	عزبة أبو حنا
١١ ـ « مار جرجس	عزبة الجرابسة
١٢ـ « السيدة العذراء	شبين الكوم
١٣ـ « « «	البتانون
١٤ـ « انبا صرابامون	«
١٥ـ « « «	مليج
١٦ـ « مار جرجس	المنيتين
١٧ ـ « انبا بشاى	«
١٨ـ « السيدة العذراء	منشاة شنوان
١٩ـ « « «	زاوية الناعورة
٢٠ـ « مار جرجس	منوف
٢١ـ « « «	عزبة تتا
٢٢ـ « السيدة العذراء	سدود
٢٣ـ « « «	فيشا النصارى
٢٤ ـ « الملاك ميخائيل	بى العرب
٢٥ـ « السيدة العذراء	بهناى الغنم
٢٦ـ « مار جرجس	سرس الليانه

(١) كنيسة جديدة بنيت على قبر القديس مرقس وهى مقر البطريرك .

(٣) كنيسة جديدة

(٤) كنيسة جديدة .

(٥) من القرن الثامن عشر .

(٦) كنيسة جديدة .

تابع أبروشية كرسى الاسكندرية

اسـماء الكنائس	الجهــة
٢٧ـ كنيسة السـيدة العـذراء	سبك
٢٨ـ « مار جرجس	طاليـــا
٢٩ـ « « «	شطانوف
٣٠ـ « « «	اكوه
٣١ـ « « «	بمم
٣٢ـ « السيدة العذراء	طوخ النصــارى
٣٣ـ « مار جرجس	« «
٣٤ـ « السيدة العذراء	عزبة البرموس
٣٥ـ « مار جرجس	كفر الزيات
٣٦ـ « السيدة العذراء	ابيـــار
٣٧ـ « مار مينا العجائبى	«
٣٨ـ « مار جرجس	برما
٣٩ـ « « «	محلة مرحوم
٤٠ـ « السيدة العذراء	طنطـا

اديرة الرهبان بوادى النطرون

(١) دير البرموس يحتوى على أربع كنائس الكبرى باسم السيدة العذراء والثانية باسم الأمير تادرس والثالثة باسم القديس يوحنا المعمدان والرابعة « بالقصر » باسم الملاك ميخائيل ٠

(٢) دير السريان يحتوى على ثلاث كنائس الكبرى باسم السيدة العذراء والثانيــة بالمغــارة باسم السيدة العذراء والثالثة باسم الملاك ميخائيل ٠

(٣) دير أبى مقار يحتوى على اربع كنائس ، الكبرى باسم القديس مقاريوس ، والثانية باسم شيوخ شيهات التسعة والأربعين والثالثة باسم القديس ابسخيرون ، والرابعة بالقصر باسم الملاك ميخائيل ٠

---

(٣) داخل الحصن ٠ انظر الاقتباسات المأخوذة عن « أبو صالح » ٠ وكذلك اللوحة رقم ٣٢ التى تبين دير القديس سـمعان فى أسوان وبه الحصن المذكور ٠

تابع أديرة الرهبان بوادى النطرون

(٤) دير انبا بيشوى يحتوى على ثلاث كنائس الكبرى باسم القديس انبا بيشوى والثانية باسم الشهيد ابسخيرون والثالثة « بالقصر » باسم الملاك ميخائيل .

أبروشية كرسى أورشليم

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة السيدة العذراء	بورسعيد
٢ ـ « السيدة العذراء	السويس
٣ ـ « مار جرجس	دمياط
٤ ـ « الملاك ميخائيل	المنصورة
٥ ـ « السيدة العذراء	«
٦ ـ « مار جرجس	«
٧ ـ « السيدة العذراء	الريدانية
٨ ـ « مار جرجس	سلامون القماش
٩ ـ « السيدة العذراء	كفر يوسف عوض
١٠ـ « مار جرجس	ميت دمسيس
١١ـ « السيدة العذراء	دقادوس
١٢ـ « « «	كفر ابراهيم يوسف
١٣ـ « مار جرجس	ميت غمر
١٤ـ « « «	صهرجت الكبرى
١٥ـ « « «	كفر الشهيد
١٦ـ « « « تكلا هيمانوت	الزقازيق
١٧ـ « انبا بشاى	«
١٨ـ « السيدة العذراء	كفر عطا الله سليمان
١٩ـ « الست دميانة	« عبد الشهيد شنودة
٢٠ـ « السيدة العذراء	شبلنجة
٢١ـ « « «	كفر يوسف سمرى
٢٢ـ « « «	ميت بشار
٢٣ـ « « «	كفر فرج جرجس
٢٤ـ كنيسة مار جرجس	طاروط
٢٥ـ « القديس مرقوريوس	كفر سلامة ابراهيم
٢٦ـ « الملاك ميخائيل	« الدير بالتلين
٢٧ـ « السيدة العذراء	بنها
٢٨ـ « مار جرجس	كفر عطا الله نقباس
٢٩ـ « السيدة العذراء	مسترد

(١٦) مقر كرسى أسقف الايبارشية .

تابع أبروشية كرسى أورشليم

اسماء الكنائس	الجهة
٣٠- الملاك ميخائيل	القشيش
٣١- » » »	الفلزم
٣٢- » السيدة العذراء	كوم اشفين
٣٣- » مار جرجس	سندبيس
٣٤- » » »	قليوب
٣٥- » » »	المحلة الكبرى
٣٦- » ابانوب النهيسى	سمنود
٣٧- » القديس مرقوريوس	زفتى
٣٨- » مار جرجس	مسجد وصيف
٣٩- » الست رفقة	سنباط
٤٠- » مار جرجس	دسوق
٤١- » » »	كفر الخير
٤٢- » » »	» يوسف جنس
٤٣- » السيدة العذراء	سخا
٤٤- » » »	كفر سليمان عوض
٤٥- » مار جرجس	بساط
٤٦- » » »	نبروه
٤٧- » السيدة العذراء	بلقاس
٤٨- » الست دميانة	برية بلقاس
٤٩- » الملاك ميخائيل	سيرباى
٥٠- » مار مينا العجائبى	بسيون
٥١- » » مار جرجس	ابنهس
٥٢- » » »	ميت بره
٥٣- » الملاك ميخائيل	طوخ طنبشا
٥٤- كنيسة السيدة العذراء	كفر عبده
٥٥- » » »	شنتنا الحجر
٥٦- » » »	منشاة مسجد الخضر

أبروشية كرسى الفيوم والجيزة

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة القديس مقاريوس	اتريس
٢ ـ » السيدة العذراء	»
٣ ـ » » »	أوسيم
٤ ـ » » »	الوراق
٥ ـ » مار مرقس	الجيزة
٦ ـ » قزمان ودميان	منيل شيحة
٧ ـ » الأمير تادرس	منا الأمير
٨ ـ » القديس مرقوريوس	طموه
٩ ـ » الأمير تادرس	ام خنان
١٠ـ » السيدة العذراء بالعدوة	معادى الخبيرى
١١ـ » مار جرجس	طره
١٢ـ » انبا برسوم العريان	المعصرة
١٣ـ » السيدة العذراء	ابى فار
١٤ـ » » »	اسكر
١٥ـ » السادة الرسل	اطفيح
١٦ـ » السيدة العذراء	الفيوم
١٧ـ » » »	العزب
١٨ـ » دير الملاك غبريال	سنورس
١٩ـ » ـ الملاك ميخائيل	ابشواى
٢٠ـ » مار جرجس	فديمين
٢١ـ » السيدة العذراء	سنهور
٢٢ـ كنيسة السيدة العذراء	
٢٣ـ » الملاك غبريال	النزلة
٢٤ـ » الأمير تادرس	دسيا

الديران الموجودان بالجبل الشرقى

(١) دير القديس انطونيوس ويحتوى على كنيسة باسم مار أنطونيوس ، واخرى باسم الملاك ميخائيل بالقصر وثلاث كنائس أخرى احداها لها اثنتا عشرة قبة وفى الجبل على ارتفاع الف وخمسمائة قدم توجد مغارة مار انطونيوس وهى عبارة عن نقب طبيعى فى الصخر وتشرف على الصحراء •

يتضمن دير الأنبا أنطونيوس خمس كنائس :

(١) الأنبا أنطونيوس •
(٢) الملاك ميخائيل (فى الحصن) •
(٣) لم يذكر اسم شفيع كل من الكنائس الثلاث الأخرى •

أبروشية كرسي بني سويف والبهنسا

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة انبا انطونيوس	دير الميمون
٢ ـ « انبا بولا	بوش
٣ ـ « انبا انطونيوس	«
٤ ـ « مار جرجس	سدمنت الجبل
٥ ـ « السيدة العذراء	بني سويف
٦ ـ « « «	بياض النصارى
٧ ـ « « «	ابو صير الملق
٨ ـ « « «	دير الحمام
٩ ـ « مار جرجس	ببا
١٠ـ « الملاك ميخائيل	دشاشة
١١ـ « السيدة العذراء	الفشن
١٢ـ « القديس ابكلوج	الفنت
١٣ـ « الملاك ميخائيل	شترا
١٤ـ « « «	نزلة عوض القطشة
١٥ـ « السيدة العذراء	منبال
١٦ـ « مار جرجس	اشنين النصارى
١٧ـ « السيدة العذراء	دير الجرنوس
١٨ـ « الملاك ميخائيل	شارونه
١٩ـ « السيدة العذراء	ابو جورج
٢٠ـ « الأمير تادرس	دير السنقورية
٢١ـ « انبا اثناسيوس الرسولى	كفور الصوليه
٢٢ـ « ابا قسطور	بردنوها

دير انبا بولا وبه جملة كنائس .

أبروشية كرسى المنيا والأشمونين

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة مار جرجس	المنيـا
٢ ـ « القديس اباهور	دير سواده
٣ ـ « مار مينا العجائبى	نزلة عبيد
٤ ـ « الأمير تادرس	دمشير
٥ ـ « السيدة العذراء	طوه
٦ ـ « القديس ابو بجول	تلة
٧ ـ « انبا برسوم العريان	طهنشـا
٨ ـ « مار مينا العجائبى	طهنا الجبل
٩ ـ « السيدة العذراء	دير جبل الطير
١٠ـ « القديس ابو مقـار	« « «
١١ـ « الشهيد ابسخيرون	ابيهو
١٢ـ « مار جرجس	المعصرة
١٣ـ « الملاك ميخائيل	قلوصـنا
١٤ـ « مار جرجس	كوم دفش
١٥ـ « القديس مرقوريوس	الطيبـة
١٦ـ « الملاك غبريال	بنى غنى
١٧ـ « مار مينا	طحا الأعمدة
١٨ـ « السيدة العذراء	بلنصورة
١٩ـ « الملاك ميخائيل	بنى عبيد
٢٠ـ « السيدة العذراء	جريس
٢١ـ « القديس مرقوريوس	كوم الزهير
٢٢ـ « « «	ابيوها
٢٣ـ « اباكير ويوحنا	منهرى
٢٤ـ « مار مينا العجائبى	«
٢٥ـ كنيسة الأمير تادرس	أبو قرقاص
٢٦ـ « القديس يوحنـا	الشيخ تمى

(٢٣) القديسـان أباكير ويوحنا من مدينة دمياط ٠

(٢٦) القديس يوحنا الرسول٠٠

تابع أبروشية كرسى المنيا والأشمونين

اسـماء الكنائس	الجهـــة
٢٧ـ « الملاك ميخائيل	نزلة اسنمت
٢٨ـ « مار جرجس	اتليدم
٢٩ـ « مار مينا العجائبى	نزلة حرز
٣٠ـ « الملاك ميخائيل	دير الملاك بالريريمون
٣١ـ « القديس أبو يحنس	« ابو حنس
٣٢ـ « « انبا بيشوى	« البرشـا
٣٣ـ « السيدة العذراء	ملوى
٣٤ـ « القديس ابو فانا	قصر هور
٣٥ـ « الملاك غبريال	هور
٣٦ـ « السيدة العذراء	البرشـا

(٣١) يعرف أيضا باسم : يحنس القصير (انظر اللوحتين رقم ٥٣ ، ٥٦) .

أبروشية صنبو وقسقام

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة الملاك ميخائيل	نندة
٢ ـ « مار جرجس	السيخ شبيكة
٣ ـ « « «	البذرمان
٤ ـ « « «	صنبو
٥ ـ « الأمير تادرس المشرقى	«
٦ ـ « مار مينا العجائبى	«
٧ ـ « السيدة العذراء	القصير
٨ ـ « الست دميانة	كوم بوها
٩ ـ « الأمير تادرس المشرقى	بيلاو
١٠ـ « الست دميانة	بانوب ظهر الجمل
١١ـ « السيدة العذراء	كودية النصارى
١٢ـ « انبا صرابامون	ديروط الشريف
١٣ـ « مار جرجس	دير مواس
١٤ـ « السيدة العذراء	دلجا
١٥ـ « كنيسة مار جرجس	دلجا
١٦ ـ « مار مينا العجائبى	نزلة اولاد مرجان
١٧ـ « الشهيد ابادير	دشلوط
١٨ـ « الشهيد مار جرجس	امشول
١٩ـ « مار يوحنا المعمدان	القوصية
٢٠ـ « الملاك غبريال	«
٢١ـ « القديس مرقوريوس	مير
٢٢ـ « الشهيد اقلوديوس	«
٢٣ـ « الملاك روفائيل	التنالية
٢٤ـ « مار جرجس	بلوط
٢٥ـ « الملاك ميخائيل	بوق
٢٦ـ « السيدة العذراء	بنى رافع
٢٧ـ « الأمير تادرس المشرقى	التمساحية
٢٨ـ « مار جرجس	السرقنة
٢٩ـ « مار يوحنا	ام القصور
دير المحرق وبه جملة كنائس اشهرها كنيسة العذراء	

(٤) مقر كرسى الأسقف •

(١٩) القديس يوحنا المعمدان •

أبروشية كرسى منفلوط

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة السيدة العذراء	منفلوط
٢ ـ « الملاك ميخائيل	بنى كلب
٣ ـ « السيدة العذراء	« شقير
٤ ـ « الأمير تادرس	
٥ ـ « السيدة العذراء	« عدى
٦ ـ « « « «	العزبة
٧ ـ « « «	عزالة
٨ ـ « القديس مرقوريوس	الجاولى
٩ ـ كنيسة مار جرجس	نجوع بنى حسين
١٠ـ السيدة العذراء	مسرع
١١ـ « مار مينا العجائبى	المعابدة
١٢ـ « مار جرجس	«
١٣ـ « السيدة العذراء	«
١٤ـ « الأمير تادرس	بصرة
١٥ـ « السيدة العذراء	الواسطى
١٦ـ « الملاك ميخائيل	المعصرة
١٧ـ « مار جرجس	بنى مر
١٨ـ « السيدة العذراء	بنى عليج
١٩ـ « القديس مرقوريوس	الحمام
٢٠ـ « القديس ابو اسحق	«
٢١ـ « مار فام	ابنوب
٢٢ـ « « يوحنا	«
٢٣ـ « السيدة العذراء	«
٢٤ـ « مار بقطر شو	دير بقطر شو
٢٥ـ « « « «	« الجبراوى
٢٦ـ « السيدة العذراء	بنى محمد

(١) مقر كرسى الاسقف .

أبروشية كرسى أسيوط

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة الشهيد ابادير	أسيوط
٢ ـ « السيدة العذراء	»
٣ ـ « الثلاثة فتية	درنكه
٤ ـ « الملاك ميخائيل	»
٥ ـ « السيدة العذراء	»
٦ ـ « الشهيد أبو قلتة	ريفة
٧ ـ « الأمير تادرس المشرقى	دير ريفه
٨ ـ « السيدة العذراء	» »
٩ ـ « مار بقطر شو	موشا
١٠ ـ كنيسة الشهيد مرقوريوس	شطب
١١ ـ « « فيلوثاوس	المطيعة
١٢ ـ « القديس ابى تربو	الزاوية
١٣ ـ « الشهيد اقلوديوس	باقور
١٤ ـ « مار جرجس	العونة
١٥ ـ « الست دميانة	»
١٦ ـ « السيدة العذراء	الشامية
١٧ ـ « الأمير تادرس	بويط
١٨ ـ « « « المشرقى	»
١٩ ـ « السيدة العذراء	النواميس
٢٠ ـ « » »	المراونة
٢١ ـ « الملاك ميخائيل	دير تاسا
٢٢ ـ « القديس هرمينا	عزبة الأقباط
٣٢ ـ « مار مرقس	قاو الشرق
٢٤ ـ « السيدة العذراء	زاوية النصارى

(١) مقر كرسى الأسقف .

(٢) الثلاثة فتية .

أبروشية كرسى أبو تيج

إسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة أبو مقار	أبو تيج
٢ ـ « السيدة العذراء	« «
٣ ـ « الملاك غبريال	المسعودى
٤ ـ « انبا شنودة	الزرابى
٥ ـ « الملاك ميخائيل	دير الجنادلة
٦ ـ « القديس مقروفيوس والعذراء	« «
٧ ـ « السيدة العذراء	الغنائم
٨ ـ « مار جرجس	«
٩ ـ « « «	أولاد الياس
١٠ـ « « مينا	النخيلة
١١ـ « « يوحنا	دوينة
١٢ـ « « جرجس	العزايزة
١٣ـ كنيسة القديس انبا شنودة	«
١٤ـ « « ابسخيرون	الشنانيه
١٥ـ « السيدة العذراء	صدفا
١٦ـ « انبا بشاى	«
١٧ـ « مار جرجس	«
١٨ـ « القديس مرقوريوس	الدوير
١٩ـ « مار جرجس	القطنة
٢٠ـ « « «	السوق
٢١ـ « السيدة العذراء	نزلة سعيد
٢٢ـ « الملاك ميخائيل	« عمارة
٢٣ـ « الرسولان بطرس وبولس	« «
٢٤ـ « مار جرجس	الكوم الاصفر
٢٥ـ « « «	كوم اشقاو
٢٦ـ « القديس ابى فام	طما
٢٧ـ « الست دميانة	«
٢٨ـ « مار جرجس	«
٢٩ـ « القديس ابو لبة	«
٣٠ـ « السيدة العذراء	الوعاضلة
٣١ـ « « «	ابى مغيزل
٣٢ـ « « «	الشيخ مسعود

(٩) مقر كرسى الأسقف .

تابع أبروشية كرسى أبو تيج

اسماء الكنائس			الجهة
٣٣ــ	«	الشهيد فيلوثاوس	نزلة القاضى
٣٤ــ	«	الرسولان بطرس وبولس	نزلة السك
٣٥ــ	«	الملاك غبريال	جهينـة
٣٦ــ	«	الشهيد قرياقس	طهطـا
٣٧ــ	«	« «	ساحل طهطا
٣٨ــ	«	السيدة العذراء	المراغة
٣٩ــ	«	القديس غبريانوس	«
٤٠ــ	«	مار جرجس	الجزازرة
٤١ــ	«	« «	السوالم
٤٢ــ	«	السيدة العذراء	بنجـا

أبروشية كرسى جرجا وأخميم

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة السيدة العذراء	البطاخ
٢ ـ « مار جرجس	الزايرات
٣ ـ « « «	جزيرة شندويل
٤ ـ « السيدة العذراء	الشيخ يوسف
٥ ـ « الشهيد ابو قلته	شندويل
٦ ـ « السيدة العذراء	سوهاج
٧ ـ « دير انبا شنودة	حاجر سوهاج
٨ ـ « « « بيشوى	« «
٩ ـ « الشهيد فيلوثاوس	ادفا
١٠ـ « انبا بيجول	بحاجر ادفا
١١ـ « الشهيد مرقوريوس	اخميم
١٢ـ « الست دميانة	«
١٣ـ « مار جرجس	«
١٤ـ « السيدة العذراء	«
١٥ـ « دير الشهداء	«
١٦ـ « الملاك ميخائيل	«
١٧ـ « الشهيد تاوضروس	الصوامعة
١٨ـ « انبا توماس	الصوامعة
١٩ـ « « باخوم	«
٢٠ـ « « شنودة	«
٢١ـ « السيدة العذراء	المنشاة
٢٢ـ « مار جرجس	«
٢٣ـ « انبا ابصادة	بالحاجر شرق المنشاة
٢٤ـ « السيدة العذراء	العسيرات
٢٥ـ « مار يوحنا	البربا
٢٦ـ « كنيسة السيدة العذراء	جرجا
٢٧ـ « مار جرجس	«
٢٨ـ « « «	شرق جرجا

(٧) (الدير الأبيض) انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٤٨ .

(٨) الدير الأحمر ـ انظر اللوحتين رقم ٤٩ ، ٥١ .

(١١) مقر كرسى الأسقف .

تابع أيروشية كرسى جرجا وأخميم

أسماء الكنائس			الجهة
٢٩-	»	الملاك ميخائيل	»
٣٠-	»	الشهيد مرقريوس	الزواتنة
٣١-	»	مار جرجس	بيت خلاف
٣٢-	»	السيدة العذراء	الزنقور
٣٣-	»	مار جرجس	العلوانية
٣٤-	»	أنبا شنودة	»
٣٥-	»	الملاك ميخائيل	الشيخ مرزوق
٣٦-	»	أنبا مويساس	العرابة المدفونة
٣٧-	»	السيدة العذراء	برديس
٣٨-	»	» »	البلينا
٣٩-	»	أنبا شنودة	البسكية
٤٠-	»	السيدة العذراء	شرق الخيام
٤١-	»	الشهيد فيلوثاوس	» »
٤٢-	»	الملاك ميخائيل	الكشح
٤٣-	»	أنبا شنودة	»
٤٤-	»	مار جرجس	ناحية الجبل
٤٥-	»	» »	بهجورة
٤٦-	»	السيدة العذراء	فرشوط
٤٧-	»	أنبا بضابا	بالجبل تبع فرشوط
٤٨-	»	» شنودة	ناحية القارة

(٣٦) فى أبيدوس .

أبروشية كرسى قنا

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة دير انبا بلامون	القصر والصياد
٢ ـ « انبا بيشوى وانبا بسنتاوس	السالمية
٣ ـ « السيدة العذراء	قنا
٤ ـ « مار جرجس	»
٥ ـ « الست دميانة	»
٦ ـ « الملاك ميخائيل	دندرة
٧ ـ « » »	نقادة
٨ ـ « السيدة العذراء	بحاجر نقادة
٩ ـ « الملاك ميخائيل	بحاجر »
١٠ـ « دير الصليب وانبا شنودة	» »
١١ـ « انبا اندراوس	» »
١٢ـ « مار جرجس	» »
١٣ـ « » بقطر	» »
١٤ـ « انبا بسنتاوس	» »
١٥ـ « القديس مرقوريوس	قوص
١٦ـ « الشهيد استفانوس	»
١٧ـ « مار بقطر	»
١٨ـ « انبا شنودة	العزبى
١٩ـ « مستجدة	دشنا
٢٠ـ « مستجدة	مستجدة
٢١ـ « كنيسة السيدة العذراء	السلمية
٢٢ـ « دير باخوم	الزينة

ابروشية كرسى اسـنا

اسـماء الكنائس	الجهـة
١ ـ كنيسة مار مينا العجـائبى	حاجر هو
٢ ـ « مار جرجس	« البلاص
٣ ـ « انبـا باخوم	« الاقصر
٤ ـ « مار انطونيوس	الاقصر
٥ ـ « الملاك ميخائيل	قامولا
٦ ـ « تاوضروس المشرقى	حاجر البعيرات
٧ ـ « مار جرجس	الرزيقـات
٨ ـ « القديس الفاخورى	اصفون المطاعنـة
٩ ـ « السيدة العذراء	اسـنا
١٠ـ « الست دولاجى	«
١١ـ « دير الشهداء	حاجر اسـنا
١٢ـ « انبـا باخوم	« ادفو
١٣ـ « السيدة العذراء	اصوان

إضافة من المترجم :

القوائم التى أوردها المؤلف فى هذا الملحق لها قيمة تاريخية فقـط ولكنها تخالف الواقع الحالى سنة ١٩٩٩ وقت صدور هذه الترجمة حيث تزايد عدد الكنائس وتم تعمير العديد من الأديرة القديمة كما تزايد عدد الأساقفة الذين يشرفون على كراسى أسقفية والأساقفة العموميين الذين يحملون لقب (أسقف عام) ويؤدون خدمات عامة لصالح كافة الكنائس القبطية وكذلك تزايد عدد الكهنة والرهبان خاصة مع انشاء أسقفيات قبطية فى المهجر لخدمة عشرات الكنائس التى أقيمت فى المهجر .

المؤلف :

سومرز كلارك : معمارى وعالم آثار انجليزى ولد فى مدينة برايتون بانجلترا فى عام ١٨٤١ وتوفى فى سنة ١٩٢٦ . تخصص فى دراسة العمارة ، ثم اتجه الى دراسة الترميم الاثرى ، وعمل فى مؤسسة سير جلبرت سكوت الشهيرة . وقد اجتذبه سحر مصر ، وظل يعمل فيها حتى وفاته . واجرى حفائر فى دير القديس ارميا فى سقارة ، ورمم الكثير من المعابد المصرية . ومن أهم أعماله هذا الكتاب الذى نشر فى أكسفورد عام ١٩١٢ ، مما يكسبه قيمة تاريخية كبرى ، لأن الكثير من المناطق التى تعرض لها بالوصف فى النوبة قد غمرتها مياه بحيرة ناصر بعد بناء السد العالى .

المترجـــم :

ابراهيم سلامة ابراهيم : كاتب ومترجم مصرى ، ولد فى القاهرة فى عام ١٩٣٨ ، وتخرج فى قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة فى عام ١٩٦١ ، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا فى الصحافة والنشر فى كلية الاعلام بجامعة القاهرة ، وله الكثير من المؤلفات والترجمات فى مجالات مختلفة ، منها الدراسات النفسية والدينية والتاريخية والأثرية ، من أهمها التوافق النفسى لتوماس هاريس ، والكنائس القبطية القديمة لألفريد بتلر ، ورحلة الألف ميل لاميليا ادواردز ، والطب النفسى والتحليل النفسى لاريك برن .

المراجـــع :

د. جودت جبرة : احد كبار المتخصصين فى الآثار والدراسات القبطية . ولد فى الاقصر فى عام ١٩٤٧ ، وحصل على ليسانس الآثار المصرية من جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٧ ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة مينستر فى ألمانيا الغربية فى عام ١٩٨٣ . وقد حاضر فى الكثير من الجامعات الأوروبية والامريكية . ونشر الكثير من الدراسات فى القبطيات ، من اهمها ثلاثة كتب عن المتحف القبطى والكنائس القبطية القديمة بالقاهرة .

كشـــاف أبجـــدى

(أ)

ابا قسطور ، كنيسة : ٣١٢
الاباطرة الرومان : ٢٦
اباكير ويوحنا ، كنيسة : ٣١٣
ابانوب النهيسي ، كنيسة : ٣١٠
ابراهيم : ٢٢ ، ٢٣
ابروشية كرسى ابو تيج : ٣١٨ ، ٣١٩
أبروشية كرسى أورشـــليم : ٣٠٩ ، ٣١٠
ابروشية كرسى بنى سـويف والبهنسا : ٣١٢
ابروشية كرسى جرجا واخميم : ٣٢٠ ، ٣٢١
ابروشية كرسى الاسكندرية : ٣٠٧ ، ٣٠٨
ابروشية كرسى اسنا : ٣٢٣
ابروشية كرسى اسيوط : ٣١٧
ابروشـــية كرسى الفيـــوم والجيزة : ٣١١
ابروشية كرسى قنـــا : ٣٢٢
أبروشـــية كرسى المنيـــــا والاشمونين : ٣١٣ ، ٣١٤
ابروشية كرسى منفـــلوط : ٣١٦
ابريل : ٢٦٣ ، ٢٧٦
ابريم : ١٢٢ ، ١٢٣
أبشواى : ٣١١
ابليس : ٣٤

ابنهس : ٣١٠
ابنوب : ٣١٦
ابو تيج : ٣١٨
ابو جورج : ٣٢١
أبو حمد : ٢٩٩ ، ٣٠٠
أبو حنس : ١٩٩ ، ٣١٤
ابو حنس ، دير : ٣٢ ، ٥٥ ، ١٩٣ ، ٢٣٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦
ابو حنس ، كنيسة : ١٩٩ ، ٢١٢ ، ٢٩٧
ابو سرجة : ١٥
ابو سرجة ، مغارة : ٢٩٢
أبو سيفين : ١٥
ابو سيفين : دير : ٢٩٣ ، ٣٠٦
أبو سيفين ، كنيسة : ١٩٣ ، ٢٩١
أبو صالح الارمنى : ١٢٢ ، ١٥٥ ، ٥٧ ، ١٦٨ ، ١٩٤ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨
أبو صير : ٨٥
أبو صير الملق : ٣١٢
أبو قار : ٣١١
أبو قرقاص : ٣١٣
أبو الليف ، دير : ١٩١
أبو مغيزل : ٣١٨
أبو مقار ، دير : ٢٩٢ ، ٣٠٨
أبو مقار ، كنيسة : ٣١٨
ابيـــار : ٣٠٨
ابيفانيوس : ٣٨
أبيوها : ٣١٣

اتريس : ٣١١
أتليدم : ٣١٤
الآثار المسيحية : ١٣
آثار النوبة المسيحية : ١١
اثيوبيـــا : ١٥ ، ١٦
الأحجار الرابطة : ٣٠
الأحياء القديمة : ٣١
أخميم : ١٩ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠
ادنا : ٣٢٠
أدفو : ١٩ ، ٣٢٣
الأديرة : ٧ ، ٦٣
أرباجى : ٦٣
أرجو : ٢٥
أرجين : ٩٣
الأركادية : ٣٩
أركادية ، كنيسة : ٣٨
الأزبكية : ٣٠٤
الأسرة الفاطمية : ١٢٢
اسكر : ٣١١
الاسكندرية : ٧ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٢٥٣
الاسلام : ٣٥ ، ١٠٦
اسنا : ١٩ ، ٢٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣
أسوان : ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٥ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨

اسيا الصغرى : ٢٦
اســـيوط : ١٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٣١٧
اشنين النصارى : ٣١٢
اصفون المطاعنة : ٣٢٣
اطفيح : ٣١١
الاغريق : ٣٠
اقلاديوس : ١٧٧
اكليسـيا : ٢٩٤
اكوه : ٣٠٨
المانيا : ١٧ ، ٢٦
أم القصور : ٣١٥
أم خنان : ٣١١
امبابى : ٢٠
الامبراطور داكيوس : ١٦
الامبراطور دقلديانوس : ١٦
الامبراطور فاليريان : ١٦
الامبراطورة هيلانة : ١٧٠
الامبراطورية الاسلامية : ١٨
الامبراطورية الرومانية : ٢٦
الامبراطوريـــة الرومانيـــة البيزنطية : ١٩
امرى : ١١
امشول : ٣١٥
الأمير تادرس : ١٨٤ ، ٣٠٨
الأمير تادرس ، دير : ٢٩٦ ، ٣٠٦
الأمير تادرس ، كنيســـة : ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣
الأمير تادرس المشرقى : ٣٠٥
الأميـر تادرس المشرقـى ، كنيسة : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧
اميلينو : ٢٤٧
امينوفيس : ٧٣
انبا أثناسيوس ، كنيســة : ٣١٢
انبا اندراوس ، كنيســة : ٣٢٢
الانبـا أنطونيـوس ، دير : ٢٩٣
انبا انطونيوس ، كنيســة : ٣١٢
الانبا باخوم ، كنيسة : ٣٢٠ ، ٣٢٣
انبا برسوم العريان ، كنيسة : ٣١١ ، ٣١٣
انبا بسنتاوس ، كنيسة : ٣٢٢
انبا بشاى ، كنيسة : ٣٠٧ ، ٣١٨
انبا بضابا ، كنيسة : ٣٢١
الأنبا بولا ، دير :٢٩٣ ، ٣١٢
انبا بولا ، كنيسة : ٣١٢
الأنبا إبيجول ، كنيســـة : ٣٢٠
الأنبا بيشوى : ٢٧٠ ، ٢٧٨
الأنبا بيشوى ، دير : ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٠
الانبا بيشوى ، كنيســـة : ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
انبا بيشوى وانبا بسنتاوس ، كنيسة : ٣٢٢
الأنبا توماس ، كنيسة : ٣٢٠
الأنبا رويس : ٣٤٠
الأنبا سمعان : ١٤٦
الأنبا سمعان ، كنيسة : ٢٦٢
الأنبا شنودة : ١٥ ، ١٩١ ، ٢٣٧ ، ٢٥٨ ، ٢٠٥
الأنبا شنودة ، دير : ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٨٦ ، ٣٠٢
الأنبا شنودة كنيسة : ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢
الأنبا صرابامون ، كنيسة : ٣٠٧ ، ٣١٥
الأنبا صموئيل ، دير : ١٩٣
الأنبا كيرلس : ٢٩٤
الأنبا مويساس ، كنيســة : ٣٢١
أنتينوى : ١٦٢ ، ١٩٣ ، ٢٨٥
أنتنوى ، مدينة : ٢٨٦
أوراق الاكانتس : ٢٥٩
أوروبا : ١٩ ، ١٦٠
أوسيم : ٣١١
أوفيميا ، القديسة : ٣٨
أوكسيرنكوس : ١٦١
أولاد الياس : ٣١٨
أولاد كنز : ٢١
ايطاليا : ٢٥٣
الأيقونات المقدسة : ١٩

(ب)

بئر عكاشة : ٩٦
بابه ، شهر : ٩
باخوميوس ، القديس : ١٦٠ ، ١٦١
باخوميوس ، قانون : ٣٤
بادج : ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٦٠
البازلت : ٢٥٩
باقور : ٣١٧
بانوب ظهر الجمل : ٣١٥
ببا : ٣١٢
ببلاو : ٣١٥
البتانون : ٣٠٧
بترونيوس : ١٢٢
بترى : ٢٢٧
بتلر : ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٦٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢
البحر الأبيض : ١٣
البحر الأحمر : ٢٩٣
البحر الأسود : ١٧٣

البحر المتوسط : ٢٤٥
البذرمان : ٣١٥
البراموس ، دير : ٢٩٣ ، ٣٠٨
البربا : ٣٢٠
بردنوها : ٣١٢
برديس : ٣٢١
البرشا : ٣١٤
برقة : ١٩
برقل : ٢٥
برما : ٣٠٨
برية بلقاس : ٣١٠
بريطانيا : ٢٦
بساط : ٣١٠
بستان الآباء القديسين : ٣٢ ، ١٥٩
البسكية : ٣٢١
بسيون : ٣١٠
بصرة : ٣١٦
البطاخ : ٣٢٠
بطاركة الاسكندرية اليعاقبة : ١٥
بطرس ، القديس : ٢٦٧
البطريرك القبطى : ١٩
البطريرك الملكانى أرسانيوس: ٢٩٤
البطريرك ثيوفيلوس : ٣٩ ، ٢٩٤
البطريرك ميخائيل : ٢٩٤
بطن الحجر : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٣١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨
بغداد : ٢١
بقطر شو ، دير : ٣١٦
بلاد الغال : ٢٦
بلاد النوبة : ١٠٦
بلانة : ١١
بلقاس : ٣١٠
بلنصورة : ٣١٣
بلوط : ٣١٥
البلينا : ٣٢١
بمم : ٣٠٨
بنجا : ٣١٩
بنسلفانيا ، جامعة : ٥٦
بنها : ٣٠٩
بنى حسن : ٢٧٢
بنى حسين ، نجوع : ٣١٦
بنى رافع : ٣١٥
بنى سويف : ٣١٢
بنى شقير : ٣١٦
بنى عبيد : ٣١٣
بنى عليج : ٣١٦
بنى غنى : ٣١٣
بنى كلب : ٣١٦
بنى محمد : ٣١٦
بنى مر : ٣١٦
بهجورة : ٣٢١
بهناى الغنم : ٣٠٧
البوابات المخططة : ١٢٦
البواكى : ١٢١
بوتشر : ١٦
بوتى : ٣٨
بورسعيد : ٣٠٩
بورخاردت : ٢٢ ، ٢٣
بوش : ٣١٢
بوق : ٣١٥
بولاق : ٣٠٤
بوك ، و. : ٢٧٦
بولس ، القديس : ٢٦٧
البوهل ، دير : ٩١
بويط : ٣١٧
بى العرب : ٣٠٧
بياض النصارى : ٣١٢
بيت المقدس : ١٩
بيت خلاف : ٣٢١
البيجا ، قبائل : ١٩
بيرز : ٣٠٣
البيهو : ٣١٣

(ت ، ث)

تابنيسى : ١٦٠
تاريخ القديس باخوميوس : ١٥٩
تاسا ، دير : ٣١٧
تاوضروس المشرقى ، كنيسة ٣٢٣
التخطيط البازيليكى : ١٦٤
التربة الطينية : ٦٠
التصاوير الجدارية : ١٠
تكلا هيمانوت ، كنيسة ٣٠٩
تلة : ٣١٣
التمساحية : ٣١٥
التنالية : ٣١٥
تندة : ٣١٥
التوابيت : ٢٧٤
توت ، شهر : ٩
تومبس : ٢٥
تيجان الأعمدة : ٩٠ ، ٩١
الثالوث الأقدس : ٢٩٢
الثالوث المقدس : ١٦٥
الثلاثة فتية ، كنيسة : ٣١٧
ثيت ، جزيرة : ٨٣
ثيودور ، القديس : ٣٨
ثيودوسيوس ، الامبراطور : ٣٩
ثيوفيلوس : ٣٩

(ج)

جالينوس : ٣١
جامع عمرو : ٣٥
جامعة بنسلفانيا : ٢٩١
الجاولى : ٣١٦
الجيزاوى ، دير : ٢٧٦ ، ٣١٦
جبل ابو فودة : ٢٧٦
جبل أثوس : ١٦٣
الجبل الشرقى : ٣١١
جبل الطير ، دير : ٣١٣

جبل برقة : ٢١
جبل برقل : ٦٣
جبل عدة : ١١٤
الجدرى : ٢٢
الجرانيت : ٢٣٠
الجرانيت الأحمر : ٢٣٣ ، ٢٣٦
الجرانيت الأسود : ٢٥٩
جرجا : ٣٢٠
جرش : ٢٢
جرف حسين : ١٢٩ ، ١٣٢
جرانوس ، دير : ٣١٢
جريجوروئيوس : ٣٨
جريس : ٣١٣
جرين ف. و. ٨٨ : ٣٠٢
الجزازرة : ٣١٩
الجزية : ٢٠
جزيرة ساى : ٧٥
جزيرة شندويل : ٣٢٠
جزيرة فيلة : ١٥٤
جزيرة كولب : ٧٥ ، ٧٨
جزيرة كولوبنارتى : ٧٥
جزيرة مروى : ٢١
الجماجم : ٢٧٤
الجمعية الدولية للآثار القبطية : ١١
الجمعية الدولية للدراسات النوبية : ١٢
الجنادلة : ٢٦٣
الجنادلة ، دير : ٣١٨
جندل أركى : ٨١
جنوب السودان : ١٥
جنوب النوبة ، كنائس : ٥٦
جهة شرقى : ٣٠٧
جهينة : ٣١٩
جيبون : ١٦
الجيزة : ٣١١
جينتى : ٦٩

(ح)

حاجر ادفا : ٣٢٠
حاجر اسنا : ٣٢٣
حاجر الأقصر : ٣٢٣
حاجر البعيرات : ٣٢٣
حاجر البلاص : ٣٢٣
حاجر سوهاج : ٣٢٠
الحاجر شرق المنشاة : ٣٢٠
حاجر نقادة : ٣٢٢
حاجر هو : ٣٢٣
حارة الروم : ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦
حارة السقائين : ٣٠٤
حارة زويلة : ٣٠٥ ، ٣٠٦
حامل الأيقونات : ١٦٥
الحجر الجيرى : ٢٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦
الحجر الرملى : ٦١
الحجرات : ١٥٦
حرز ، نزلة : ٣١٤
الحروف الهيروغليفية : ٢٢٨
الحساحيسا : ٦٣
الحصان : ٢٦٨
الحصن : ١٥٧
الحضارة الاسلامية : ٩
الحضارة البيزنطية : ٩ ، ٢٧
الحضارة الفرعونية : ٩
حضارة قدماء المصريين : ١٥
الحضارة اليونانية : ٩
الحضارة الرومانية : ٩
الحكام الأثيوبيون : ٢٥
الحكومة السودانية : ٣٠١
حلفا : ٥٤ ، ١٢٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢
الحلية الحلزونية : ٦٢ ، ١١٤
الحمام : ٣١٦
الحمام ، دير : ٣١٢
حمام الفارقى : ٦٨ ، ٩٣ ، ١٠٩
حمامات حلوان : ٩٦
حمامة الروح القدس : ٢٣٥
الحنيات : ٩٨
حنية الهيكل : ٥٣ ، ٥٥

(خ)

الخرطوم : ١٧ ، ٢١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠
خزان أسوان : ٢٤
خشب السنط : ٢٩٨
الخورس : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩

(د ، ذ)

داكيوس : ٣١
دانيل ، بلاكيرن : ٣٠٣
درنكة : ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٣١٧
دسوق : ٣١٠
دسيا : ٣١١
دشاشة : ٣١٢
دشلوط : ٣١٥
٢٩٣ ، ٣٠٨

(س)

سقيروس : ٣١
سلامون القماش : ٣٠٩
سلطان مصر : ٢١
السلمية : ٣٢٢
سمالوط : ١٥٥
سمنود : ٣١٠
سنباط : ٣١٠
سنديس : ٣١٠
السنقورية ، دير : ٣١٢
سنهور : ٣١١
سنورس : ٣١١
سوادة ، دير : ٣١٣
السوالم : ٣١٩

السودان : ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٧ ، ١٣٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

السوق : ٣١٨

سوهاج : ٨ ، ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٣٢٠

السويس : ٣٠٩

السيد المسيح : ٢٠٢

سيد جنا : ٢٥ ، ٧٣

السيدة العذراء : ٣٠٤ ، ٣٠٥

السيدة العذراء الدمشيرية : ٣٠٥

السيدة العذراء ، بالعدوة كنيسة : ٣١١

السيدة العذراء ببابليون ، كنيسة : ٣٠٥

السيدة العذراء ، كنيسة : ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣

سيدنا سليمان : ٩٦

سير : ٩٨

سيدارتى : ٧٥

(ش)

شارونة : ٣١٢

الشامية : ٣١٧

الشباينة : ٣١٨

شبلنجة : ٣٠٩

شبين الكوم : ٣٠٧

الشرفات العلوية : ٦١

شرق الخيام : ٣٢١

شرق جرجا : ٣٢٠

الشرق : ٦٨

شطانوف : ٣٠٨

شطب : ٣١٧

الشلال : ٥٤ ، ١٢٢

الشلال الاول : ٤٠ ، ٨٩

الشلال الثانى : ٤٠ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٨٩

شلال دالى : ٢٩٩

الشلال الرابع : ٢٩٩

شمال حلفا : ٨٩

شمس الدولة : ١٢٢

شنتنا الحجر : ٣١٠

شنرا : ٣١٢

* شنودة ، الأنبا : ٣١

الشهداء ، دير : ٢٩٦

الشهداء ، كنيسة : ١٧٠

الشهداء ، مذبح : ١٧٢

الشهور القبطية : ٩

الشهيد ابادير : ٣١٥

الشهيد ابادير ، كنيسة : ٣١٧

الشهيد ابسخيرون : ٣٠٩

الشهيد ابسخيرون ، كنيسة : ٣١٣

الشهيد أبو قلته ، كنيسة : ٣٢٠

الشهيد استفانوس ، كنيسة : ٣٢٢

الشهيد اقلوديوس ، كنيسة : ٣١٥ ، ٣١٧

الشهيد تادرس ، دير : ١٧٤

الشهيد العظيم تادرس ، كنيسة : ٢٧٣

الشهيد تاوضروس ، كنيسة ٣٢٠

الشهيد فيلوثاوس ، كنيسة : ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١

الشهيد قرياقص ، كنيسة : ٣١٩

الشهيد مار جرجس : ١٩٤

الشهيد مرقوريوس : ٣٠٥

الشهيد مرقوريوس ، كنيسة : ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢

الشيخ تمى : ٣١٣

الشيخ شبيكة : ٣١٥

الشيخ مرزوق : ٣٢١

الشيخ مسعود : ٣١٨

الشيخ يوسف : ٣٢٠

شيركوه : ١٢٢

شيمامون : ٢٠

(ص)

صدفا : ٣١٨

صلاح الدين الايوبى : ٢٠

صلاح الدين يوسف بن ايوب : ١٢٢ ، ١٩٤

الصليب ، دير : ١٩٥ ، ١٩٦

الصليب ، كنيسة : ١٩١

الصليب المقدس ، دير : ١٨٨ ، ٢٩٧

الصليب المقدس ، كنيسة : ١٩٥

صنبو وقسقام ، ابروشية : ٣١٥

صنبو : ٣١٥

صهرجت الكبرى : ٣٠٩

الصوامعة : ٣٢٠

صوبا : ٢٥ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٢٩١

الصور الجدارية المسيحية : ١١
صوفيا ، القديسة : ٣٨
صولب : ٢٥

(ط ، ظ)

طاروط : ٣٠٩
طنبا : ٣٠٨
طحا الأعمدة : ٣١٣
الطراز الاسلامى : ٣٥
الطراز البازيليكى : ٥٣ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٦٦ ، ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦
الطراز البازيليكى الأرثوذكسى: ٨٣
الطراز البيزنطى : ٢٠٦ ، ٢٠٧
الطرانة : ٣٠٧
طره : ٣١١
طما : ٣١٨
طموه : ٣١١
طمى النيل : ٢٧٦
طنطا : ٣٠٨
طوطا : ٣١٩
طرنا الجبل : ٣١٣
طهنشا : ٣٣١
الطوب الأحمر : ٤١ ، ٥٣ ، ٢١٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦
الطوب اللبن : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٩٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤
طوخ النصارى : ٣٠٨
طوخ طنبشا : ٣١٠
الطوخى : ٣٩
طوه : ٣١٣
طيبة : ١٦١
الطيبة : ٣١٣
الظهرية : ٣٠٧

(ع)

العاج : ٣١
العباسية : ٣٠٤
عبد القادر : ٨٥
عبد الله بن سعد : ١٨
عبد الله نرقى : ١١
العبيد : ٢١
عدى : ٣١٦
العذراء ، دير : ٢٦٦ ، ٣٠٦
العذراء مريم : ٩ ، ١٥ ، ١٢٢ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٧٣
العذراء ، كنيسة : ٢٠٧ ، ٢٠٨
العرابة المدفونة : ٣٢١
العراق : ٧١
العرش : ٢٠٢
عزالة : ٣١٦
العزايزة : ٣١٨
العزب : ٣١١ ، ٣٢٢
العزبة : ٣١٦
عزبة أبو حمرة : ٣٠٧
عزبة أبو حنا : ٢٠٧
عزبة الأقباط : ٣١٧
عزبة البرموس : ٣٠٨
عزبة الجرايسة : ٣٠٧
عزبة تتا : ٣٠٧
العسل ، دير : ١٥٥ ، ١٥٧
العسيرات : ٣٢٠
عش الفضيلة ، دير : ١١١
العصر الرومانى : ٢٤ ، ١٢٤ ، ١٣٢
العصر المسيحى : ١٧ ، ٣٢
العصور الحديثة : ٢٨
العصور القديمة : ٢٩٤
العصور المسيحية الأولى : ٢٩٠
العطف : ٣٠٧
العظام ، دير : ٢٧٤
العقود : ٣٧
العقود المدببة : ١٢١
علتى : ٦٣
علم الآثار : ٢٩٠
علم الأجناس : ٣٠٠
علم النبات : ٣٠١
علم طبقات الأرض : ٣٠١
علماء الحملات العسكرية : ٢٤٢
العلوانية : ٣٢١
العمارة الرومانية : ٣٠
عمرو بن العاص : ١٨
العمود الكورنثى : ٢٥٩
العونة : ٣١٧
العين الجنوبية : ٩٦

(غ)

الغرب : ٦٨
الغز : ١٩٤
الغزو الكردى : ١٢٢
الغنائم : ٣١٨

(ف)

فاليريانوس : ٣١
فاوست ، القديس : ٣٨
الفتح الاسلامى : ١٨ ، ٣٤
الفتح العربى : ٥٥
الفتوحات العربية : ٢١
الفجالة : ٣٠٤
الفردوس : ١٦١
فرس : ١١ ، ٦ ، ١٠ ، ١١٤
فرشوط : ٣٢١
فرنسا : ١٧
الفريسكو : ٢٩٠
الفزايرات : ٣٢٠
الفشن : ٣١٢

فلاديمير دى بوك : ١٧٠
فم الخليج : ٣٠٥
الفن الإسلامى : ٩
الفن البيزنطى : ٩ :
الفن القبطى : ٩
الفن النوبى المسيحى : ١١
الفنت : ٣١٢
فيشا النصارى : ٣٠٧
فيلة : ٢٩ ، ١٣٢ ، ٢٣٩
الفيوم : ٢٩٣ ، ٣١١

(ق)

قاعة أمينوفيس : ٢٨٩
القاعدة الارضية المربعة : ٤٨
القاعدة الدائرية : ٤٩
قامولا : ٢٧٤ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣
القاهرة : ١٧ ، ٢٠ ، ٩٦ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٤ ، ٢١٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤
قاو الشرق : ٣١٧
القبائل الزنجية : ٢٢
القباب : ٣٧ ، ٧٧ ، ٢٧٨
القبطية ، الكنيسة : ٩
القبو الأسطوانى : ٤٦
القدس : ١٩
قدوس : ١٨٨
القديس اباهور ، كنيسة : ٣١٣
القديس ابسخيرون : ٣٠٨
القديس ابكلوج ، كنيسة : ٣١٢
القديس ابو اسحق ، كنيسة : ٣١٦
القديس ابو بجول ، كنيسة : ٣١٣
القديس ابو حنس ، كنيسة : ٣١٤
القديس أبو فام ، كنيسة : ٣١٨
القديس أبو فانا ، كنيسة : ٣١٤
القديس أبو لبة ، كنيسة : ٣١٨
القديس أبو مقار ، كنيسة : ٣١٣
القديس اثناسيوس ، كنيسة : ٣٨
القديس انبا ابسخيرون ، كنيسة : ٣١٨
القديس أنبا شنودة ، كنيسة : ٣١٨
القديس انطونيوس ، دير : ٣١١
القديس أوريل : ١٩٦
القديس الأنبا بيشوى ، كنيسة : ٣١٤
القديس الأنبا شنودة : ٢٢٩
القديس الأنبا شنودة ، دير : ٢٤٦ ، ٢٧٣
القديس باخوم : ١٦٨
القديس باخوم ، دير : ١٧٨
القديس باخوميوس : ١٦٣ ، ١٨٤
القديس باخوميوس ، دير : ١٦٤
القديس برثلماوس : ٢٤٧
القديس توما ، كنيسة : ٢٧٣
القديس جرجس ، كنيسة : ٣١٨
القديس سرجيوس : ٣٠٥
القديس سفيروس : ١٥٧
القديس سفيروس ، كنيسة : ٢٧٣
القديس سمعان : ١٥٦ ، ٢٤٧
القديس سمعان ، دير : ٦٥ ، ٨٣ ، ١٤١ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٦٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨
القديس سمعان ، كنيسة : ١٥٤
القديس سنوتيوس : ٢٤٧
القديس غبريانوس ، كنيسة : ٣١٩
القديس الفاخورى ، كنيسة : ٣٢٣
القديس فويبامون ، دير ، ١٠
القديس كلوديوس : ١٩٥
القديس مار بقطر : ١٨٨
القديس مار جرجس : ١٩٥
القديس مار جرجس ، كنيسة : ٣١٨
القديس مار مينا ، كنيسة : ٣١٨
القديس مرقس الرسول : ١٥
القديس مرقص : ٣٠٧
القديس مقاريوس : ٣٠٨
القديس مقاريوس ، كنيسة : ٣١١
القديس مقروفيوس والعذراء ، كنيسة : ٣١٨
القديس مينا ، دير : ١٩٤ ، ٢٨٥
القديس مينا ، كنيسة : ١٩٤
القديس هرمينا ، كنيسة : ٣١٧
القديس واخس : ٣٠٥
القديس يوحنا : ١٦٨ ، ١٩٥
القديس يوحنا (أبو حنس) ، كنيسة : ٢٠٥
القديس يوحنا المعمدان : ١٩٦ ، ٣٠٨
القديس يوحنا ، كنيسة : ٣٩ ، ٢٧٣ ، ٣١٣ ، ٣١٨

القديسة بربارة ، كنيسة : ١٩٣
القديسة مريم ، كنيسة : ٣٩
القديسان قزمان ودميان ، كنيسة : ٣٨
القديسين : ٢٦
قرش : ١١٤
القرش ، دير : ١٠٩ ، ١١٣
قرمة التاج : ٦٢
القرميد : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠
قزمان ودميان ، كنيسة : ٣١١
قسطل : ١١ ، ١١٣
قسطنطين : ٣١ ، ٢٢٧
القسطنطينية : ١٩
القشيش : ٣١٠
قصر ابريم : ٢٠ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٤
قصر الشمع : ٢٩٥
قصر الوز : ١١٣
قصر هور : ٣١٤
القصر والصياد : ٣٢٢
قصرية الريحان : ٢٩٥
القصير : ٣١٥
القطينة : ٦٣ ، ٣١٨
القلزم : ٣١٠
قلعة أبريم : ٢٣
قلوصنا : ٣١٣
قليوب : ٣١٠
قنـا : ٣٢٢
قوص : ٣٢٢
القوصية : ٣١٥
القيصرية : ٣٨

(ك)

كاتدرائية الملاك : ٣٨
كاسيميا : ٦٣
كانون : ١٩
كتـاب معجـزات العـذراء ٢٩١
الكتاب المقدس : ١٥
كتاب وصف مصر : ٢٨٩
كتابات هيروغليفية : ١٠٤ ، ٢٣٩
الكر : ١٩٤
كراوفوت : ٦٣
الكرسى البطريركى : ٣٠٤
كريمة : ٢٩٩
الكشح : ٣٢١
كفر ابراهيم يوسف : ٣٠٩
كفر الخير : ٣١٠
كفر الدير بالتلين : ٣١٠
كفر الزيات : ٣٠٨
كفر الشهيد : ٣٠٩
كفر سلامة ابراهيم : ٣٠٩
كفر سليمان عوض : ٣١٠
كفر عبد الشهيد شـنودة : ٣٠٩
كفر عبده : ٣١٠
كفر عطا الله سليمان : ٣٠٩
كفر عطا الله نقباس : ٣٠٩
كفر فرج جرجس : ٣٠٩
كفر يوسف حنس : ٣١٠
كفر يوسف سمرى : ٣٠٩
كفر يوسف عوض : ٣٠٩
كفور الصولية : ٣١٢
كلابشة : ٢٩
كلارك ، ســومرز : ١٠ ، ١١ ، ١٢
الكنائس البازيليكية : ١٣٥ ، ٢٣٤
الكنائس القبطية القديمة : ١٣
كنائس النوبة السفلى : ٢٩٥
الكنيسة : ٣٤ ، ٦١ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣
الكنيســة الأرثوذكســية البازيليكية : ٢٧٩
كنيسة الارسالية الامريكية : ٢٦٣
الكنيسة البازيليكية : ٦٧ ، ٢٨٣
كنيسة الدير : ٢٢٦
كنيسة العذراء الأثرية : ٢٧١
كنيسة الدير الأحمر : ٢٦١
كوبان ، قلعة : ١١
كودية النصارى : ٣١٥
كوروسكو : ٢٤ ، ١٢٤
كولب : ٧٥
كولب ، كنيسة : ٧٧
كولوبنارتى : ٧٨
كوم اشفين : ٣١٠
كوم اشقاو : ٣١٨
الكوم الأصفر : ٣١٨
كوم بوها : ٣١٥
كوم دفش : ٣١٣
كوم الزهير : ٣١٣
كيكلان بن نيوكل : ١٠٦

(ل)

لبسيوس : ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩
لجنة حفظ الآثار : ٢٤٥
اللغـات الأوربية : ٣٠١ ، ٣٠٤
لغـة البربر : ٩٣
اللغة العربية : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤
اللغـة القبطية : ٩
ليونز ، كابتن : ١٣٤

(م)

ماتوجا : ٨٣
مار انطونيوس ، كنيســة : ٣١١ ، ٣٢٣
مار بقطر ، دير : ١٨٤ ،
مار يقطر شو ، كنيسة : ٣١٦ ، ٣١٧
مار بقطر ، كنيسة : ٢٠٥
مار بقطر ، دير : ٢٩٦
مار بقطر كنيسة : ٣٢٢
مار جرجس : ٢٦٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
مار جرجس ، كنيسة : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣
مار مرقس ، كنيسة : ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٧
مار مينا : ١٥
مارمينا العجائبى ، كنيسة : ٣١٤ ، ٣٢٣
مار يوحنا ، كنيسة : ٣١٦ ، ٣٢٠
مار يوحنا المعمدان ، كنيسة : ٣١٥
مار جرجس : ١٧٢ ، ١٩٩
مار جرجس ، دير : ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦
مار جرجس ، كنيســة : ١٥٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٦
مارقام ، كنيسة : ٣١٦
مار مرقس : ٣٠٤
مارمينا العجائبى ، كنيسة : ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦
مارمينا : ١٨٨
مارمينا ، دير : ٣٠٥
مارمينا ، كنيسة : ٢٩٤
ماكس هيرز : ٣٠٣
ماكيفر ، راندال : ٥٦ ، ٨٩
المامیزی : ٢٠٩
مانبالى ، كنيسة : ٦٣
ماهندى : ١٢٦ ، ١٣٢
مايلهام ، جيفرى س. : ٥٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
المبانى الاسلامية : ٢٨
المبانى الحجرية : ٦٢
المبانى الديرية : ٦٥ ، ٩٨
المبانى الرومانية : ٢٨
المبانى المسيحية : ٢٨
مبانى النبــلاء : ٣١
المتحف القبطى : ٨
مجرى النيل : ٥٨
المجمع ، دير : ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٩٧
المحاجر : ٣٠ ، ٢٦٦
المحجر : ٣٠
المحراب : ٦٨
المحلة الكبرى : ٣١٠
محلة مرحوم : ٣٠٨
محمد على : ٢٢ ، ٥٥ ، ٢٢٨
محمد (النبى) صلى الله عليه وسلم : ٩١
مدينة طيبة : ١٦٠
مدينة هابو : ٢٨٩ ، ٢٩٦
المذابح : ٢٧٩
مذبح البخور : ١٦٥ ، ٢٩٢
المذبح الرئيسى : ١٦٥
مذبح القربان : ١٦٥
مذبح المحرقة : ٢٩٢
مذبح الهيكل الأوسط : ٢١٢
المذبح : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٩
المراغة : ٣١٩
المراونة : ٣١٧
مرقس ، سميكة : ٨ ، ٢٩١ ، ٣٠٤
مرقس ، القديس : ٣٨
مرقوريوس ، القديس : ٢٨٥
مروى : ١٥ ، ٦٣
مريم دوروثيا ، القديسة : ٣٨
مريوط : ٢٩٤
المزامير : ١٦١
المساجد : ٣٧
مستجدة ، كنيسة : ٣٢٢
مسترد : ٣٠٩
المستعضد العباسى : ١٢٢
مسجد وصيف : ٣١٠
مسرع : ٣١٦
المسعودى : ٣١٨
المسلة : ٣٠٧
المسلمين : ٣٧ ، ١٢٣
المسيحية : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٥
المسيحيون : ٣٠ ، ٣١
المسيحيون المصريون : ١٢٦
مسيو دى مورجان : ١٤٦
مصر : ٧ ، ٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٧٢ ، ١٦٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤
مصر العليا : ٢١ ، ١٢٢
مصر الفرعونية : ٩ ، ٢٢٧ ، ٢٩٣
مصر القديمة : ٣١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤

المصريون القدماء : ٢٥ ، ٣٦ ، ١١٦ ، ١٢٦
المضيق : ١٢٤
المطبعة : ٣١٧
المعابد : ٢٩ ، ٣١٦
المعابد المصرية القديمة : ١١٠
المعابد المصرية فى النوبة : ١٠
معادى الخبيرى : ٣١١
معبد الأقصر : ٢٨٩
معبد السرابيوم : ٣٩
المعبد الفرعونى : ٢٥٥
معبد الكرنك : ١٧٨
المعبد المصرى الرومانى : ٦٢
معبد حتشبسوت : ١٠
معبد كلابشة : ٢٢
المعتكفين : ٣٢
المعز لدين الله : ٢٩٤
المعصرة : ٣١٣ ، ٣١٦
مغارة مار انطونيوس : ٣١١
مقابر مصر القديمة : ٤٠
مقاطعة كولب : ٧٧
مقاطعة مارا العربية : ١٩٤
مقاطعة ماريس : ١٢٢
مقاييس دى مورجان : ١٥٢
مقروفيوس ، القديس : ٢٦٧
المقصورات : ٩٨
الملاك بالريريمون ، دير : ٣١٤
الملاك ، دير : ١٤٥ ، ٢٠٨
الملاك روفائيل ، كنيسة : ٣١٥
الملاك غبريال : ٣٠٤
الملاك غبريال ، كنيسة : ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩
الملاك ، كنيسة : ٣٨ ، ٢٦٩
الملاك ميخائيل : ١٧٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
الملاك ميخائيل ، دير : ١٦٨ ، ٢٦٩
الملاك ميخائيل ، كنيسة : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ١٣٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣
ملك الفرنجة : ١٩٤
ملوى : ٣١٤
مليج : ٣٠٧
المماليك : ٢٢ ، ٢٣
مملكة النوبة المسيحية : ٢١ ، ٢٢
مملكة علوى المسيحية : ١٥ ، ٢١ ، ٥٨
مملكة علوى : ٢١
منا الأمير : ٣١١
المناجم : ٣٠
منازل بوهل : ٩٣
مناوس والشهداء ، دير : ١٧٠
منبال : ٣١٢
منحدرات الرمال الذهبية : ٧٦
المندرة : ٢١٢
المنشاة : ٣٢٠
المنشاة شنوان : ٣٠٧
منشاة مسجد الخضر : ٣١٠
المنصورة : ٣٠٩
منفلوط : ٣١٦
منهرى : ٣١٣
منوف : ٣٠٧
المنيا : ٣١٣
المنيتين : ٣٠٧
منيل شيحة : ٣١١
موسوعة القبطيات : ١١
موشا : ٣١٧
ميت بره : ٣١٠
ميت بشار : ٣٠٩
ميت دمسيس : ٣٠٩
ميت غمر : ٣٠٩
ميخائيل ، القديس : ٣٨
ميدامود : ١٦٤ ، ٢١٢
مير : ٣١٥
الميمون ، دير : ٣١٢

(ن)

ناجة : ٦٢
ناهيا ، دير : ١٩٤
نباتا : ٦٣
نبروه : ٣١٠
النجر : ٢٩٨
نجع الدير : ٢٠٩
النخلة ، دير : ٢٧٨
النخيلة : ٣١٨
نزلة أولاد مرجان : ٣١٥
نزلة اسمنت : ٣١٤
نزلة السلك : ٣١٩
نزلة القاضى : ٣١٩
نزلة سعيد : ٣١٨
نزلة عبيد : ٣١٣
نزلة عمارة : ٣١٨
نزلة عوض القطشة : ٣١٢
النزلة : ٣١١
النساك : ٣٢
النسر الرومانى : ١٢٦
نقادة : ١٤٥ ، ٢٧٤ ، ٢٩٧ ، ٣٢٢
نقادة ، كنائس : ٨
النقوش الهيروغليفية : ١٩٤
النمل الأبيض : ٤١ ، ٦٢ ، ١٩٤
النموذج البازيليكى : ١٦٨
نهر النيل : ٩ ، ٤١ ، ٦٥ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢١٨ ، ٢٩٨
النواميس : ٣١٧

النوبة : ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٤٣ ، ٧١ ، ٩١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٧٣
النوبة المسيحية : ٩٩
النوبيين : ١٢٢
النور ، دير : ١٥٨
نورى : ٢٥
النيل الأبيض : ٦٣
النيل الأزرق : ١٥ ، ٢٢ ، ٥٨ ، ٦٣

(هـ)

هابو : ١٧٤
هاتور ، شهر : ٩
هادريان ، معبد : ٣٨ ، ٣٩
هارولد سوينسون : ٣٠٣
الهالات التورانية : ٢٠١
الهوارة : ٢١
هور : ٣١٤
هونوريوس : ٣٩
هيرودوت : ٢٩٨
الهيكل : ١٢٤ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣

(و)

و٠ بوك : ٢٧٦
وادى ابريم : ٢٣
وادى حلفا : ٢٤ ، ٢٩٧
وادى النـــطرون : ٢٩٣ ، ٣٠٨
الوادى النوبى : ٢٤ ، ٤٠
وادى النيل : ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٠
وادى النيل ، كنائس : ١٠
وادى غزالى : ٦٩ ، ٨٣
وادى كوستامن : ٢٢
الواسطى : ٣١٦
والتون ، اسحق : ٢٨٨
الوراق : ٣١١
وسط افريقيا : ٢٣
الوعاضلة : ٣١٨
ويلز ، ر٠ د٠ : ٣٠٣
وينجت ، ريجنالد : ٢٩١

(ى)

يسوع : ٩
اليعاقبة : ٢٩٤
يعقوب ، القديس : ٢٨٥
يوحنا ، القديس : ١٩٩
يوحنا المعمدان ، القديس : ٣٨
يوحنا النقيوسى : ٣٩
يوسابيوس : ١٦

صدر من هذه السلسلة

أولاً: الموسوعات والمعاجم

ليونارد كوتريل، الموسوعة الأثرية العالمية
وليم بيتر، معجم التكنولوجيا الحيوية
و.د. هاملتون وآخرون، المعجم الجيولوجي
ج. كارفيل، تبسيط المفاهيم الهندسية
ب. كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية

ثانياً: الدراسات الاستراتيجية وقضايا العصر

د. محمد نعمان جلال، حركة عدم الانحياز في عالم متغير
اريك موريس؛ الان هو، الإرهاب
ممدوح عطية، البرنامج النووي الإسرائيلي
ازرا . فوجل، المعجزة اليابانية(٢ج)
د. السيد نصر الدين، إطلالات على الزمن الآتي
بول هاريسون، العالم الثالث غداً
مجموعة من العلماء ، مبادرة الدفاع الاستراتيجي: حرب الفضاء
و. مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر
بادي آونيمود، افريقيا الطريق الآخر
فانس بكارد ، إنهم يصنعون البشر (٢ج)
مارتن فان كريفلد، حرب المستقبل.
الفين توفلر ، تحول السلطة (٢ج)
ممدوح حامد عطية ، إنهم يقتلون البيئة
السيد أمين شلبي، جورج كينان
يوسف شرارة ، مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية
د. السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية
د. السيد عليوه ،صنع القرار السياسي
جرج كاشمان، لماذا تنشب الحروب(٢ح)
إيمانويل هيمان، الأصولية اليهودية

ثالثا: الاقتصاد

نورمان كلارك، الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا
سامي عبد المعطى، التخطيط السياحي في مصر
جابر الجزار، ماستريخت والاقتصاد المصري
ميكائيل البى، الانقراض الكبير
ولت ويتمان روستو، حوار حول التنمية الاقتصادية.
فيكتور مورجان، تاريخ النقود

رابعاً: العلوم والتكنولوجيا

فيرنر هيزنبرج ، الجزء والكل محاورات في مضمار الفيزياء الذرية
فريد هويل، البذور الكونية
ويليام بيتر، الهندسة الوراثية للجميع
جوهان دورشنر، الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد
اسحق عظيموف، الشموس المتفجرة (أسرار

السوبرنوفا)
روبرت لافور، البرمجة بلغة السي باستخدام تيربوسي (٢ ج)
ادوارد ايه فايجنباوم، الجيل الخامس للحاسوب
محمود سرى طه، الكمبيوتر في مجالات الحياة
مصطفى عناني، الميكروكمبيوتر
ي. رادو نسكايا جابوتنسكى، الإلكترونيات والحياة الحديثة
فرد س. هيس، تبسيط الكيمياء
كاتى ثير، تربية الدواجن
محمد زينهم، تكنولوجيا فن الزجاج
لارى جونيك، الهندسة الوراثية بالكاريكاتير
جينا كولاتا، الطريق إلى دوللى
دوركاس ماكلينتوك، صور أفريقية: نظرة على حيوانات أفريقيا
اسحق عظيموف، أفكار العلم العظيمة
د. مصطفى محمود سليمان، الزلازل
بول دافيز، الدقائق الثلاث الأخيرة
وليليام . ماثيوز، ما هي الجيولوجيا
اسحق عظيموف، العلم وآفاق المستقبل
ب. س. ديفيز، المفهوم الحديث للمكان والزمان
محمود سرى طه، الاتجاهات المعاصرة للطاقة
بانش هوفمان، آينشتين
زافيلسكى ف. س.، الزمن وقياسه
ج. هوز، تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
د. فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء
رولاند جاكسون، الكيمياء في خدمة الإنسان
إبراهيم القرضاوي، أجهزة تكييف الهواء
ديفيد الدرتون، تربية أسماك الزينة
أندرية سكوت، جوهر الطبيعة

إيجور إكيموشكين، الإيثولوجي
إدوارد دو بونو، التفكير العملي

خامساً: مصر عبر العصور

محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء
فرانسوا دوماس، آلهة مصر
سيريل ألدريد، أخناتون
د. لينوار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر
موريس بيزابر، صناع الخلود
كنت . كتشن، رمسيس الثانى: فرعون المجد والانتصار
ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة
ونفرد هولمز، كانت ملكة على مصر
جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر
نفتالى لويس، مصر الرومانى
عبده مباشر، البحرية المصرية من محمد على للسادات (١٨٠٥ ١٩٧٣)
د. السيد أبو سديرة، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية
أ. أ. س. ادواردز، أهرام مصر
سومرز كلارك، الآثار القبطية في وادى النيل
كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونية
بيل شول وأدبنيت، القوة النفسية للأهرام
جيمس هنري برستد، تاريخ مصر
د. بيارد دودج، الأزهر في ألف عام
أ. سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة
ألفريد ج. بتلر، الكنائس القبطية القديمة في

مصر (ج٢)

روز اليندم، الطفل المصري القديم

ج. و. بكفرسون، الموالد في مصر

جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية

سوزان راتييه، حتشبسوت

مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر

أولج فولكوف، القاهرة مدينة الألف ليلة وليلة

د. محمد أنور شكرى، الفن المصرى القديم

ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة

لورد كرومر، الثورة العرابية

إيفان كونج، السحر والسحرة

سادساً: الكلاسيكيات

جاليليو جاليلية، حوار حول النظامين الرئيسين للكون (٣ج)

وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (٣ج)

أبو الفتح الفردوسي، الشاهنامة (٢ج)

أدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها

ناصر خسرو علوي، سفر نامة

فيليب عطية، ترانيم زرادشت

سابعاً: الفن التشكيلي والموسيقى

عزيز الشوان، الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

ألويز جرايتر، موتسارت

شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي

ليوناردو دافنشي، نظرية التصوير

د.غبريال وهبه، أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في الفن التشكيلي

روبين جورج كولنجوود، مبادئ الفن

مارتن جك، يوهان سبستيان باخ

ميخائيل ستيجيمان، فيفالدى

هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن

أدامز فيليب، دليل تنظيم المتاحف

حسام الدين زكريا، انطون بروكنر

جيمس جينز، العلم والموسيقى

هوجولا يختنريت، الموسيقى والحضارة

محمد كمال إسماعيل، التحليل والتوزيع الأوركسترالي

صالح رضا، ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر

أدموندو سوليمي، ليوناردو

ثامناً: حضارات عالمية

جاكوب برونوفسكى، التطور الحضاري للإنسان

س. م. بوراء، التجربة اليونانية

جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام

. د. جرني، الحيثيون

ل.ديلابورت، بلاد ما بين النهرين

ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية

آدم متز، الحضارة الإسلامية

جوزيف نيدهام، تاريخ العلم والحضارة في الصين

ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية

سبتينو موسكاتى، الحضارات السامية

تاجور شين بن بنج وآخرون، مختارات من الآداب الآسيوية
محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية
مختارات من الشعر الأسباني: في
جابرييل جارسيا ماركيز، الجنرال في المتاهة
سوريال عبد الملك، حديث النهر
د. رمسيس عوض، الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها
مختارات من الأدب الياباني: الشعر - الدراما الحكاية القصة القصيرة
ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر
نادين جورديمر وآخرون، سقوط المطر وقصص أخرى
رالف ئي ماتلو، تولستوي
والتر ألن، الرواية الإنجليزية
هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال
مالكوم برادبري، الرواية اليوم
لوريتو تود، مدخل إلى علم اللغة
إفور إيفانز، موجز تاريخ الدراما الإنجليزية
ج. س. فريزر، الكاتب الحديث وعالمه (٢ ج)
جورج ستاينر، بين تولستوي ودستويفسكي (٢ ج)
ديلان توماس، مجموعة مقالات نقدية
فيكتور برومبير، ستندال
فيكتور هوجو، رسائل وأحاديث من المنفى
ياتكو لافرين، الرومانتيكية والواقعية
د. نعمة رحيم العزاوي، أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً
ف. برميلوف، دستويفسكي
لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، الدليل البيليوجرافيا
محسن جاسم الموسوي، عصر الرواية : مقال في النوع الأدبي
هنري باربوس، الجحيم
ميجل دي ليبس، الفئران
روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي
يانيس ريتسوس، البعيد (مختارات شعرية)
إفور ايفانز، مجمل تاريخ الأدب الإنجليزي
فخري أبو السعود، في الأدب المقارن
سليمان مظهر، أساطير من الشرق
صفاء خلوصي، فن الترجمة
ف. ع. أدينكوف، فن الأدب الروائي عند تولستوي

سادس عشر: الإعلام

فرانسيس ج. برجين، الإعلام التطبيقي
بيير البير، الصحافة
هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية

سابع عشر: السينما

هاشم النحاس، الهوية القومية في السينما
ج. دادلي، نظريات الفيلم الكبرى
روى آرمز، لغة الصورة في السينما المعاصرة
هاشم النحاس، صلاح أبو سيف (محاورات)
جان لويس بوري وآخرون، في النقد السينمائي الفرنسي
محمود سامي عطا الله، الفيلم التسجيلي
ستانلي جيه سولومون، أنواع الفيلم الأمريكي

جوزيف وهارى فيلدمان، ديناميةِ الفيلم

قدري حفني، الإنسان المصري على الشاشة

مونى براح، السينما العربية من الخليج إلى المحيط

حسين حلمي المهندس، دراما الشاشة :بين النظرية والتطبيق للسينما والتليفزيون (٢ج)

إدوارد يري، عن النقد السينمائي الأمريكي

جوزيف م. بوجز ، فن الفرجة على الأفلام

سعيد شيمي، التصوير السينمائي تحت الماء

دوايت سوين ، كتابة السيناريو للسينما

هاشم النحاس، نجيب محفوظ على الشاشة

يوجين فال، فن كتابة السيناريو

دانييل اريخون، قواعد اللغة السينمائية

كريستيان ساليه ، السيناريو في السينما الفرنسية

ــ آلان كاسبيار، التذوق السينمائى

تونى بار، التمثيل للسينما والتلفزيون

بيتر نيكولز، السينما الخيالية

بول وارن، خفايا نظام النجم الأمريكي

دافيد كوك، تاريخ السينما الروائية

تاسع عشر: كتب غيرت الفكر الإنساني

سلسلة لتلخيص التراث الفكري الإنساني في صورة عروض موجزة لأهم الكتب التي ساهمت فى تشكيل الفكر الإنسانى وتطوره مصحوبة بتراجم لمؤلفيها وقد صدر منها ٩ أجزاء.

تاسعاً: التاريخ

جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى

هنري بيرين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى

أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق

بول كولز، العثمانيون في أوربا

جوناثان ريلي سميث ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

د. بركات أحمد، محمد واليهود

ستيفن أوزمنت، التاريخ من شق جوانبه (٣ج) و. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى،

فلاديمير تيسمانيانو، تاريخ أوربا الشرقية

ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية (٢ج)

نويل مالكوم، البوسنة

جارى ب . ناش، الحمر والبيض والسود

أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون (٢ج)

آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم

ناجاى متسيو، الثورة الإصلاحية في اليابان

محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية

د. إبرار كريم الله، من هـم التتار

ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية

لبان .ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه (٢ج)

جوسيي دي لونا، موسوليني

جوردون تشيلد، تقدم الإنسانية

هــ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (٤ج)

يوهان هويزنجا، اضمحلال العصور الوسطى

هــ ج ويلز، موجز تاريخ العالم

عاشراً: الجغرافيا والرحلات

ت.و. فريماد، الجغرافيا في مائة عام

ليستر ديل راى، الأرض الغامضة

رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف)

اميليا ادواردز، رحلة الألف ميل

رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)

رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (٣ج)

رحلة عبد اللطيف البغدادى

رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (٣ج)

يوميات رحلة فاسكو داجاما

س . هوارد، أشهر الرحلات في غرب أفريقيا

إريك أكسيلون، أشهر الرحلات في جنوب أفريقيا

حادي عشر: الفلسفة وعلم النفس

جون بورر، الفلسفة وقضايا العصر (٣ج)

سوندراى، الفلسفة الجوهرية

جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الغريب

سدني هوك، التراث الغامض: ماركس والماركسيون

إيفري شاتزمان، كوننا المتمدد

ادوارد دوبونو، التفكير المتجدد

رونالد دافيد لانج، الحكمة والجنون والحماقة

-توملس هاريس التوافق النفسي: تحليل المعاملات

د. أنور عبد الملك، الشارع المصري والفكر

نيكولاس ماير، شارلوك هولمز يقابل فرويد

أنطوني دي كرسبني، أعلام الفلسفة المعاصرة

جين وروبرت هاندلى، كيف تتخلصين من القلق؟

هــ ج. كريل، الفكر الصيني

أوجست دييس، أفلاطون

د. السيد نصر الدين، الحقيقة الرمادية

برتراند راسل، السلطة والفرد
مارجريت روز، ما بعد الحداثة
كارل بوبر، بحثا عن عالم افضل
ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة
جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى
د. روجر ستروجان، هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال
إريك برن، الطب النفسي والتحليل النفسي
بيرتون بورتر، الحياة الكريمة (٢ ج)
فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوربي الحديث (٤ ج)
هنري برجسون، الضحك
أرنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية
يعقوب فام، البراجماتية

ثاني عشر: العلوم الاجتماعية

د.محيى الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
م. و ترنج، ضمير المهندس
رايموند وليامز، الثقافة والمجتمع
روى روبرتسون، الهيروين والإيدز
بيتر لوري، المخدرات حقائق نفسية
ليوبو شكاليا، الحب
برنسلاو مالينوفسكي، السحر والعلم والدين
بيتر رداي، الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي
بيل جوهارت، تعليم المفوقين
ارنولد جزل، الطفل من الخامسة إلى العاشرة
رونالد د. سيمسون، العلم والطلاب والمدارس

ثالث عشر: المسرح

لويس فارجاس، المرشد إلى فن المسرح
برونو ياشينسكى، حفلة مانيكان
جلال العشري، فكرة المسرح
جان بول سارتر؛ جورج برناردشو؛ جان أنوى مختارات من المسرح العالمي
د.عبد المعطى شعراوي، المسرح المصري المعاصر: أصلة وبدايته
توماس ليبهارت، فن المايم والبانتومايم
زيجمونت هبيز، جماليات فن الإخراج
يوجين يونسكو، الأعمال الكاملة (٢ ج)

رابع عشر: الطب والصحة

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف، وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء
د.جون شندلر، كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة
د.ناعوم بيتروفيتش، النحل والطب
م. هـ. كنج، التغذية في البلدان النامية

خامس عشر: الآداب واللغة

برتراند رسل، أحلام الأعلام وقصص أخرى
ألدس هكسلى، نقطة مقابل نقطة
جول ويست، الرواية الحديثة : الإنجليزية والفرنسية
أنور المعداوي، علي محمود طه: الشاعر والإنسان
جوزيف كونراد، مختارات من الأدب القصصي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٨٥٠٣

ISBN - 977 - 01 - 6149 - 7

تسعى الهيئة المصرية العامة للكتاب من خلال دورها التنويري إلى الكشف عن ينابيع الثقافة المصرية وجذورها الحضارية عبر العصور، ومن بينها الحقبة القبطية التي تعتبر حلقة الوصل بين الحضارة الفرعونية والإسلامية والتي مازالت مؤثراتها الروحية وقيمها النبيلة تعمل بين أبناء شعبنا جنباً إلى جنب مبادئ الفكر الإسلامي مشتركة معه في تشكيل أسس الحياة على أرض وادى النيل.

وهذا الكتاب يميط اللثام عن الآثار المسيحية في وادى النيل ويعتبر استكمالاً للجهد الذى بذله المؤرخ الإنجليزى "ألفريد بتلر" فى كتابه عن: الكنائس القبطية القديمة فى مصر. وإن كان بمنظور أوسع حيث إنه تحدث عن الآثار القبطية فى النوبة والسودان، كما توسع فى عرض ما أورده بتلر بإيجاز مثل وصف الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج وكنائس نقادة وغير ذلك. وهو يتحدث عن عمارة الكنائس والأديرة القديمة فى وادى النيل بما فيها تلك التى اندثرت ولم يتبق منها سوى الأطلال. كما يزخر الكتاب برسومات العشرات من الكنائس المندثرة التى توصل إلى اكتشافها بعد جهد جهيد فى البحث والتنقيب، بالإضافة إلى عشرات المساقط التى أورد رسومها التخطيطية والخرائط العديدة التى تبين مواقع هذه الآثار موزعة على كافة أرجاء وادى النيل خاصة فى النوبة والسودان.

وإن هذا الكتاب يمثل جهداً عظيماً ونموذجاً طيباً لكمال ودقة البحث العلمى الذى يسمو بفكر القارئ ويحلق به فى آفاق التاريخ.



٩٢٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة